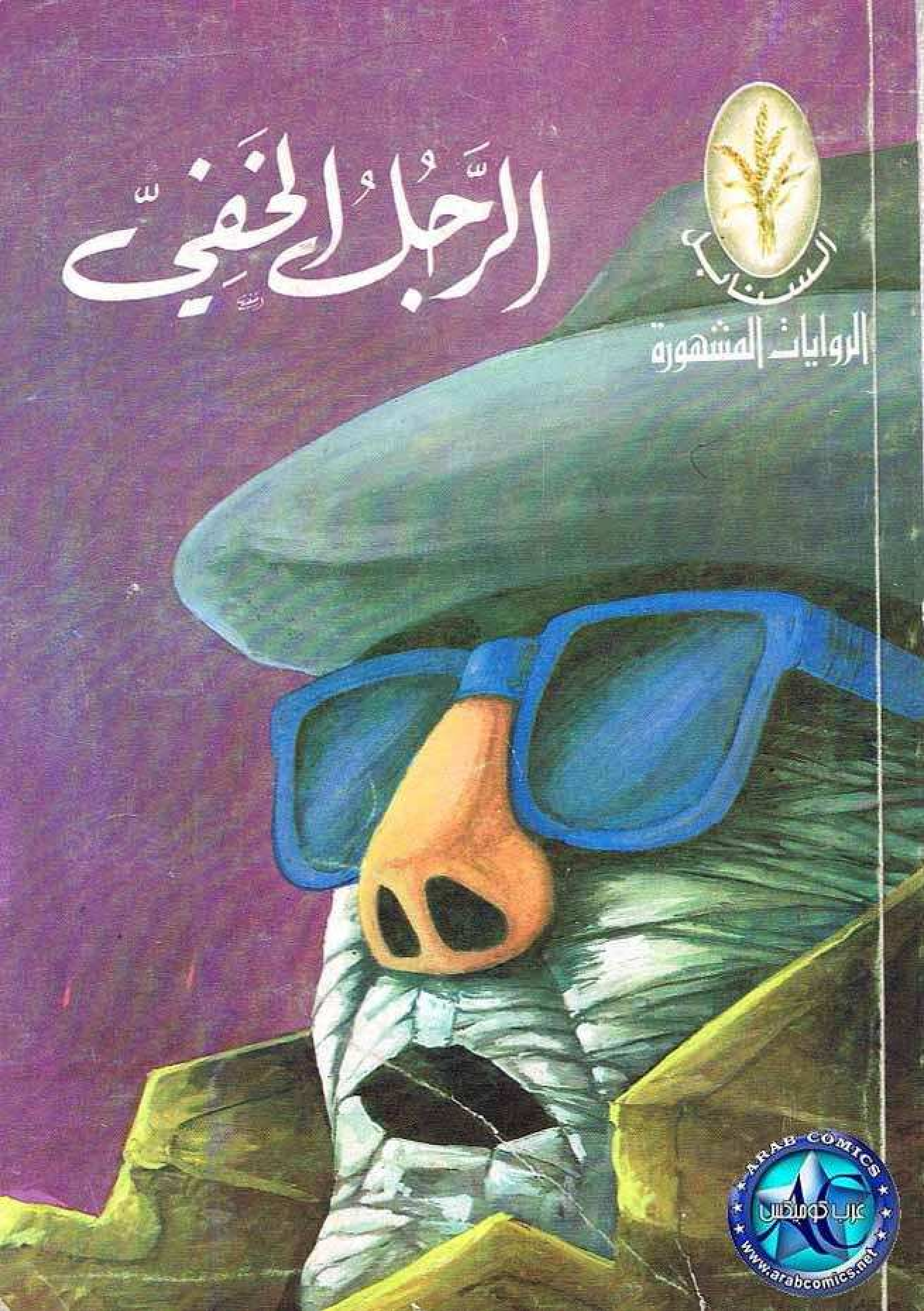
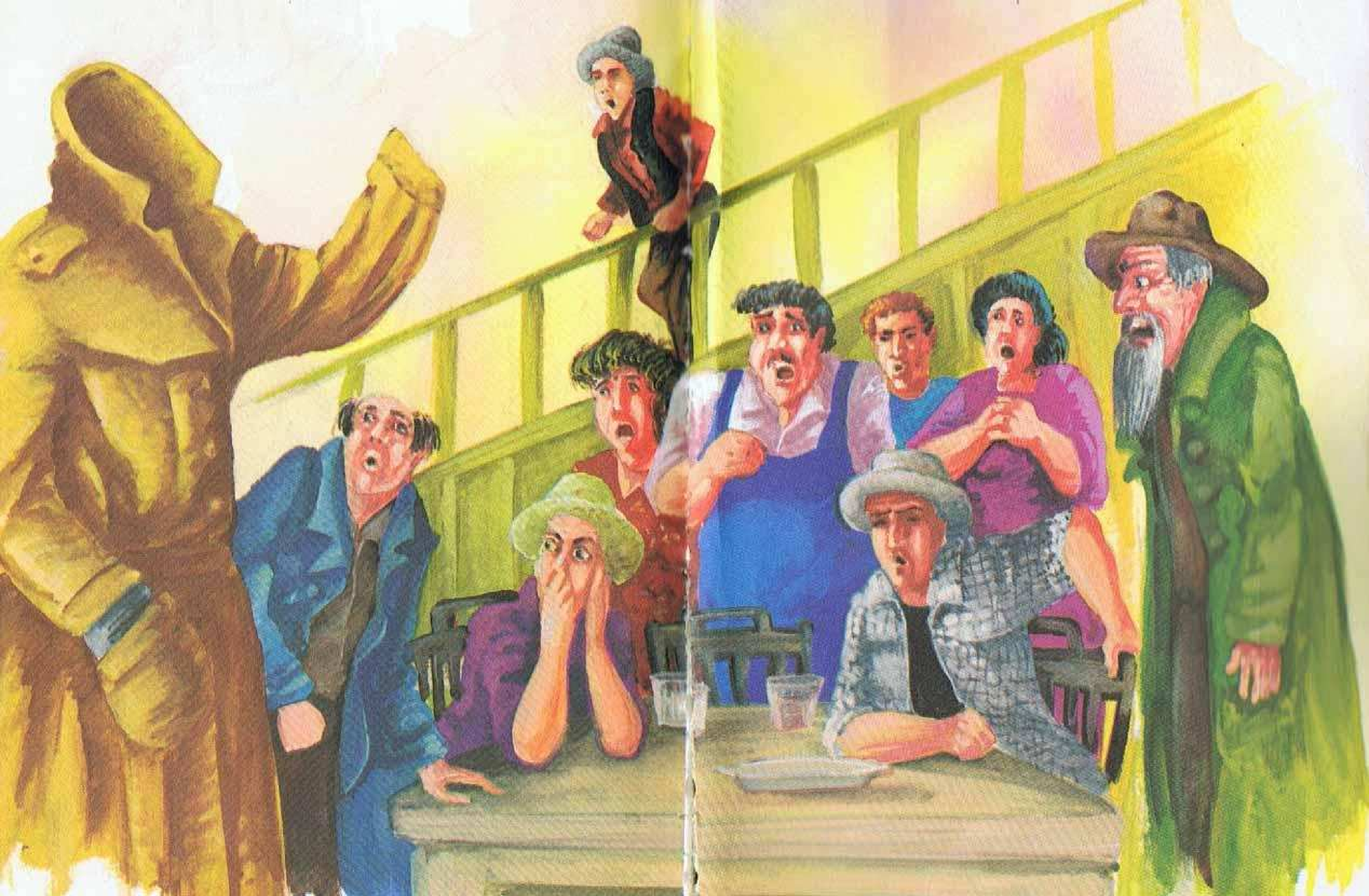

الرَّجُلُ الخَفِيّ
السنابل
الروايات المشهورة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

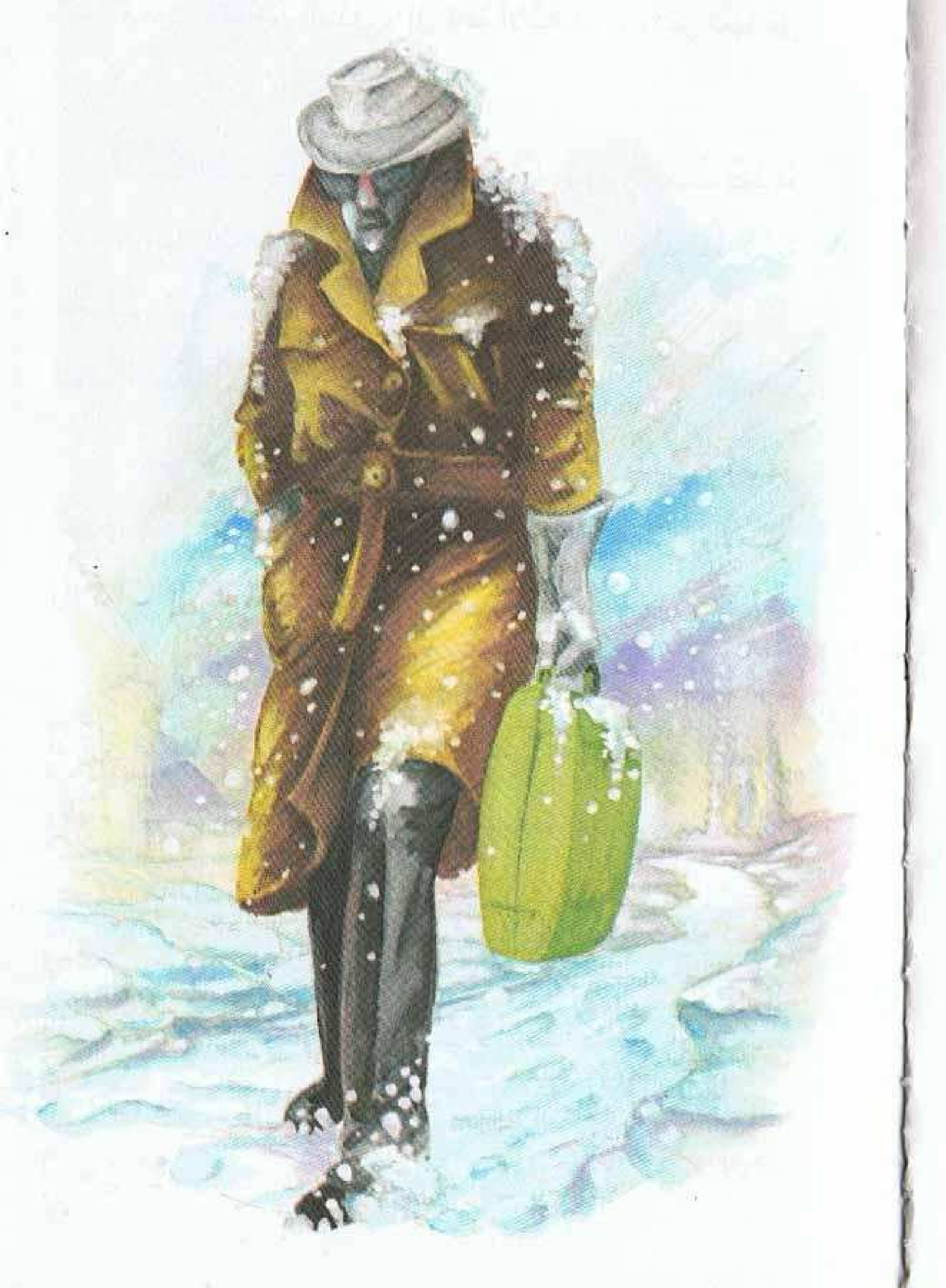






تأليف : هـ.ج. ويلز
إعداد : صادق راشد
رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان
بيروت



الفَصْلُ الأَوَّلُ

مَقْدَمُ ٱلرَّجُلِ ٱلغريبِ

في ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَباحِ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ شَهْرِ فِبْراير ٱلشَّديدَةِ ٱلبُرودَةِ جاءَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ ، وكانَتِ ٱلرّيحُ عاصِفَةً ، وَٱلثَّلْجُ يَتَساقَطُ بِغَزارَةٍ . وَكانَتْ تِلْكَ آخِرَ مَرَّةٍ سَقَطَ فيها ٱلثَّلْجُ في ذٰلِكَ ٱلعامِ .

لَقَدْ أَتى عَبْرَ ٱلتَّلِّ مِنْ مَحَطَّةِ سِكَّةِ حَديدِ برامْبِلْهِرِسْت ، وَفي يَدِهِ ٱلمَكْسُوَّةِ بِقُفّازٍ سَميكٍ حَقيبَةٌ صَغيرَةٌ سَوْداءُ . وَكانَ مُتَدَثِّرًا مِنْ رَأْسِهِ إلى قَدَمَيْهِ ، وَكانَتْ حافَةُ قُبَّعَتِهِ ٱللَّيِّنَةِ ٱلرَّمادِيَّةِ ٱللَّوْنِ تُغَطّي وَجْهَهُ كُلَّهُ بِٱسْتِثْناءِ طَرَفِ أَنْفِهِ ٱللاّمِعِ ، وَقَدْ تَراكَمَ ٱلثَّلْجُ عَلى كَتِفَيْهِ وَصَدْرِهِ .

دَخَلَ فُنْدُقَ ٱلبَلْدَةِ ٱلمُسَمّى "ٱلعَرَبَة وَٱلجِياد" ، أَدْنى إلى ٱلأَمْواتِ مِنْهُ إلى ٱلأَحْياءِ ، وَأَلْقى بِحَقيبَتِهِ عَلى ٱلأَرْضِ صائِحًا : « مِدْفَأَةً بِحَقِّ ٱلرَّحْمَةِ ! غُرْفَةً وَمِدْفَأَةً ! »

دَقَّ ٱلأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ ، وَنَفَضَ ٱلثَّلْجَ عَنْ مِعْطَفِهِ ، وَسارَ في أَعْقابِ

آلسَّيِّدَةِ هُول ، صاحِبَةِ آلْفُنْدُقِ ، إلى قاعَةِ آلاسْتِقْبالِ ، وَآتَّفَقَ مَعَها عَلى أَنْ تُؤَجِّرَهُ غُرْفَةً ، وَنَقَدَها جُنَيْهَيْنِ .

أَشْعَلَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول نارَ آلْـمِدْفَأَةِ ، وَتَرَكَتْهُ وَحْدَهُ ، وَمَضَتْ لِتُعِدَّ لَهُ بِنَفْسِها وَجْبَةَ آلطَّعامِ : فَإِنَّ ضَيْفًا يَهْبِطُ بَلْدَةَ أَيْبِنْغ في آلشِّتاءِ يُعَدُّ ضَرْبَةَ حَظٍّ لَـمْ يَسْمَعْ بِها أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، فَاعْتَزَمَتْ أَنْ تُبَرْهِنَ لَهُ عَلى أَنَّها أَهْلٌ لِـهٰذا آلْـحَظِّ آلسَّعيدِ .

وَضَعَتْ عَلى آلنّارِ شَيْئًا مِنَ آللَّـحْمِ ، وَطَلَبَتْ إلى مِيلي ، وَصيفَةِ آلْفُنْدُقِ ، أَنْ تُهَيِّئَ آلغُرْفَةَ لِلْغَريبِ . وَذَهَبَتْ بِآلْـمِفْرَشِ وَآلأَطْباقِ وَآلأَكْوابِ إلى آلرَّدْهَةِ ، وَشَرَعَتْ تُعِدُّ آلمائِدَةَ .

وَرَغْمَ أَنَّ آلنّارَ كانَتْ مُتَّقِدَةً في آلْـمِدْفَأَةِ ، فَقَدْ أَدْهَشَ آلسَّيِّدَةَ هُول أَنْ تَرى ضَيْفَها ما زالَ مُرْتَدِيًا قُبَّعَتَهُ وَ مِعْطَفَهُ ، وَكانَ واقِفًا عِنْدَ آلنّافِذَةِ ، وَظَهْرُهُ إلَيْها ، يُحَمْلِقُ إلى آلثُّلوجِ آلْـمُتَساقِطَةِ في آلفِناءِ .

كانَ عاقِدًا ـ وَراءَ ظَهْرِهِ ـ يَدَيْهِ آلْـمَكْسُوَّتَيْنِ بِآلقُفّازِ ، وَبَدا مُسْتَغْرِقًا في تَفْكيرٍ عَميقٍ . وَلاحَظَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول أَنَّ بَعْضَ آلثَّلْجِ آلذّائِبِ ، آلَّذي كانَ لا يَزالُ يُغَطّي كَتِفَيْهِ ، يَتَساقَطُ قَطَراتٍ عَلى آلأَرْضِ .

قالَتْ لَهُ : « هَلْ تَسْمَحُ لي يا سَيِّدي أَنْ أَخْلَعَ عَنْكَ قُبَّعَتَكَ



وَمِعْطَفَكَ ، وَأُجَفِّفَهُما في آلْـمَطْبَخِ ؟ »

أَجابَ دونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إلَيْها : « لا . »

لَـمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّها سَمِعَتْهُ ، وَهَمَّتْ بِأَنْ تُعيدَ عَلَيْهِ سُؤالَها مَرَّةً أُخْرى ، فَأَدارَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إلَيْها قائِلًا بِحَزْمٍ : « أوثِرُ أَلّا أَخْلَعَهُما . »

لاحَظَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول أَنَّهُ يَلْبَسُ نَظّارَةً زَرْقاءَ كَبيرَةَ آلْـحَجْمِ ، وَأَنَّ لَهُ لِـحْيَةً كَثَّةً تُغَطّي ياقَةَ مِعْطَفِهِ ، وَتَكادُ تُخْفي وَجْهَهُ .

قالَتْ : « كَما تَشاءُ يا سَيِّدي . بَعْدَ قَليلٍ سَيَزْدادُ آلدِّفْءُ في آلغُرْفَةِ . »

لَمْ يُجِبْ ، وَإِنَّما أَشاحَ عَنْها بِوَجْهِهِ ثانِيَةً . وَشَعَرَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول أَنَّ حَديثَها غَيْرُ مَرْغوبٍ فيهِ ، فَعَجَّلَتْ بِإِعْدادِ ٱلمائِدَةِ ، وَأَسْرَعَتْ تُغادِرُ ٱلغُرْفَةَ .

حينَ رَجَعَتْ ، كانَ لا يَزالُ واقِفًا مَكانَهُ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ صَخْرٍ ، وَكانَ رافِعًا ياقَةَ مِعْطَفِهِ إِلى أَعْلى ، أَمّا حافَةُ قُبَّعَتِهِ ٱلَّتي تَقْطُرُ ماءً فَكانَتْ مُرْتَخِيَةً إِلى أَسْفَلَ ، تَكادُ تُخْفي وَجْهَهُ وَأُذُنَيْهِ .

وَضَعَتْ إِناءَ ٱللَّحْمِ وَٱلبَيْضِ عَلى ٱلمائِدَةِ ، مُحْدِثَةً شَيْئًا مِنَ ٱلجَلَبَةِ ، وَصاحَتْ بِهِ : « غَداؤُكَ جاهِزٌ يا سَيِّدي . »

قالَ : « أَشْكُرُكِ . » لٰكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ إِلّا حينَ أَغْلَقَتِ ٱلبابَ . وَعِنْدَئِذٍ ٱسْتَدارَ ، وَٱتَّجَهَ مُسْرِعًا إِلى ٱلمائِدَةِ .

في ٱلمَطْبَخِ مَلَأَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول طَبَقًا بِٱلزُّبْدِ ، ثُمَّ حَمَلَتْهُ عائِدَةً إِلى ٱلرَّدْهَةِ .

نَقَرَتْ عَلى ٱلبابِ ، وَدَخَلَتْ في ٱلحالِ ، فَإِذا بِهِ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ حَتّى إِنَّها لَمْ تَرَ إِلّا شَيْئًا أَبْيَضَ يَخْتَفي وَراءَ ٱلمائِدَةِ . وَبَدا ٱلرَّجُلُ وَكَأَنَّهُ ٱنْحَنى لِيَلْتَقِطَ شَيْئًا مِنْ عَلى ٱلأَرْضِ . وَوَضَعَتْ طَبَقَ ٱلزُّبْدِ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ ،

وَلاحَظَتْ أَنَّ ٱلمِعْطَفَ وَٱلقُبَّعَةَ كانا مَوْضوعَيْنِ عَلى مَقْعَدٍ أَمامَ ٱلمِدْفَأَةِ .

قالَتْ في صَوْتٍ رَقيقٍ لا يُمْكِنُ أَنْ يُقابَلَ بِٱلرَّفْضِ : « أَرى أَنْ آخُذَهُما ٱلآنَ لِأُجَفِّفَهُما . »

قالَ ٱلضَّيْفُ : « دَعي ٱلقُبَّعَةَ . » ثُمَّ ٱسْتَدارَ ، وَرَأَتْهُ وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْها . وَقَفَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ لَحْظَةً ، وَبَلَغَ مِنْ دَهْشَتِها أَنَّها لَزِمَتِ ٱلصَّمْتَ .

كانَ مُمْسِكًا بِمِنْشَفَةٍ بَيْضاءَ ، حَجَبَ بِها ٱلجُزْءَ ٱلأَسْفَلَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَأَخْفَتْ فَمَهُ وَفَكَّيْهِ إِخْفاءً تامًّا . بَيْدَ أَنَّ هٰذا لَمْ يَكُنْ مَبْعَثَ



دَهْشَةِ ٱلسَّيِّدَةِ هُول ، فَٱلَّذي أَدْهَشَها هُوَ أَنَّ أَعْلى رَأْسِهِ ـ فَوْقَ ٱلنَّظّارَةِ ٱلزَّرْقاءِ ـ كانَ مُغَطًّى بِضِماداتٍ بَيْضاءَ ، وَكانَتْ تُغَطّي أُذُنَيْهِ ضِمادَةٌ أُخْرى ، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ وَجْهِهِ شَيْءٌ فيما عَدا أَنْفَهُ ٱلْمُدَبَّبَ ٱلأَحْمَرَ . وَكانَ أَنْفُهُ لا يَزالُ أَحْمَرَ لامِعًا مِثْلَما رَأَتْهُ عِنْدَ قُدومِهِ . وَكانَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ يَرْتَدي سُتْرَةً بُنِّيَّةً غامِقَةً لَها ياقَةٌ سَوْداءُ مَرْفوعَةٌ إِلى أَعْلى حَوْلَ عُنُقِهِ ، أَمّا شَعْرُهُ ٱلأَسْوَدُ ٱلكَثيفُ فَكانَ يَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ ٱلضِّماداتِ وَمِنْ تَحْتِها . وَكانَ هٰذا ٱلرَّأْسُ ٱلْمُضَمَّدُ يُخالِفُ ما تَوَقَّعَتْ أَنْ تَراهُ حَتّى إِنَّها وَقَفَتْ لَحْظَةً تُحَدِّقُ إِلَيْهِ .

لَمْ يَرْفَعِ ٱلغَريبُ ٱلْمِنْشَفَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، بَلْ ظَلَّ مُمْسِكًا بِها بِيَدٍ يَكْسوها قُفّازٌ رَمادِيٌّ ، وَأَخَذَ يُحَمْلِقُ إِلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول بِنَظّارَتِهِ ٱلقاتِمَةِ . وَقالَ لَها : « دَعي ٱلقُبَّعَةَ . »

بَدَأَ شُعورُها بِٱلْخَوْفِ يَقِلُّ ، وَأَعادَتِ ٱلقُبَّعَةَ إِلى مَكانِها فَوْقَ ٱلْمَقْعَدِ بِجِوارِ ٱلْمِدْفَأَةِ ، وَقالَتْ : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ يا سَيِّدي أَنَّ . . . » وَتَوَقَّفَتْ عَنِ ٱلكَلامِ .

قالَ في ٱقْتِضابٍ : « شُكْرًا لَكِ . » وَأَخَذَ يَنْتَقِلُ بِبَصَرِهِ بَيْنَها وَبَيْنَ ٱلبابِ .

قالَتْ : « سَأَعْمَلُ عَلى تَجْفيفِها جَيِّدًا ، يا سَيِّدي ، في ٱلحالِ . »

وَحَمَلَتْ مَلابِسَهُ إِلى خارِجِ ٱلغُرْفَةِ . وَتَطَلَّعَتْ مَرَّةً أُخْرى ، وَهِيَ تَنْفُذُ مِنَ ٱلبابِ ، إِلى وَجْهِهِ ٱلْمَعْصوبِ بِٱلضِّماداتِ ، وَإِلى نَظّارَتِهِ ٱلقاتِمَةِ ، فَوَجَدَتْهُ لا يَزالُ مُمْسِكًا بِٱلْمِنْشَفَةِ ٱلبَيْضاءِ فَوْقَ وَجْهِهِ . وَأَحَسَّتْ بِرَعْشَةٍ تَدِبُّ في أَوْصالِها وَهِيَ تُغْلِقُ ٱلبابَ خَلْفَها .

هَمَسَتْ : « يا إِلٰهي ! » وَٱتَّجَهَتْ إِلى ٱلْمَطْبَخِ في هُدوءٍ ، وَلَمْ يَخْطِرْ بِبالِها أَبَدًا أَنْ تَسْأَلَ ميلي عَمّا كانَتْ تَفْعَلُهُ آنَذاكَ .

اِسْتَوى ٱلغَريبُ جالِسًا ، وَأَرْهَفَ ٱلسَّمْعَ إِلى وَقْعِ خُطاها ، وَنَظَرَ صَوْبَ ٱلنّافِذَةِ قَبْلَ أَنْ يُبْعِدَ ٱلْمِنْشَفَةَ ٱلبَيْضاءَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَعادَ يَتَناوَلُ طَعامَهُ مَرَّةً أُخْرى . أَكَلَ لُقْمَةً ، وَنَظَرَ ثانِيَةً إِلى ٱلنّافِذَةِ ، ثُمَّ تَناوَلَ لُقْمَةً أُخْرى ، وَنَهَضَ ، وَأَخَذَ ٱلْمِنْشَفَةَ وَمَشى عَبْرَ ٱلغُرْفَةِ ، وَأَسْدَلَ ٱلسِّتارَ ؛ فَأَظْلَمَتِ ٱلغُرْفَةُ ، فَعادَ إِلى مائِدَتِهِ وَطَعامِهِ وَهُوَ أَسْعَدُ حالاً .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « لا بُدَّ أَنَّ ٱلْمِسْكينَ أُصيبَ في حادِثٍ ، أَوْ أُجْرِيَتْ لَهُ عَمَلِيَّةٌ جِراحِيَّةٌ ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ . كَمْ أَرْعَبَتْني هٰذِهِ ٱلضِّماداتُ ! » وَوَضَعَتْ في ٱلْمِدْفَأَةِ مَزيدًا مِنَ ٱلفَحْمِ ، وَعَلَّقَتِ ٱلْمِعْطَفَ أَمامَها لِكَيْ يَجِفَّ . وَراحَتْ تُكْمِلُ كَلامَها : « وَٱلنَّظّارَةُ !

يالَلْعَجَبِ ! إِنَّهُ لا يَبْدو عَلى ٱلإِطْلاقِ آدَمِيًّا ! وَهٰذِهِ ٱلْـمِنْشَفَةُ ٱلَّتي يُمْسِكُها بِٱسْتِمْرارٍ فَوْقَ فَمِهِ وَيَتَحَدَّثُ مِنْ خِلالِـها ! لَعَلَّهُ قَدْ أُصيبَ في فَمِهِ أَيْضًا . »

ثُمَّ ٱسْتَدارَتْ ، كَأَنَّها تَذَكَّرَتْ شَيْئًا فَجْأَةً ، وَسَأَلَتْ : « أَلَـمْ تَفْرَغي بَعْدُ يا ميلـي مِنْ إِعْدادِ ٱلْبَطاطِسِ ؟ »

حينَ ذَهَبَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول تَرْفَعُ أَوانـيَ ٱلْغَداءِ ، ٱزْدادَتْ فِكْرَتُها رُسوخًا عَنْ إِصابَةِ فَمِهِ في حادِثٍ ؛ فَرَغْمَ أَنَّهُ كانَ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ طَوالَ ٱلْوَقْتِ ٱلَّذي مَكَثَتْ فيهِ في ٱلْغُرْفَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ كانَ مُسْتَمِرًّا في إِخْفاءِ ٱلْـجُزْءِ ٱلسُّفْلِـيِّ مِنْ وَجْهِهِ .

كانَ جالِسًا في رُكْنِ ٱلْغُرْفَةِ ، وَظَهْرُهُ إِلى سِتارِ ٱلنّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ وَقَدْ خَفَّتْ حِدَّةُ تَبَرُّمِهِ عَنْ ذي قَبْلُ ، بَعْدَ أَنْ أَكَلَ وَٱرْتَوى ، وَشَعَرَ بِٱلدِّفْءِ وَٱلرّاحَةِ . وَكانَتْ نيرانُ ٱلْـمِدْفَأَةِ تَنْعَكِسُ حَـمْراءَ عَلى زُجاجِ نَظّارَتِهِ .

قالَ : « لَدَيَّ بَعْضُ ٱلْـحَقائِبِ في مَـحَطَّةِ برامْبِلْهِرِسْت ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُحْضِرَها إِلى هُنا ؟ »

أَجابَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول عَنْ سُؤالِهِ ، وَواصَلَتْ حَديثَها قائِلَةً : « إِنَّ

طَريقَ ٱلتَّلِّ مُنْحَدِرٌ يا سَيِّدي ، وَفيهِ ٱنْقَلَبَتْ إِحْدى ٱلْعَرَباتِ مُنْذُ عامٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَلَقِيَ أَحَدُ ٱلسّادَةِ مَصْرَعَهُ . إِنَّ ٱلْـحَوادِثَ تَقَعُ يا سَيِّدي في لَـحْظَةٍ خاطِفَةٍ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

« بلى . »

« لٰكِنَّ ٱلنّاسَ يَسْتَغْرِقونَ وَقْتًا طَويلاً لِكَيْ يَبْرَأوا مِنْ إِصاباتِـهِمْ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لَقَدْ وَقَعَ ٱبْنُ أُخْتي توم فَوْقَ ٱلْـمِنْجَلِ في حَقْلِ ٱلتِّبْنِ فَأُصيبَ بِجُرْحٍ في ذِراعِهِ . تَصَوَّرْ يا سَيِّدي أَنَّهُ ظَلَّ مَشْدودًا بِٱلأَرْبِطَةِ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ ! هٰذا شَيْءٌ يَكادُ لا يُصَدَّقُ يا سَيِّدي . لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْذُ تِلْكَ ٱللَّـحْظَةِ أَخافُ ٱلْـمَناجِلَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلزّائِرُ ٱلْغَريبُ : « أَسْتَطيعُ أَنْ أُدْرِكَ هٰذا . »

« كُنّا نَخْشى أَنْ يَتَطَلَّبَ ٱلأَمْرُ إِجْراءَ عَمَلِيَّةٍ جِراحِيَّةٍ . لَقَدْ كانَ في أَسْوَإِ حالٍ . »

ضَحِكَ ٱلزّائِرُ ٱلْغَريبُ فَجْأَةً ، وَكانَتْ ضِحْكَتُهُ أَشْبَهَ بِنُباحِ كَلْبٍ .

قالَ : « أَ حَقًّا ؟ »

« نَعَمْ يا سَيِّدي . كانَ في أَسْوَإِ حالٍ . وَلَـمْ يَكُنِ ٱلأَمْرُ عادِيًّا بِٱلنِّسْبَةِ لِأُولٰئِكَ ٱلَّذينَ كانوا يُمَرِّضونَهُ ، كَما فَعَلْتُ أَنا ، وَكانَتْ أُخْتي مَشْغولَةً

بِصِغارِها . كانَتْ ثَمَّةَ ضِماداتٌ أَعْصِبُ بِها ذِراعَهُ ، وَضِماداتٌ أَفُكُّها ، لِذا فَإِنّي أَتَجاسَرُ يا سَيِّدي عَلى أَنْ أَسْأَلَكَ . . . »

فَجْأَةً ، قالَ ٱلزّائِرُ الغَريبُ مُقاطِعًا إِيّاها : « هَلْ لَكِ أَنْ تَأْتيني بِبَعْضِ ٱلثِّقابِ ؛ فَقَدِ ٱنْطَفَأَ غَلْيوني . »

أَمْسَكَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول عَنِ ٱلكَلامِ ؛ فَقَدْ أَحَسَّتْ بِالفَظاظَةِ في تَصَرُّفِهِ بَعْدَ أَنْ أَفَضْتْ إِلَيْهِ بِٱلكَثيرِ ، لٰكِنَّها تَذَكَّرَتِ ٱلجُنَيْهَيْنِ ، فَمَضَتْ لِتَأْتِيَ بِٱلثِّقابِ .

قالَ بِٱقْتِضابٍ وَهُوَ يَتَناوَلُ مِنْها ٱلثِّقابَ : « أَشْكُرُكِ . » ثُمَّ أَوْلاها ظَهْرَهُ ، وَعادَ يَنْظُرُ مِنَ ٱلنّافِذَةِ ، وَكانَ واضِحًا أَنَّهُ لا يَميلُ إِلى ٱلحَديثِ عَنِ ٱلضِّماداتِ .

بَقِيَ ٱلزّائِرُ ٱلغَريبُ في غُرْفَتِهِ حَتّى ٱلرّابِعَةِ مَساءً ، دونَ أَنْ يُهَيِّئَ لِلسَّيِّدَةِ هول سَبَبًا لِزِيارَتِهِ . وَخِلالَ ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ كانَ هادِئًا جِدًّا . لَعَلَّهُ جَلَسَ في العَتَمَةِ ٱلمُتَزايِدَةِ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، أَوْ لَعَلَّهُ ٱسْتَغْرَقَ في ٱلنَّوْمِ .

وَقَدْ سَمِعَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَذْرَعُ ٱلغُرْفَةَ جيئَةً وَذَهابًا خَمْسَ دَقائِقَ . وَبَدا كَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلى نَفْسِهِ ، وَبَعْدَئِذٍ سُمِعَ لِلْمَقْعَدِ ذي ٱلمَسْنَدَيْنِ صَريرٌ وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ .

الفَصْلُ ٱلثّاني

السَّيِّدُ هَنفري يَجْفِلُ فَزِعًا

في ٱلرّابِعَةِ مَساءً ، لَمْ تَكُنِ ٱلدُّنْيا قَدْ أَظْلَمَتْ تَمامًا ، وَكانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول تَتَلَمَّسُ في نَفْسِها ٱلشَّجاعَةَ لِتَمْضِيَ إِلى ضَيْفِها لِتَسْأَلَهُ إِنْ كانَ يُريدُ شايًا . في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ جاءَ إِلى ٱلفُنْدُقِ تيدي هَنْفري ٱلَّذي يَقومُ بِإِصْلاحِ ٱلسّاعاتِ .

قالَ تيدي يُخاطِبُ ٱلسَّيِّدَةَ هول : « أُسْعِدْتِ مَساءً . إِنَّ ٱلطُّرُقاتِ مَليئَةٌ بِٱلثَّلْجِ ، وَلا تَصْلُحُ لَها ٱلأَحْذِيَةُ ٱلرَّقيقَةُ ٱلجِلْدِ ! »

وافَقَتْهُ ٱلسَّيِّدَةُ هول عَلى قَوْلِهِ ، ثُمَّ فَطِنَتْ إِلى أَنَّهُ جاءَ بِحَقيبَتِهِ مَعَهُ ، فَقالَتْ لَهُ : « الآنَ وَقَدْ جِئْتَ يا سَيِّدُ تيدي ، فَإِنَّهُ يُسْعِدُني أَنْ تَفْحَصَ ٱلسّاعَةَ ٱلعَتيقَةَ . إِنَّها تَعْمَلُ وَتَدُقُّ دَقّاتٍ عالِيَةً واضِحَةً ، غَيْرَ أَنَّ عَقْرَبَ ٱلسّاعاتِ مُتَوَقِّفٌ عِنْدَ ٱلسّادِسَةِ لا يَتَحَرَّكُ . » وَمَشَتْ تَتَقَدَّمُهُ عَبْرَ ٱلرَّدْهَةِ ، وَقَرَعَتْ بابَ ٱلرَّدْهَةِ .

عِنْدَما فَتَحَتِ الْبابَ ، رَأَتِ ٱلزَّائِرَ ٱلغريبَ جالِسًا أَمامَ ٱلـمِدْفَأَةِ عَلى ٱلـمَقْعَدِ ذي ٱلـمَسْنَدَيْنِ ، وَبَدا غارِقًا في ٱلنَّوْمِ ، وَرَأْسُهُ ٱلـمُضَمَّدُ مائِلٌ عَلى جَنْبِهِ . وَكانَ ٱلضَّوْءُ ٱلوَحيدُ في ٱلغُرْفَةِ ذٰلِكَ ٱلوَهَجَ ٱلأَحْمَرَ ٱلـمُنْبَعِثَ مِنْ نيرانِ ٱلـمِدْفَأَةِ ، وَتَراءى كُلُّ شَيْءٍ في ٱلغُرْفَةِ مَغمورًا بٱلظِّلالِ .

وَفي لَـحْظَةٍ خاطِفَةٍ خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّ لِلرَّجُلِ ٱلَّذي تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ فَمًا واسِعًا مَفْغورًا ، فَمًا يَشْغَلُ مِنْ وَجْهِهِ جُزْءَهُ ٱلأَسْفَلَ . وَتَراءى ٱلـمَشْهَدُ مِنَ ٱلبَشاعَةِ بِحَيْثُ لا يُصَدَّقُ : فَثَمَّةَ رَأْسٌ أَبْيَضُ ، وَنَظَّارَةٌ بَرَّاقَةٌ ، ثُمَّ فَجْوَةٌ كَبيرَةٌ . وَتَحَرَّكَ ٱلرَّجُلُ ، وَٱعْتَدَلَ في جِلْسَتِهِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ ، وَدَفَعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلبابَ توسِعُ فُتْحَتَهُ ، فَٱزْدادَتِ ٱلغُرْفَةُ نورًا ، وَٱسْتَطاعَتْ عِنْدَئِذٍ أَنْ تَراهُ أَكْثَرَ وُضوحًا : كانَتْ قِطْعَةُ ٱلقُماشِ تَحْجُبُ وَجْهَهُ ، كَما رَأَتْهُ مِنْ قَبْلُ مُـمْسِكًا بِها ، فَتَصَوَّرَتْ أَنَّ ظِلالَ ٱلغُرْفَةِ خَدَعَتْ بَصَرَها .

سَأَلَتْهُ : « أَ يُضايِقُكَ يا سَيِّدي أَنْ يَدْخُلَ ٱلرَّجُلُ لِيَفْحَصَ ٱلسَّاعَةَ ؟ ! »

« يَفْحَصُ ٱلسَّاعَةَ ؟ » تَساءَلَ مُـحَمْلِقًا حَوْلَهُ وَهُوَ يُغالِبُ ٱلنُّعاسَ ، ثُمَّ تَنَبَّهَ وَقالَ : « فَلْيَحْضُرْ بِٱلتَّأْكيدِ . »

اِنْصَرَفَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول لِتُحْضِرَ مِصْباحًا ، وَنَهَضَ ٱلغَريبُ واقِفًا ، وَتَمَطَّى . وَظَهَرَ ٱلضَّوْءُ ، وَبوغِتَ ٱلسَّيِّدُ تيدي هَنْفِري ، وَهُوَ عِنْدَ ٱلبابِ ، بِـمُشاهَدَةِ هٰذا ٱلإِنْسانِ ٱلـمُضَمَّدِ ، وَفَزِعَ لِرُؤْيَتِهِ وَأَجْفَلَ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ وَهُوَ يُحَمْلِقُ إِلَيْهِ : « طابَ مَساؤُكَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ هَنْفِري : « أَرْجو أَلَّا يُزْعِجَكَ وُجودي يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلغَريبُ : « كَلَّا ، بِكُلِّ تَأْكيدٍ . » ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول قائِلًا : « وَلٰكِنّي فَهِمْتُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلغُرْفَةَ لِٱسْتِعْمالِيَ ٱلخاصِّ . »

أَجابَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يا سَيِّدي أَنَّكَ تُفَضِّلُ أَنْ تَكونَ ٱلسَّاعَةُ . . . »

قاطَعَها ٱلغَريبُ : « طَبْعًا ! طَبْعًا ! وَلٰكِنّي أُفَضِّلُ أَنْ أَكونَ وَحْدي فيما بَعْدُ . » ثُمَّ ٱسْتَدارَ مُوَلِّيًا ظَهْرَهُ لِلْـمِدْفَأَةِ ، وَعَقَدَ يَدَيْهِ وَراءَ ظَهْرِهِ وَقالَ : « وَبَعْدَ أَنْ يَتِمَّ إِصْلاحُ ٱلسَّاعَةِ أُحِبُّ أَنْ أَشْرَبَ قَدَحًا مِنَ ٱلشَّايِ ، وَلَيْسَ قَبْلَ ذٰلِكَ . »

هَمَّتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول بِـمُغادَرَةِ ٱلغُرْفَةِ ، دونَ أَنْ تُحاوِلَ ٱلكَلامَ ، وَلٰكِنَّهُ

ٱبْتَدَرَها مُتَسائِلًا عَمّا إذا كانَتْ قَدْ فَعَلَتْ شَيْئًا بِشَأْنِ إِحْضارِ حَقائِبِهِ مِنْ مَحَطَّةِ برامْبِلْهِرِسْت ، فَأَجابَتْهُ بِأَنَّ ٱلحَمّالَ سَيَأْتي بِها في ٱليَوْمِ ٱلتّالي .

سَأَلَها : « أَ مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهُ لا يُمْكِنُهُ أَنْ يُحْضِرَها قَبْلَ ذٰلِكَ ؟ »

وَلَمْ تَرُدَّ ٱلسَّيِّدَةُ هول ، فَٱسْتَطْرَدَ : « كانَ يَنْبَغي أَنْ أُوَضِّحَ مِنَ ٱلبِدايَةِ أَنّي عالِمٌ ، وَلٰكِنَّ إِحْساسي بِالتَّعَبِ وَٱلبَرْدِ مَنَعَني مِنْ ذٰلِكَ . إِنَّني في حاجَةٍ إلى الأَشْياءِ ٱلَّتي في حَقائِبي . »

« طَبْعًا يا سَيِّدي . »

وَواصَلَ حَديثَهُ بِبُطْءٍ قائِلًا : « إِنَّ ٱلسَّبَبَ في قُدومي إلى أَيْبنغ هُوَ رَغْبَتي في أَنْ أَنْفَرِدَ بِنَفْسي : فَلَسْتُ أُريدُ أَنْ يُزْعِجَني أَحَدٌ ، بِالإِضافَةِ إلى أَنَّ حادِثًا . . . »

فَقالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول لِنَفْسِها : « هٰذا ما ظَنَنْتُ . »

إِسْتَطْرَدَ قائِلًا : « هٰذا ٱلحادِثُ جَعَلَ مِنَ ٱلضَّروريِّ أَنْ أَكونَ هادِئًا . كَما أَنَّ عَيْنَيَّ تَضْعُفانِ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ وَتُؤْلِمانِي ، فَلا بُدَّ لي عِنْدَئِذٍ مِنْ أَنْ أَحْبِسَ نَفْسي في ٱلظَّلامِ بِضْعَ ساعاتٍ . وَهٰذا يَحْدُثُ لي مِنْ حينٍ لآخَرَ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ في ٱلوَقْتِ ٱلحاضِرِ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . وَفي مِثْلِ

هٰذِهِ ٱلأَوْقاتِ فَإِنَّ أَبْسَطَ شَيْءٍ يَحْدُثُ يُسَبِّبُ لي أَلَمًا شَديدًا ، كَدُخولِ شَخْصٍ غَريبٍ إلى ٱلغُرْفَةِ مَثَلًا ، وَهٰذا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يَكونَ مَفْهومًا . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول : « طَبْعًا يا سَيِّدي . وَإِذا أَذِنْتَ لي فَأَعْتَقِدُ . . . »

قاطَعَها فى هُدوءٍ قائِلًا : « هٰذا كُلُّ شَيْءٍ . »

بَعْدَ أَنِ ٱنْصَرَفَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول ، لَبِثَ واقِفًا أَمامَ ٱلمِدْفَأَةِ يَتَطَلَّعُ إلى ٱلسّاعَةِ أَثْناءَ إِصْلاحِها . وَكانَ ٱلسَّيِّدُ هَنْفِري ماضِيًا في مُزاوَلَةِ عَمَلِهِ ، وَٱلمِصْباحُ عَلى كَثَبٍ مِنْهُ ، وَٱلظِّلالُ ٱلخَضْراءُ تَعْكِسُ عَلى يَدَيْهِ وَعَلى ٱلتُّروسِ ضَوْءًا لامِعًا ، تارِكَةً بَقِيَّةَ ٱلغُرْفَةِ غارِقَةً في ٱلظَّلامِ . وَٱسْتَغْرَقَ هَنْفِري وَقْتًا أَطْوَلَ مِمّا يَنْبَغي في رَفْعِ أَدَواتِهِ ، وَكانَ يَحْدوهُ ٱلأَمَلُ في أَنْ يَتَبادَلَ ٱلحَديثَ مَعَ ٱلغَريبِ ، وَلٰكِنَّ ٱلغَريبَ لَبِثَ مَكانَهُ صامِتًا جامِدًا . وَكانَ جُمودُهُ بالِغًا إلى دَرَجَةٍ أَثارَتِ ٱلخَوْفَ في قَلْبِ هَنْفِري ، وَشَعَرَ أَنَّهُ وَحيدٌ في ٱلغُرْفَةِ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَطَلِّعًا ، وَعِنْدَئِذٍ لَمْ يَرَ إِلّا ٱلظِّلالَ ٱلمُعْتِمَةَ ٱلرَّمادِيَّةَ ، وَذٰلِكَ ٱلرَّأْسَ ٱلمَعْصوبَ بِٱلضِّماداتِ ، وَتِلْكَ ٱلنَّظّارَةَ ٱلكَبيرَةَ ٱلدّاكِنَةَ ٱلَّتي تُحَمْلِقُ في ثَباتٍ .

كانَ ٱلأَمْرُ غَريبًا بِالنِّسْبَةِ لِهَنْفِري ، لِدَرَجَةٍ مَرَّتْ مَعَها ٱللَّحَظاتُ

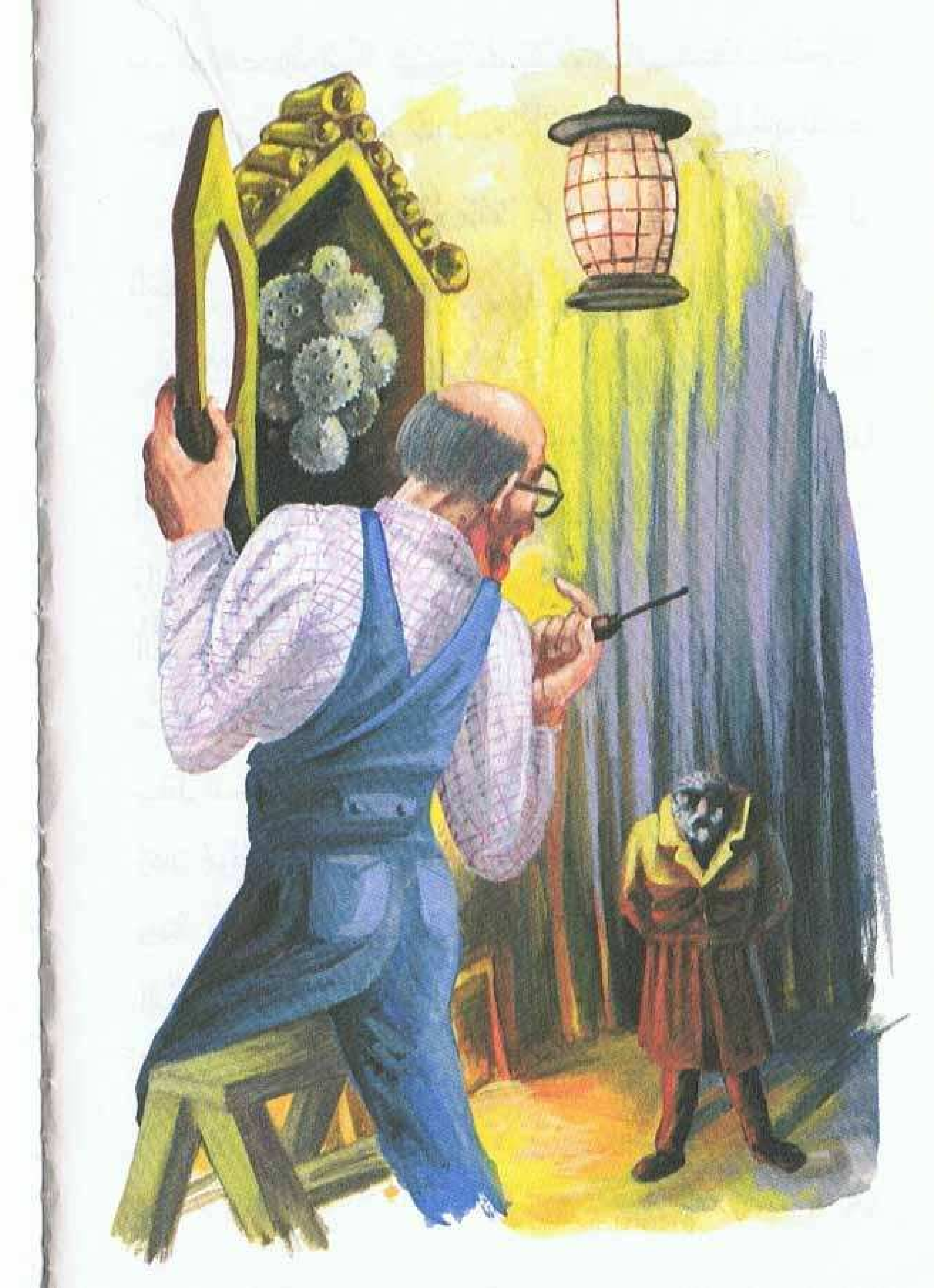
وَكُلٌّ مِنْهُما يُحَمْلِقُ إلى ٱلآخرِ . وَعِنْدَئِذٍ خَفَضَ هَنفري بَصرَهُ ، وَوَدَّ أَنْ يَقولَ شَيْئًا : أَ تُراهُ يَقولُ إنَّ ٱلـجَوَّ أَشَدُّ بُرودَةً مِـمّا هُوَ مَأْلوفٌ في مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ؟

شَرَعَ يَقولُ : « إنَّ ٱلـجَوَّ . . . »

قاطَعَهُ ٱلغَريبُ ٱلصّارِمُ بِغَضَبٍ : « هَلاّ أَنْجَزْتَ عَمَلَكَ وَٱنْصَرَفْتَ ؟ إنَّ ٱلـمَطْلوبَ مِنْكَ هُوَ أَنْ تُثَبِّتَ عَقْرَبَ ٱلسّاعاتِ . إنَّكَ تُضَيِّعُ ٱلوَقْتَ . »

« بِكُلِّ تَأْكيدٍ يا سَيِّدي . . . دَقيقَةً واحِدَةً لا أَكْثَرَ . . . لَقَدْ نَسيتُ . . . »

أَنْجَزَ ٱلسَّيِّدُ هَنْفري عَمَلَهُ وَغادَرَ ٱلغُرْفَةَ غاضِبًا . وَقالَ يُخاطِبُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَقْطَعُ شارِعَ ٱلبَلْدَةِ وَالثُّلوجُ لا تَزالُ مُنْهَمِرَةً : « عَلَيْهِ ٱللَّعْنَةُ ! لا بُدَّ لِلْـمَرْءِ أَنْ يُصْلِحَ ٱلسّاعاتِ مِنْ حينٍ لآخَرَ . أَلا يُمْكِنُ لِلْـمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ إلَيْكَ ؟ يا لَكَ مِنْ دَميمٍ ! لا أَحْسَبُكَ أَنْتَ نَفْسَكَ تُطيقُ ٱلنَّظَرَ إلى وَجْهِكَ . لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ هارِبًا مِنَ ٱلشُّرْطَةِ فَلَنْ يُخْفيكَ ٱلـمَزيدُ مِنَ ٱللَّفائِفِ وَٱلضِّماداتِ . »



وَعِنْدَ مُنْعَطَفِ ٱلشَّارِعِ رَأى ٱلسَّيِّدَ هُول ٱلَّذي تَزَوَّجَ سَيِّدَةَ ٱلفُنْدُقِ مُنْذُ عَهْدٍ قَريبٍ .

سَأَلَهُ هُول : « كَيْفَ حالُكَ يا تيدِي ؟ »

أَجابَهُ تيدِي : « إِنَّ لَدَيْكُمْ نَزيلاً غَريبَ ٱلشَّأْنِ . »

وَتَساءَلَ هُول : « ماذا تَعْني ؟ »

قالَ تيدِي : « إِنَّهُ رَجُلٌ غَريبٌ يَنْزِلُ في ٱلفُنْدُقِ . » ثُمَّ مَضى يَصِفُ ضَيْفَ ٱلسَّيِّدَةِ هُول : « إِنَّهُ شَخْصٌ عَجيبٌ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ إِنِّي ما كُنْتُ أَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقيمَ بِبَيْتي إِلاَّ إِذا رَأَيْتُ وَجْهَهُ . وَلٰكِنَّ ٱلنِّساءَ يَتَصَرَّفْنَ بِبَلاهَةٍ مَعَ ٱلأَغْرابِ . لَقَدِ ٱسْتَأْجَرَ إِحْدى ٱلغُرَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ حَتّى ٱسْمَهُ . »

فَقالَ هُول ، وَهُوَ رَجُلٌ يَتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلغَباءِ : « شَيْءٌ غَريبٌ ! »

قالَ تيدِي : « نَعَمْ ! كَما أَنَّ لَدَيْهِ ٱلعَديدَ مِنَ ٱلحَقائِبِ ٱلَّتي سَتَصِلُهُ غَدًا ، كَما يَقولُ . » وَواصَلَ تيدِي سَيْرَهُ ، وَقَدْ أَحَسَّ بِٱلارْتِياحِ .

وَفي ٱلتّاسِعَةِ وَٱلنِّصْفِ أَوى ٱلغَريبُ إِلى مِخْدَعِهِ . وَمَضى ٱلسَّيِّدُ هُول إِلى ٱلرَّدْهَةِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ ٱلأَثاثَ بِإِمْعانٍ شَديدٍ لِيُبَيِّنَ أَنَّ ٱلغَريبَ

لَيْسَ ٱلسَّيِّدَ فِي ٱلفُنْدُقِ ، ثُمَّ قالَ لِزَوْجَتِهِ ، عِنْدَما دَخَلَ مِخْدَعَهُ : « يَجِبُ أَنْ تَفْحَصي حَقائِبَ هٰذا ٱلنَّزيلِ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ عِنْدَما تَصِلُ غَدًا . »

أَجابَتْ : « اِهْتَمَّ بِشُؤُونِكَ يا هُول وَدَعْني أَهْتَمَّ بِشُؤُوني . »

بَيْدَ أَنَّها ٱسْتَيْقَظَتْ في مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ شاهَدَتْ في حُلْمِها رُؤُوسًا بَيْضاءَ ضَخْمَةً تَسْعى وَراءَها ، وَلَها أَعْناقٌ طَويلَةٌ ، وَعُيونٌ كَبيرَةٌ سَوْداءُ . وَلٰكِنْ لَمّا كانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول ٱمْرَأَةً عاقِلَةً مُتَّزِنَةً ، فَقَدِ ٱسْتَدارَتْ عَلى جَنْبِها ، وَٱسْتَغْرَقَتْ في ٱلنَّوْمِ مِنْ جَديدٍ .

الفَصلُ آلثّالِثُ

أَلْفُ زُجاجَةٍ وَزُجاجَة

كانَتْ هٰذِهِ قِصَّةَ مَجيءِ آلغَريبِ إلى قَرْيَةِ أَيْبِنْغ في آلتّاسِعِ مِنْ فِبْراير ، في بِدايَةِ فَصْلِ آلدِّفْءِ. وَفي آليَوْمِ آلتّالي وَصَلَتْ أَمْتِعَتُهُ ، وَكانَ مِنْ بَيْنِها حَقيبَتانِ عادِيَّتانِ ، وَصُنْدوقٌ كَبيرٌ مَمْلوءٌ بِآلكُتُبِ آلفَخْمَةِ ، وَكانَ آلبَعْضُ مِنْها مَكْتوبًا بِخَطٍّ تَصْعُبُ قِراءَتُهُ ؛ إلى جانِبِ عَشَرَةِ صَناديقَ أَوْ أَكْثَرَ مَمْلوءَةٍ بِآلزُّجاجاتِ ، كَما تَراءى لِهُول وَهُوَ يُزيحُ آلقَشَّ آلَّذي يُغَطّيها .

خَرَجَ آلغَريبُ مُرْتَدِيًا قُبَّعَتَهُ وَسُتْرَتَهُ وَقُفّازَهُ وَمِعْطَفَهُ لِيَسْتَقْبِلَ عَرَبَةَ فيرِنْسايْد وَهُوَ مُتَبَرِّمٌ نافِدُ آلصَّبْرِ ، عَلى حينَ كانَ هُول يَتَحَدَّثُ إلى آلحَمّالِ قَبْلَ أَنْ يُشارِكَ في نَقْلِ آلأَمْتِعَةِ إلى آلدّاخِلِ . وَلَمْ يَفْطِنِ آلغَريبُ إلى كَلْبِ فيرِنْسايْد وَهُوَ يَتَشَمَّمُ ساقَيْ هُول .

قالَ آلغَريبُ : « عَجِّلْ بِهٰذِهِ آلصَّناديقِ . لَقَدِ آنْتَظَرْتُها طَويلاً . »

وَهَبَطَ آلدَّرَجَ مُتَّجِهًا نَحْوَ مُؤَخِّرَةِ آلعَرَبَةِ كَأَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَأْخُذَ آلعُلْبَةَ آلصَّغيرَةَ .

وَلَمْ يَكَدْ كَلْبُ فيرِنْسايْد يَراهُ حَتّى أَخَذَ يُزَمْجِرُ . وَلَمّا هَبَطَ آلدَّرَجَ مُسْرِعًا آنْقَضَّ آلكَلْبُ عَلى يَدِ آلغَريبِ مُباشَرَةً . وَصَرَخَ هُول ، وَقَفَزَ إلى آلوَراءِ ، إذْ كانَ يَخْشى آلكِلابَ . وَصاحَ فيرِنْسايْد عَلى كَلْبِهِ : « أُرْقُدْ ! أُرْقُدْ ! » وَآلْتَقَطَ سَوْطَهُ بِسُرْعَةٍ .

وَرَأَيا أَنَّ أَنْيابَ آلكَلْبِ أَخْطَأَتْ يَدَ آلغَريبِ ، وَسَمِعا رَكْلَةً ، ثُمَّ شاهَدا آلكَلْبَ يَقْفِزُ وَيَعَضُّ ساقَ آلغَريبِ ، وَسَمِعا صَوْتَ تَمَزُّقِ بَنْطلونِهِ . وَعِنْدَئِذٍ هَوى فيرِنْسايْد بِآلسَّوْطِ عَلى كَلْبِهِ ، فَعَوى مِنْ شِدَّةِ آلأَلَمِ ، وَزَحَفَ تَحْتَ عَجَلاتِ آلعَرَبَةِ .

وَقَعَ كُلُّ هٰذا خِلالَ نِصْفِ دَقيقَةٍ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْهُما ، بَلْ أَخَذا يَصْرُخانِ ، وَنَظَرَ آلغَريبُ إلى قُفّازِهِ آلمُمَزَّقِ وَإلى ساقِهِ ؛ فَآسْتَدارَ وَآرْتَقى آلدَّرَجَ بِسُرْعَةٍ وَدَخَلَ آلفُنْدُقَ . وَسَمِعاهُ يَعْبُرُ آلمَمَرَّ وَيَصْعَدُ آلدَّرَجَ إلى غُرْفَتِهِ .

قالَ فيرِنْسايْد وَهُوَ يَهْبِطُ مِنَ آلعَرَبَةِ وَسَوْطُهُ في يَدِهِ ، وَكانَ كَلْبُهُ يَرْقُبُهُ

مِنْ وَراءِ ٱلعَجَلَةِ : « يا لَكَ مِنْ مُتَوَحِّشٍ ! تَعالَ هُنا ! تعالَ هُنا وَإلّا . . . »

وَقَفَ هُول مُحَمْلِقًا ، ثُمّ قالَ : « لَقَدْ عَضَّهُ ٱلكَلْبُ ، وَيَحْسُنُ بي أَنْ أَذْهَبَ لأَراهُ . » وَمَضى وَراءَ ٱلغَريبِ ، وَٱلْتَقى زَوْجَتَهُ في ٱلـمَمَرِّ فَقالَ لَها : « لَقَدْ عَضَّهُ كَلْبُ ٱلـحَمّالِ . »

وَصَعِدَ عَلى ٱلفَوْرِ إلى ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، وَدَفَعَ بابَ غُرْفَةِ ٱلغَريبِ وَدَخَلَها .

كانَتِ ٱلسِّتارَةُ مُسْدَلَةً ، وَٱلغُرْفَةُ مُظْلِمَةً . وَوَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى مَشْهَدٍ غَريبٍ : مَشْهَدِ ذِراعٍ لا يَدَ لَها تُشيرُ إلَيْهِ ، وَوَجْهٍ لَيْسَ فيهِ إلّا ثَلاثُ بُقَعٍ سَوْداءَ كَبيرَةٍ فَوْقَ شَيْءٍ أَبْيَض . وَفَجْأَةً أُصيبَ بِخَبْطَةٍ عَلى صَدْرِهِ أَلْقَتْ بِهِ خارِجَ ٱلغُرْفَةِ ، ثُمَّ ٱنْصَفَقَ ٱلبابُ في وَجْهِهِ ، وَأُغْلِقَ بِٱلـمِفْتاحِ .

حَدَثَ كُلُّ هٰذا بِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ لَمْ تُتِحْ لَهُ فُرْصَةً يَرى فيها أَيَّ شَيْءٍ بِوُضوحٍ : أَشْباحٌ تَحَرَّكَتْ ، وَخَبْطَةٌ في صَدْرِهِ ، وَدَوِيٌّ شَبيهٌ بِدَوِيِّ طَلْقَةٍ بُنْدُقِيَّةٍ . وَوَقَفَ في ٱلـمَمَرِّ ٱلـمُظْلِمِ يَتَساءَلُ عَمّا رَأى .

بَعْدَ دَقائِقَ قَليلَةٍ مَضى إلى ٱلـجَمْعِ ٱلَّذي ٱحْتَشَدَ خارِجَ ٱلفُنْدُقِ .

كانَ بَيْنَهُمْ فيرنسايْد يَرْوي ٱلقِصَّةَ كُلَّها لِلْمَرَّةِ ٱلثّانِيَةِ ؛ ثُمَّ ٱلسَّيِّدَةُ هُول تَقولُ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ كَلْبِهِ أَنْ يَعَضَّ نُزَلاءَها ؛ وَكانَ هُناكَ أَيْضًا هَكْسَتَر صاحِبُ ٱلـمَتْجَرِ ٱلواقِعِ عَلى ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلطَّريقِ يَطْرَحُ ٱلأَسْئِلَةَ ؛ ثُمَّ سانْدِيَّ وِدْجَرْز بِوَجْهِهِ ٱلـمُتَجَهِّمِ ، بِٱلإضافَةِ إلى جَمْعٍ مِنَ ٱلنِّساءِ وَٱلأَطْفالِ ، كُلُّهُمْ يَتَحَدَّثونَ .

أَمّا ٱلسَّيِّدُ هُول فَكانَ يُحَمْلِقُ إلَيْهِمْ مِنْ أَعْلى ٱلدَّرَجِ وَيُنْصِتُ إلَيْهِمْ وَهُوَ لا يُصَدِّقُ أَنَّهُ رَأى في ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ أَشْياءَ شَديدَةَ ٱلغَرابَةِ تَحْدُثُ .

أَجابَ عَنْ سُؤالٍ وَجَّهَتْهُ لَهُ زَوْجَتُهُ : « يَقولُ إنَّهُ في غَيْرِ حاجَةٍ إلى ٱلـمُساعَدَةِ ، وَيَحْسُنُ بِنا أَنْ نُدْخِلَ مَتاعَهُ إلى ٱلفُنْدُقِ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ هَكْسَتَر : « يَنْبَغي أَنْ يُبادِرَ إلى عِلاجِ ساقِهِ عَلى ٱلفَوْرِ . »

قالَتْ سَيِّدَةٌ مِنْ بَيْنِ ٱلـجَمْعِ ٱلـمُحْتَشِدِ : « لَوْ أَنِّي مَكانَهُ لأَطْلَقْتُ ٱلنّارَ عَلى هٰذا ٱلكَلْبِ . هٰذا ما كُنْتُ أَفْعَلُهُ . »

وَفَجْأَةً عادَ ٱلكَلْبُ إلى ٱلزَّمْجَرَةِ .

وَعَلا صَوْتٌ غاضِبٌ عِنْدَ مَدْخَلِ ٱلفُنْدُقِ يَقولُ : « أَسْرِعوا ! » وَإذا بِٱلغَريبِ يَقِفُ عِنْدَ ٱلـمَدْخَلِ ، وَياقَةُ سُتْرَتِهِ مَرْفوعَةٌ إلى أَعْلى ، وَحافَةُ

قُبَّعتِهِ مَرْخِيَّةٌ إلى أَسْفَلُ ، وكانَ قَدْ بَدَّلَ بَنْطلونَهُ وَقُفّازَهُ .

قالَ : « كُلَّما عَجَّلْتُمْ بِإِدْخالِ هٰذِهِ ٱلْأَشْياءِ ، زِدْتُمْ مِنْ سُروري . »

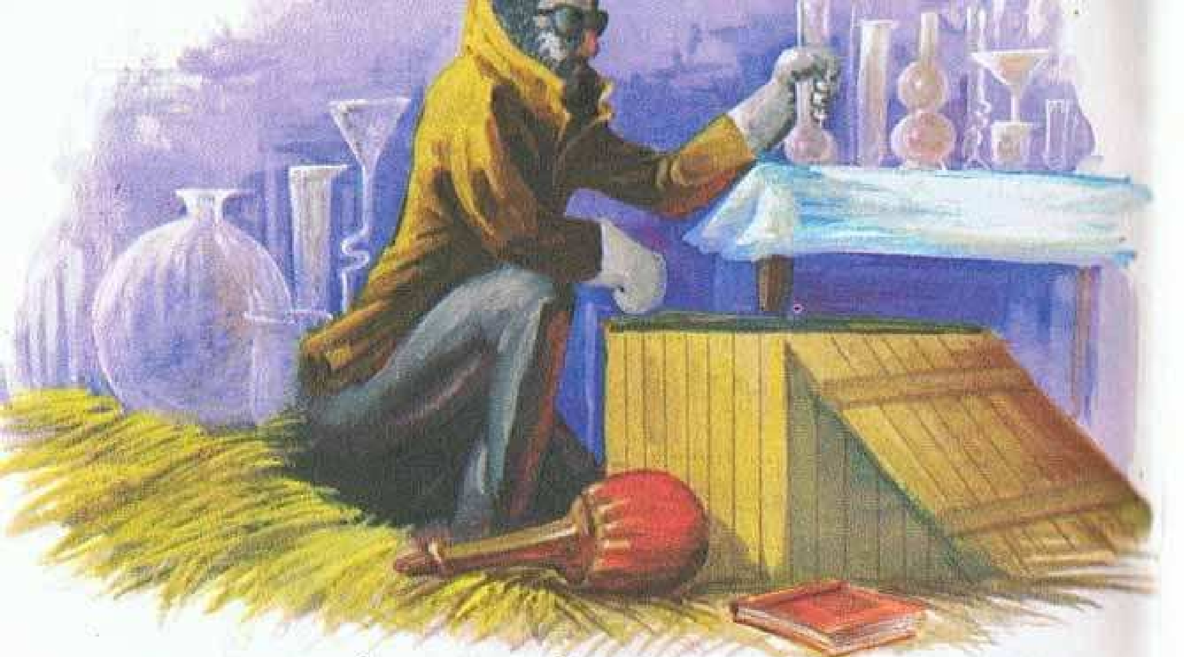
سَأَلَهُ فِيرنْسايْد : « هَلْ أَصابَكَ أَذًى يا سَيِّدي ؟ إِنّي آسِفٌ جِدًّا لأَنَّ ٱلْكَلْبَ . . . »

أَجابَهُ ٱلْغَريبُ : « كَلّا ! عَلى ٱلإِطْلاقِ ! إِنَّ جِلْدِيَ لَمْ يُجْرَحْ . أَسْرِعوا بِإِدْخالِ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ . »

ما إِنْ وُضِعَ أَوَّلُ صُنْدوقٍ في ٱلرَّدْهَةِ حَتّى مَضى ٱلْغَريبُ يَفْتَحُهُ ، وَيُبَعْثِرُ ٱلْقَشَّ عَلى ٱلأَرْضِ وَهُوَ يُخْرِجُ مِنْهُ ٱلزُّجاجاتِ : وَكانَتْ زُجاجاتٍ صَغيرةً سَميكَةً ، وَزُجاجاتٍ صَغيرَةً رَقيقَةً ، وَزُجاجاتٍ زَرْقاءَ ، وَزُجاجاتٍ مُسْتَديرَةً ، أَعْناقُها رَفيعَةٌ ، وَزُجاجاتٍ خَضْراءَ كَبيرَةً ، وَزُجاجاتٍ بَيْضاءَ كَبيرَةً ، وَزُجاجاتِ عَصيرٍ ، وَزُجاجاتٍ وَزُجاجاتٍ وَزُجاجاتٍ .

وَأَخَذَ ٱلْغَريبُ يَصُفُّ ٱلزُّجاجاتِ صُفوفًا عَلى ٱلْمِنْضَدَةِ تَحْتَ ٱلنّافِذَةِ ، وَحَوْلَ جِدارِ ٱلرَّدْهَةِ ، وَفي كُلِّ مَكانٍ .

وَجيءَ بِالصَّناديقِ واحِدًا بَعْدَ ٱلآخَرِ ، وَكانَتْ كُلُّها مَمْلوءَةً



بِالزُّجاجاتِ . وَأَفْرَغَ مِنَ ٱلصَّناديقِ سِتَّةً ، وَكَوَّمَ ٱلْقَشَّ كَوْمًا عالِيًا فَوْقَ ٱلأَرْضِ وَفَوْقَ ٱلْمائِدَةِ .

وَلَمّا ٱنْتَهى ٱلْغَريبُ مِنْ إِفْراغِ ٱلصَّناديقِ مَضى إِلى ٱلنّافِذَةِ ، وَشَرَعَ في ٱلْعَمَلِ ، دونَ أَنْ يَحْفِلَ بِالْقَشِّ ٱلْمُكَوَّمِ ، أَوْ بِالْمِدْفَأَةِ ٱلَّتي ٱنْطَفَأَتْ نيرانُها ، أَوْ بِصُنْدوقِ ٱلْكُتُبِ ٱلَّذي كانَ خارِجَ ٱلْفُنْدُقِ ، أَوْ بِالْحَقائِبِ وَٱلأَشْياءِ ٱلأُخْرى ٱلَّتي نُقِلَتْ إِلى غُرْفَتِهِ بِالطّابَقِ ٱلْعُلْوِيِّ .

وَلَمّا أَحْضَرَتْ لَهُ ٱلسَّيِّدَةُ هُول طَعامَ ٱلْغَداءِ وَهُوَ في حُجْرَتِهِ ؛ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَها إِلّا بَعْدَ أَنْ أَزاحَتْ مُعْظَمَ ٱلْقَشِّ ، وَوَضَعَتِ ٱلطَّعامَ عَلى ٱلْمائِدَةِ . وَعِنْدَئِذٍ ٱلْتَفَتَ إِلَيْها نِصْفَ ٱلْتِفاتَةٍ ؛ ثُمَّ أَدارَ وَجْهَهُ عَنْها ، وَلٰكِنَّها

رَأَتْ أَنَّهُ خلَعَ نَظّارَتَهُ ، وكانَتْ مَوْضوعَةً أَمامَهُ على ٱلمائِدَةِ ؛ وَبَدا لَها أَنَّهُ بِغَيْرِ عَيْنَيْنِ . وَلَبِسَ ٱلنَّظّارَةَ مَرَّةً أُخْرى ، وَٱلْتَفَتَ إِلَيْها . وَهَمَّتْ بِإِبْداءِ ٱسْتِيائِها مِنَ ٱلقَشِّ ٱلَّذي على أَرْضِيَّةِ ٱلغُرْفَةِ ، وَلٰكِنَّهُ سَبَقَها إلى ٱلكَلامِ .

قالَ غاضِبًا كَعادَتِهِ : « أَوَدُّ أَلّا تَدْخُلي ٱلـحُـجْرَةَ دونَ دَقِّ ٱلبابِ . »

قالَتْ : « لَقَدْ دَقَقْتُ ٱلبابَ ، وَلٰكِنْ . . . »

« أَثْناءَ ٱسْتِغْراقي في ٱلعَمَلِ لا أَقْبَلُ أَنْ . . . لا بُدَّ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكِ أَنْ . . . »

قالَتْ : « طَبْعًا يا سَيِّدي . لَكَ أَنْ تُغْلِقَ ٱلبابَ بِٱلـمِفْتاحِ في أَيِّ وَقْتٍ تَشاءُ . »

قالَ ٱلغَريبُ : « فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . »

قالَتْ : « هٰذا ٱلقَشُّ يا سَيِّدي ، إذا أَذِنْتَ لي أَنْ أَقولَ . . . »

قاطَعَها قائِلًا : « لا تَقولي شَيْئًا ، وَإذا كانَ ٱلقَشُّ يُضايِقُكِ فَأَضيفي ذٰلِكَ إلى فاتورَةِ ٱلـحِسابِ . »

وَكانَ مِنَ ٱلغَرابَةِ بِـمَكانٍ ، وَهُوَ واقِفٌ أَمامَها بِطَبْعِهِ ٱلـحادِّ تُحيطُ بِهِ

ٱلزُّجاجاتُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ لِدَرَجَةِ أَنِ ٱرْتاعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول بِشِدَّةٍ . وَلٰكِنَّها كانَتِ ٱمْرَأَةً حَكيمَةً فَقالَتْ : « أُريدُ إِذًا أَنْ أَعْرِفَ ٱلـمَبْلَغَ ٱلَّذي تَعْتَقِدُ أَنَّهُ . . . »

« شِلِنٌ . . . أَضيفي شِلِنًا إلى فاتورَتي . أَلَيْسَ ٱلشِّلِنُ مَبْلَغًا كافِيًا ؟ »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول : « لا بَأْسَ . » ثُمَّ أَخَذَتْ مِفْرَشَ ٱلمائِدَةِ ، وَشَرَعَتْ تَبْسُطُهُ فَوْقَها .

« إذا كانَ هٰذا يُرْضيكِ ، فَمِنَ ٱلطَّبيعِيِّ . . . »

ٱقْتَضَبَ عِبارَتَهُ ، وَأَوْلاها ظَهْرَهُ ، وَجَلَسَ .

ظَلَّ ٱلغَريبُ طَوالَ ٱلعَصْرِ يَعْمَلُ صامِتًا وَٱلبابُ مُوصَدٌ بِٱلـمِفْتاحِ . وَسَمِعَ مَرَّةً واحِدَةً صَوْتَ ٱصْطِدامِ ٱلزُّجاجاتِ مَعًا ، كَأَنَّ ٱلـمِنْضَدَةَ قَدِ ٱرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ صَوْتَ تَهَشُّمِ زُجاجٍ يَسْقُطُ عَلى ٱلأَرْضِ . وَسَمِعَ بَعْدَ ذٰلِكَ وَقْعَ خُطُواتٍ تَعْدو بِسُرْعَةٍ جيئَةً وَذَهابًا في ٱلغُرْفَةِ ، وَخَشِيَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول أَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ خَطيرًا ، فَمَضَتْ إلى ٱلبابِ وَأَنْصَتَتْ ، دونَ أَنْ تَحْفِلَ بِأَنْ تَطْرُقَهُ .

وَسَمِعَتْهُ يَصيحُ : « لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُواصِلَ ٱلعَمَلَ ! لا أَسْتَطيعُ أَنْ

أُواصِلَ ٱلعَمَلَ ! ثَلاثُمِئَةِ أَلْفٍ ، أَرْبَعُمِئَةِ أَلْفٍ ! قَدْ يَسْتَغْرِقُ هٰذا مِنِّي ٱلعُمْرَ كُلَّهُ ! الصَّبْرَ ! يالي مِنْ أَحْمَقَ ! »

وَسَمِعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول وَقْعَ أَقْدامٍ في غُرْفَةِ ٱلاسْتِقْبالِ ، فَلَمْ تَسْتَطِعِ ٱلبَقاءَ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمّا سَمِعَتْ . وَعِنْدَما عادَتْ وَجَدَتِ ٱلغُرْفَةَ ساكِنَةً مَرَّةً أُخْرى ، بِٱسْتِثْناءِ صَريرٍ خافِتٍ يَصْدُرُ عَنْ مَقْعَدِهِ ، وَرَنينِ زُجاجَةٍ مِنْ حينٍ لآخَرَ . لَقَدِ ٱنْتَهى كُلُّ شَيْءٍ، وَعادَ ٱلغَريبُ يُزاوِلُ عَمَلَهُ .

بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ ، جاءَتْهُ بِٱلشّايِ ، وَرَأَتْ زُجاجًا مُحَطَّمًا في أَحَدِ أَرْكانِ ٱلغُرْفَةِ فَأَشارَتْ إِلَيْهِ . فَقالَ لَها : « أَضيفي هٰذا أَيْضًا إِلى فاتورَةِ ٱلحِسابِ . سَأَلْتُكِ بِٱللّٰهِ أَلاّ تُزْعِجيني ! وَإِذا أَتْلَفْتُ شَيْئًا ، فَأَضيفيهِ إِلى ٱلحِسابِ . »

ثُمَّ مَضى يُواصِلُ ٱلكِتابَةَ .

كانَ فيرِنْسايْد وَصاحِبُهُ تيدي هَنْفري في فُنْدُقٍ صَغيرٍ خارِجَ قَرْيَةِ أَيْبِنْغ . قالَ لَهُ : « سَأُفْضي لَكَ بِشَيْءٍ . »

سَأَلَهُ تيدي هَنْفري : « ما هُوَ ؟ »

أَجابَ : « الغَريبُ ! هٰذا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، وَٱلَّذي عَضَّهُ كَلْبي . . . إِنَّهُ أَسْوَدُ ٱلبَشَرَةِ ، أَوْ لَعَلَّ ساقَيْهِ وَحْدَهُما عَلى ٱلأَقَلِّ سَوْداوانِ . لَقَدْ رَأَيْتُ ذٰلِكَ مِنْ خِلالِ ثُقوبِ ٱلبَنْطَلونِ وَٱلقُفّازِ ٱلمُمَزَّقَيْنِ . طَبْعًا كانَ ٱلمُتَوَقَّعُ أَنْ نَرى شَيْئًا أَحْمَرَ ٱللَّوْنِ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ وَلٰكِنْ ما رَأَيْناهُ لَمْ يَكُنْ إِلاّ سَوادًا . نَعَمْ ، إِنَّهُ أَسْوَدُ ٱلبَشَرَةِ كَقُبَّعَتي هٰذِهِ . »

قالَ هَنْفري : « يا إِلٰهي ! إِنَّ ٱلأَمْرَ لَعَجيبٌ ! إِنَّ أَنْفَهُ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ طِلاءٌ أَحْمَرُ ٱللَّوْنِ . »

قالَ فيرِنْسايْد : « هٰذا صَحيحٌ ، وَأَعْرِفُ ذٰلِكَ . وَسَأَقولُ لَكَ ما أُفَكِّرُ فيهِ : إِنَّ هٰذا ٱلرَّجُلَ أَسْوَدُ في بَعْضِ أَجْزاءِ جِسْمِهِ ، وَأَبْيَضُ في أَجْزاءٍ أُخْرى ، وَلا يَجْرُؤُ عَلى إِظْهارِ ذٰلِكَ . إِنَّهُ مُوَلَّدٌ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ أَشْياءَ مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ . وَهٰذا أَمْرٌ شائِعٌ في تَرْبِيَةِ ٱلخَيْلِ كَما تَعْرِفُ . »

الفَصْلُ الرّابِعُ

السَّيِّدُ كاس يَتَحَدَّثُ إلى الغَريبِ

نادِرًا ما كانَ الغَريبُ يَخْرُجُ في النَّهارِ ، أمّا في المَساءِ فقَدْ دأَبَ على الخُروجِ مُتَدَثِّرًا حتّى عَيْنَيْهِ ، سَواءٌ أ كانَ الجَوُّ بارِدًا أمْ غَيْرَ بارِدٍ ، وكانَ دائِمًا يَخْتارُ الطُّرُقَ المُنْعَزِلَةَ . وَقَدْ فوجِئَ عامِلانِ ، كانا عائِدَيْنِ إلى مَنْزِلَيْهِما ، بِنَظّارَتِهِ وَوَجْهِهِ المُضَمَّدِ تَحْتَ قُبَّعَتِهِ السَّوْداءِ الكَبيرَةِ ، عِنْدَما خَرَجَ عَلَيْهِما مِنَ الظَّلامِ .

وَذاتَ مَرَّةٍ كانَ تيدي هَنْفري خارِجًا في التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ مِنْ أَحَدِ المَتاجِرِ ، فَفَزِعَ لِرُؤْيَتِهِ رَأْسَ الغَريبِ الأَبْيَضَ المُسْتَديرَ - لأَنَّهُ كانَ يَمْشي وَقُبَّعَتُهُ في يَدِهِ - يَلْمَعُ في ضَوْءٍ انْبَعَثَ فَجْأَةً مِنْ بابِ المَتْجَرِ المَفْتوحِ . وَلَمْ يَكُنْ واضِحًا ما إذا كانَ الغَريبُ يَكْرَهُ الأَوْلادَ أَكْثَرَ مِمّا يَكْرَهونَهُ ، وَلٰكِنْ مِمّا لا شَكَّ فيهِ أَنَّهُ كانَ ثَمَّةَ كَراهِيَةٌ مُتَبادَلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ .

بِطَبيعَةِ الحالِ كانَ النّاسُ يَتَحَدَّثونَ عَنْهُ في أَيْبنغ ، وَكانوا عاجِزينَ

عَنْ أَنْ يَعْرِفوا لَهُ عَمَلًا . قالَتِ السَّيِّدَةُ هول إِنَّهُ اكْتَشَفَ أَشْياءَ ، وَإِنَّ حادِثًا وَقَعَ لَهُ ، فَأَصْبَحَ يَكْرَهُ أَنْ يَرى النّاسُ وَجْهَهُ المَليءَ بِالنُّدوبِ القَبيحَةِ .

وَقالَ البَعْضُ : « إِنَّهُ مُجْرِمٌ هارِبٌ مِنَ الشُّرْطَةِ . » وَقالَ آخَرونَ : « إِنَّ بَعْضَ أَجْزاءِ جِسْمِهِ أَبْيَضُ وَالبَعْضَ الآخَرَ أَسْوَدُ ، وَإِنَّهُ لَوِ اخْتارَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ في الأَسْواقِ لَجَنى مِنْ وَراءِ ذٰلِكَ أَمْوالًا كَثيرَةً . » وَظَنَّ القَليلُ مِنَ النّاسِ أَنَّهُ مَجْنونٌ لا يُؤْذي أَحَدًا . وَبَدَأَ أَخيرًا بَعْضُ النِّساءِ يَعْتَقِدْنَ أَنَّهُ شَبَحٌ أَوْ ساحِرٌ .

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ ، لأَنَّهُ كانَ دائِمًا غاضِبًا ، وَلَمْ يُظْهِرْ أَيَّةَ مَوَدَّةٍ لأَحَدٍ . فَكانَ إذا مَرَّ بِشَوارِعِ القَرْيَةِ تَجَنَّبَهُ النّاسُ ، وَإِذا مَضى في سَبيلِهِ رَفَعَ الشُّبّانُ ياقاتِ مَعاطِفِهِمْ ، وَأَرْخَوْا حافاتِ قُبَّعاتِهِمْ ، وَساروا خَلْفَهُ يَتَنَدَّرونَ بِهِ . أَمّا الدُّكْتورُ كاس فَقَدْ أَبْدى اهْتِمامًا بِالضِّماداتِ وَالزُّجاجاتِ ، وَظَلَّ طَوالَ شَهْرَيْ إِبْريل وَمايو مُتَلَهِّفًا عَلى مُحادَثَةِ هٰذا الغَريبِ . وَأَخيرًا ، وَفي أَحَدِ الأَعْيادِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ لا يُطيقُ صَبْرًا ، فَمَضى لِزِيارَتِهِ . وَدَهِشَ حينَ وَجَدَ أَنَّ السَّيِّدَ هول حَتّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ اسْمَ ضَيْفِهِ .

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « لَقَدْ ذَكَرَ لِيَ آسْمًا ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَسْمَعْهُ بِوُضوحٍ . » وَلَمْ تَكُنْ صادِقَةً في قَوْلِها ، فَقَدْ رَأَتْ أَنَّهُ مِنَ السُّخْفِ أَلَّا تَعْرِفَ آسْمَ آلرَّجُلِ .

وَتَناهى إلى سَمْعِ كاس أَلْفاظُ شَتْمٍ وَسِبابٍ داخِلَ حُجْرَةِ آلجُلوسِ ، فَمَضى إلى آلبابِ وَدَقَّهُ وَدَخَلَ .

قالَ : « أَرْجو آلمَعْذِرَةَ لِاقْتِحامي حُجْرَتَكَ . » وَأَغْلَقَ آلبابَ خَلْفَهُ في وَجْهِ آلسَّيِّدَةِ هُول .

خِلالَ آلدَّقائِقِ آلعَشْرِ آلتّالِيَةِ ظَلَّتِ آلسَّيِّدَةُ هُول تَسْمَعُ أَصْواتًا ، أَعْقَبَتْها صَيْحَةُ دَهْشَةٍ ، ثُمَّ حَرَكَةُ أَقْدامٍ ، وَصَوْتُ مَقْعَدٍ يُلْقى جانِبًا ، وَضَحْكَةٌ ، وَوَقْعُ خُطُواتٍ تَتَّجِهُ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ آلبابِ . وَظَهَرَ كاس شاحِبَ آلوَجْهِ ، جاحِظَ آلعَيْنَيْنِ . وَتَرَكَ وَراءَهُ آلبابَ مَفْتوحًا ، وَآجْتازَ آلرَّدْهَةَ ، وَهَبَطَ آلدَّرَجَ دونَ أَنْ يَنْظُرَ إلى آلسَّيِّدَةِ هُول . وَسَمِعَتْ وَقْعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ مُسْرِعُ آلخُطى عَبْرَ آلطَّريقِ وَقُبَّعَتُهُ في يَدِهِ .

كانَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول واقِفَةً خَلْفَ مِنْضَدَةٍ تَتَطَلَّعُ إلى بابِ حُجْرَةِ آلجُلوسِ آلمَفْتوحِ ، ثُمَّ سَمِعَتِ آلرَّجُلَ آلغَريبَ يَضْحَكُ بِهُدوءٍ ،

وَطَرَقَ سَمْعَها بَعْدَ ذٰلِكَ وَقْعُ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَعْبُرُ آلغُرْفَةَ . وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِها أَنْ تَرى وَجْهَهُ مِنَ آلمَكانِ آلَّذي كانَتْ واقِفَةً فيهِ . وَأُغْلِقَ بابُ حُجْرَةِ آلجُلوسِ بِصَوْتٍ عالٍ ، وَخَيَّمَ آلسُّكونُ عَلى آلمَكانِ مِنْ جَديدٍ .

مَضى كاس مِنْ فَوْرِهِ إلى بَنْتِنْغ ، رَجُلِ آلدّينِ في آلقَرْيَةِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ غُرْفَةَ مَكْتَبِهِ آلصَّغيرَةَ ، وَبَدَأَ حَديثَهُ قائِلًا : « هَلْ أَنا مَجْنونٌ ؟ هَلْ أَبْدو رَجُلًا مَجْنونًا ؟ »

سَأَلَهُ بَنْتِنْغ : « ماذا حَدَثَ ؟ »

« هٰذا آلرَّجُلُ . . . نَزيلُ آلفُنْدُقِ . . . »

« ما شَأْنُهُ ؟ »

اِرْتَمى آلطَّبيبُ عَلى أَحَدِ آلمَقاعِدِ قائِلًا : « قَدِّمْ لي شَيْئًا أَشْرَبْهُ . »

وَعِنْدَما هَدَأَتْ أَعْصابُهُ ، بَعْدَ أَنْ تَناوَلَ كوبًا مِنْ عَصيرِ آلبُرْتُقالِ ، قالَ : « لَقَدْ دَخَلْتُ حُجْرَتَهُ ، وَكانَ قَدْ وَضَعَ يَدَيْهِ في جَيْبَيْهِ ، وَجَلَسَ عَلى كُرْسِيِّهِ . وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّني سَمِعْتُ أَنَّهُ مُهْتَمٌّ بِبَعْضِ آلمَسائِلِ آلعِلْمِيَّةِ ، فَرَدَّ بِالإِيجابِ . وَحاوَلْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ، فَآسْتَشاطَ

غَضَبًا . . . ثُمَّ أَخْبَرَني أَنَّهُ كانَتْ لَدَيْهِ وَرَقَةٌ . وَرَقَةٌ مُهِمَّةٌ ، بَلْ في غايَةِ الأَهَمِّيَّةِ وَالقيمَةِ . وَهِيَ عِبارَةٌ عَنْ قائِمَةٍ بِـ . . . وَسَأَلْتُهُ : هَلْ تَحْوي أَسْماءَ أَدْوِيَةٍ ؟ فَكانَ جَوابُهُ : وَلِـمَ تُريدُ أَنْ تَعْرِفَ ؟ وَعَلى أَيَّةِ حالٍ كانَتْ هٰذِهِ الوَرَقَةُ ذاتَ قيمَةٍ عَظيمَةٍ . وَقَدْ قَرَأَها ، وَوَضَعَها عَلى الـمِنْضَدَةِ ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنْها . وَهَبَّتْ ريحٌ فَأَطارَتِ الوَرَقَةَ ، وَأَلْقَتْ بِها في نيرانِ الـمِدْفَأَةِ وَاحْتَرَقَتْ ، وَرَأى دُخانَها يَتَصاعَدُ في الـمِدْخَنَةِ . وَبَيْنَما كانَ يَحْكي لي هٰذِهِ القِصَّةَ رَفَعَ ذِراعَهُ ، وَكانَ كُمُّهُ فارِغًا ، وَكانَ بِوُسْعي أَنْ أَرى خِلالَ الكُمِّ كُلِّهِ ، وَلَسْتُ أَدْري ما الَّذي يَجْعَلُ الكُمَّ مَرْفوعًا وَمَفْتوحًا ما لَـمْ يَكُنْ بِداخِلِهِ شَيْءٌ ؟

« سَأَلْتُهُ : "كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُحَرِّكَ كُمًّا فارِغًا عَلى هٰذا النَّحْوِ ؟"

« فَقالَ : "كُمًّا فارِغًا ؟"

« قُلْتُ : "نَعَمْ ، كُمًّا فارِغًا ."

« قالَ : "إِذًا فَهُوَ كُمٌّ فارِغٌ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ إِنَّكَ رَأَيْتَهُ كُمًّا فارِغًا ."

« نَهَضَ واقِفًا ، فَنَهَضْتُ مِثْلَهُ . وَأَقْبَلَ نَحْوي في ثَلاثِ خُطُواتٍ بَطيئَةٍ ، وَوَقَفَ بِجانِبي تَمامًا .

« قالَ : "هَلْ قُلْتَ إِنَّهُ كُمٌّ فارِغٌ" فَأَجَبْتُ : "بِكُلِّ تَأْكيدٍ ." وَفي هُدوءٍ تامٍّ أَخْرَجَ كُمَّهُ مِنْ جَيْبِهِ ثانِيَةً ، وَرَفَعَ ذِراعَهُ أَمامَ وَجْهي ، كَأَنَّما يُريدُ أَنْ يُرِيَني إِيّاها مَرَّةً أُخْرى ، وَفَعَلَ ذٰلِكَ بِبُطْءٍ شَديدٍ لِلْغايَةِ . وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ مَبْهورَ الأَنْفاسِ ، وَقُلْتُ وَأَنا أَجْلو صَوْتِيَ الـمُحْتَبِسَ : "نَعَمْ ، إِنَّهُ فارِغٌ لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ."

« بَدَأَ الـخَوْفُ يُداخِلُني ، فَقَدْ نَفَذَ بَصَري في الكُمِّ تَمامًا . وَقامَ بِمَدِّهِ نَحْوي مُباشَرَةً وَبِبُطْءٍ شَديدٍ - عَلى هٰذا النَّحْوِ - حَتّى صارَ عَلى بُعْدِ بِضْعَةِ سَنْتيمِتْراتٍ مِنْ وَجْهي . وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ كُمًّا فارِغًا يَقْتَرِبُ مِنْكَ بِتِلْكَ الطَّريقَةِ ! وَعِنْدَئِذٍ . . . »



« ثُمَّ ماذا ؟ »

« جَذَبَ أَنْفِي شَيْءٌ شَعَرْتُ كَأَنَّهُ سَبَّابَةٌ وإِبْهامٌ . »

أَخَذَ بَنْتِنْغ يَضْحَكُ .

قالَ كاس : « لَمْ يَكُنْ في ٱلكُمِّ شَيْءٌ! » وَٱرْتَفَعَ صَوْتُهُ حَتّى صارَ صُراخًا وَهُوَ يَنْطِقُ بِكَلِمَةِ ٱلكُمِّ .

وَواصَلَ ٱلطَّبيبُ حَديثَهُ : « لَكَ أَنْ تَضْحَكَ كَما تَشاءُ ، وَلٰكِنِّي لا أَكْتُمُكَ ٱلقَوْلَ إِنَّني كُنْتُ مَذْعورًا ، فَضَرَبْتُ كُمَّهُ بِشِدَّةٍ ، وَٱسْتَدَرْتُ وَغادَرْتُ ٱلغُرْفَةَ عَدْوًا ، وَتَرَكْتُهُ . . . »

تَوَقَّفَ كاس عَنِ ٱلحَديثِ ، وَكانَ واضِحًا أَنَّهُ خائِفٌ ، وَٱسْتَدارَ في يَأْسٍ وَقُنوطٍ وَصَبَّ لِنَفْسِهِ كوبًا آخَرَ مِنْ عَصيرِ ٱلبُرْتُقالِ ، ثُمَّ قالَ : « أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّني عِنْدَما ضَرَبْتُ كُمَّهُ ، شَعَرْتُ كَأَنَّني أَضْرِبُ ذِراعًا حَقيقِيَّةً . وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَيَّةُ ذِراعٍ ! »

فَكَّرَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ في ٱلأَمْرِ ، وَقالَ : « إِنَّها حِكايَةٌ غَريبَةٌ جِدًّا . »

وَبَدَتْ عَلى مَلامِحِهِ عَلاماتُ ٱلحِكْمَةِ وَٱلوَقارِ وَهُوَ يُكَرِّرُ قَوْلَهُ : « إِنَّها حَقًّا حِكايَةٌ غَريبَةٌ جِدًّا . »

الفَصْلُ ٱلخامِسُ

السَّرِقَةُ

وَقَعَتْ سَرِقَةٌ في بَيْتِ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ في ٱلسّاعاتِ ٱلأولى مِنْ صَباحِ يَوْمِ ٱلاثْنَيْنِ ٱلتّالي لِمِهْرَجانِ ٱلرَّبيعِ ٱلَّذي تُقيمُهُ قَرْيَةُ أَيْبِنْغ . وَيَبْدو أَنَّ زَوْجَةَ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ صَحَتْ فَجْأَةً في لَحَظاتِ ٱلسُّكونِ ٱلَّتي تَسْبِقُ شُروقَ ٱلشَّمْسِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَها إِحْساسٌ قَوِيٌّ بِأَنَّ بابَ حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ قَدْ فُتِحَ ثُمَّ أُغْلِقَ . فى ٱلبِدايَةِ لَمْ توقِظْ زَوْجَها ، بَلْ جَلَسَتْ في ٱلفِراشِ تُرْهِفُ ٱلسَّمْعَ . ثُمَّ سَمِعَتْ بِوُضوحٍ وَقْعَ أَقْدامٍ حافِيَةٍ آتِيَةً مِنَ ٱلحُجْرَةِ ٱلمُجاوِرَةِ ، تَسيرُ في ٱلمَمْشى مُتَّجِهَةً إِلى ٱلدَّرَجِ . وَعِنْدَما أَيْقَنَتِ ٱلأَمْرَ ، بادَرَتْ إِلى إيقاظِ زَوْجِها ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ بِأَقْصى ما ٱسْتَطاعَتْ مِنْ هُدوءٍ . وَلَمْ يُشْعِلْ زَوْجُها ٱلمِصْباحَ ، وَإِنَّما تَناوَلَ نَظّارَتَهُ وَلَبِسَها ، وَٱرْتَدى خُفَّيْنِ خَفيفَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْ حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ لِيُنْصِتَ . وَسَمِعَ بِوُضوحٍ شَديدٍ خُطُواتِ شَخْصٍ يَتَحَرَّكُ في حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ في ٱلطّابَقِ

ٱلْأَرْضِيِّ ، ثُمَّ سَمِعَ بَعْدَ ذٰلِكَ عَطْسَةً قَوِيَّةً .

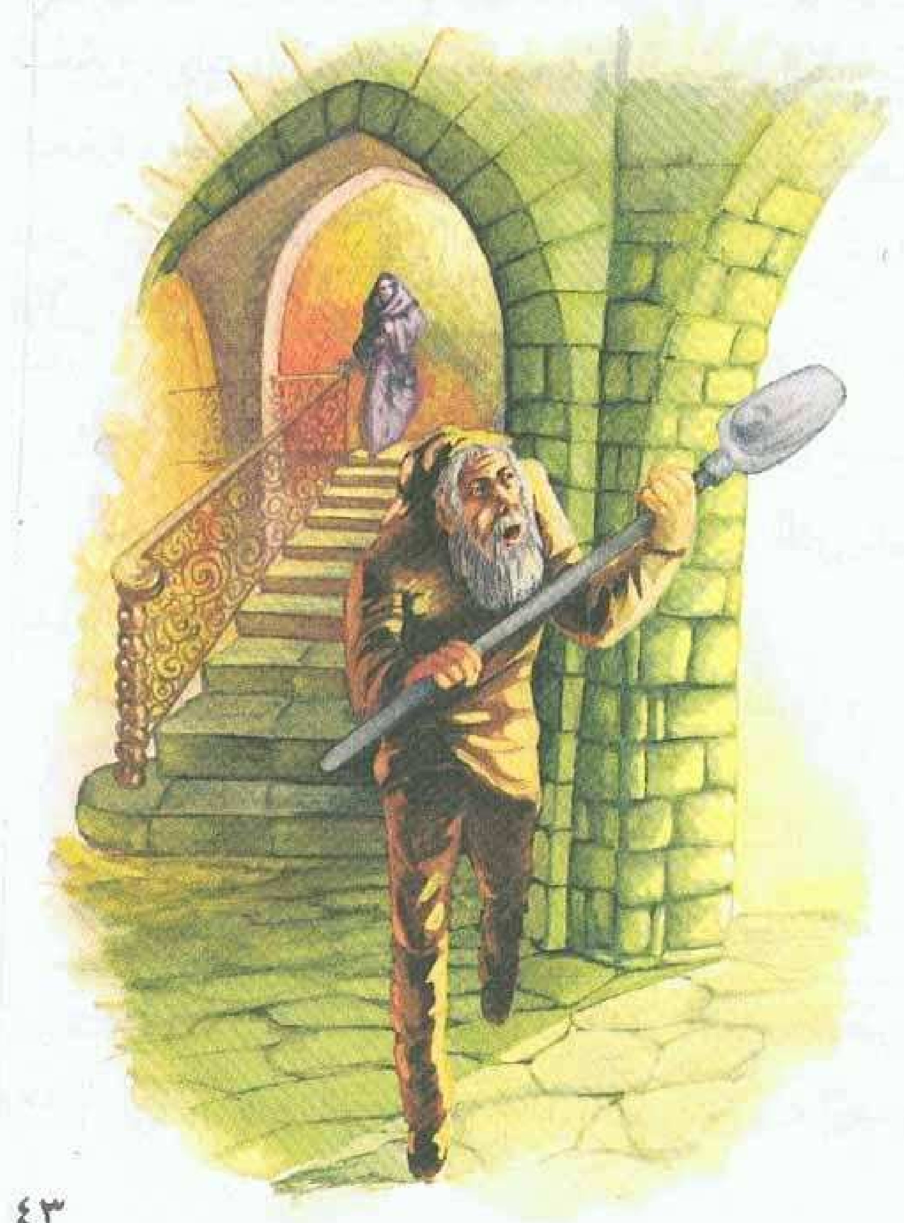
عِنْدَئِذٍ عادَ إِلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَتَسَلَّحَ بِقَضِيبِ تَقْلِيبِ ٱلنَّارِ في ٱلْمِدْفَأَةِ ، وَهَبَطَ ٱلدَّرَجَ بِأَقْصى ما يَسْتَطِيعُ مِنْ سُكُونٍ ، في حِينِ أَنَّ زَوْجَتَهُ وَقَفَتْ أَعْلى ٱلدَّرَجِ .

كانَتِ ٱلسَّاعَةُ إِذْ ذاكَ حَوالى ٱلرَّابِعَةِ ، وَقَدْ تَبَدَّدَتْ آخِرُ ظُلُماتِ ٱللَّيْلِ . وَكانَ يُضِيءُ ٱلْمَمْشى نُورٌ خافِتٌ ، وَرَأى بابَ حُجْرَةِ ٱلْمَكْتَبِ مُوارَبًا . كانَ كُلُّ شَيْءٍ ساكِنًا فِيما عَدا صَرِيرَ ٱلدَّرَجِ تَحْتَ قَدَمَيِ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ، وَٱلْحَرَكاتِ ٱلْخافِتَةِ في حُجْرَةِ ٱلْمَكْتَبِ . وَسَمِعَ صَوْتَ دُرْجٍ يُفْتَحُ ، ثُمَّ خَشْخَشَةَ أَوْراقٍ ، وَبَعْدَها سَمِعَ صَوْتًا يَلْعَنُ وَيَسُبُّ ، ثُمَّ صَوْتَ عُودِ ثِقابٍ يُشْعَلُ ، وَعِنْدَئِذٍ غَمَرَ ٱلْحُجْرَةَ ضَوْءٌ أَصْفَرُ .

كانَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ وَقْتَئِذٍ في ٱلرَّدْهَةِ ، وَمِنْ خِلالِ بابِ ٱلْغُرْفَةِ ٱلْمُوارَبِ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَرى ٱلْمَكْتَبَ ، وَدُرْجًا مَفْتُوحًا ، وَشَمْعَةً مُضاءَةً فَوْقَ ٱلْمَكْتَبِ . بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَنْ يَرى ٱللِّصَّ . وَظَلَّ واقِفًا في ٱلرَّدْهَةِ لا يَدْرِي ماذا يَفْعَلُ . أَمّا زَوْجَتُهُ فَقَدْ تَسَلَّلَتْ وَراءَهُ بِبُطْءٍ ، شاحِبَةَ ٱلْوَجْهِ جامِدَةَ ٱلْقَسَماتِ .

وَسَمِعَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ وَزَوْجَتُهُ رَنِينَ نُقُودٍ ، وَأَدْرَكا أَنَّ ٱللِّصَّ عَثَرَ عَلى

نَفَقاتِ ٱلْمَنْزِلِ ، وَهِيَ جُنَيْهانِ وَعَشَرَةُ شِلِناتٍ ، ذَهَبًا وَفِضَّةً . وَأَثارَ هٰذا ٱلصَّوْتُ غَضَبَ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ، فَشَدَّ قَبْضَتَهُ عَلى قَضِيبِ تَقْلِيبِ ٱلنَّارِ ، وَجَرى داخِلًا إِلى ٱلْغُرْفَةِ تَتْبَعُهُ زَوْجَتُهُ .



قالَ لَها : « تَعالَيْ يا عَزيزَتي . . . » وَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلكَلامِ لِأَنَّ ٱلحُجْرَةَ كانَتْ خالِيَةً تَمامًا .

وَمَعَ ذٰلِكَ كانا عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُما سَمِعا شَخْصًا يَتَحَرَّكُ في ٱلحُجْرَةِ . وَلَبِثا واقِفَيْنِ نِصْفَ دَقيقَةٍ ، ٱجْتازَتْ بَعْدَها ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ ٱلحُجْرَةَ ، وَنَظَرَتْ وَراءَ ٱلسِّتارِ عَلى حينَ نَظَرَ زَوْجُها تَحْتَ ٱلمَكْتَبِ وَفي داخِلِ ٱلمِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ يُلَوِّحُ في ٱلظَّلامِ بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ . ثُمَّ وَقَفَ ٱلاثْنانِ ساكِنَيْنِ وَٱلدَّهْشَةُ في عُيونِهِما .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ : « إِنّي واثِقَةٌ تَمامًا بِأَنَّ . . . »

قاطَعَها ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ قائِلًا : « وَٱلشَّمْعَةُ ! مَنِ ٱلَّذي أَضاءَ ٱلشَّمْعَةَ ؟ »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ : « وَٱلدُّرْجُ ! لَقَدِ ٱخْتَفَتِ ٱلنُّقودُ ! »

وَأَسْرَعَتْ إِلى مَدْخَلِ ٱلبَيْتِ .

قالَتْ : « مَنِ ٱلَّذي . . . »

وَسَمِعا عَطْسَةً قَوِيَّةً في ٱلمَمْشى ، فَٱنْدَفَعَ ٱلاثْنانِ خارِجَيْنِ ، وَعِنْدَئِذٍ ٱنْصَفَقَ بابُ ٱلمَطْبَخِ ، فَقالَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « أَحْضِري

ٱلشَّمْعَةَ » ثُمَّ مَشى أَمامَها .

وَلَمّا فَتَحَ بابَ ٱلمَطْبَخِ رَأى ٱلبابَ ٱلخَلْفِيَّ يَنْفَتِحُ ، وَضَوْءَ ٱلشُّروقِ يَكْشِفُ ٱلحَديقَةَ أَمامَ عَيْنَيْهِ . وَكانَ موقِنًا أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ذٰلِكَ ٱلبابِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فُتِحَ ٱلبابُ ، وَلَبِثَ مَفْتوحًا بُرْهَةً ، ثُمَّ ٱنْصَفَقَ بِشِدَّةٍ .

خَرَجا إِلى ٱلحَديقَةِ يُفَتِّشانِها ، ثُمَّ ٱرْتَدّا إِلى ٱلمَطْبَخِ عائِدَيْنِ ، وَكانَ ٱلمَكانُ خالِيًا . وَأَغْلَقا ٱلبابَ ٱلخَلْفِيَّ بِٱلمِزْلاجِ ، وَفَتَّشا ٱلمَطْبَخَ وَجَميعَ ٱلغُرَفِ تَفْتيشًا دَقيقًا ، فَلَمْ يَجِدا أَحَدًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ قاما بِتَفْتيشِ ٱلطّابَقَيْنِ ٱلعُلْوِيِّ وَٱلأَرْضِيِّ .

بَزَغَ ضَوْءُ ٱلنَّهارِ وَٱلرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ يُفَتِّشانِ ٱلبَيْتَ عَلى نورِ ٱلشَّمْعَةِ ٱلذّابِلِ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « لَقَدْ قُلْتُ مِرارًا وَتَكْرارًا إِنَّهُ مِنْ بَيْنِ جَميعِ ٱلأَحْداثِ ٱلمُثيرَةِ لِلدَّهْشَةِ . . . »

قاطَعَتْهُ ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ قائِلَةً : « إِنَّ ٱلخادِمَةَ آتِيَةٌ يا عَزيزي ، فَٱنْتَظِرْ هُنا حَتّى تَدْخُلَ ٱلمَطْبَخَ ، ثُمَّ ٱصْعَدْ إِلى ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ . »

الفَصْلُ السَّادِسُ
الأَثاثُ ٱلَّذي مَسَّهُ ٱلـجُنونُ

حينَ نَزَلَ هُول إلى ٱلطَّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ في ٱلسَّاعاتِ ٱلـمُبَكِّرَةِ مِنَ ٱلاثْنَيْنِ ٱلتَّالي لِـمِهْرَجانِ ٱلرَّبيعِ ، لاحَظَ أَنَّ بابَ حُـجْرَةِ ٱلغَريبِ مَفْتوحٌ ، وَأَنَّ ٱلبابَ ٱلأَمامِيَّ لَـمْ يَكُنْ مُغْلَقًا بِٱلـمِزْلاجِ . وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ في ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِقَةِ كانَ مُمْسِكًا بِٱلشَّمْعَةِ يُنيرُ لِزَوْجَتِهِ ٱلـمَكانَ وَهِيَ توصِدُ ٱلبابَ بِٱلـمِزْلاجِ . وَلَـمَّا رَأى هٰذا وَقَفَ مَكانَهُ ، وَرَجَعَ وَصَعِدَ ٱلدَّرَجَ إلى ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ وَدَقَّ بابَ حُجْرَةِ ٱلغَريبِ فَلَـمْ يَسْمَعْ رَدًّا . فَدَقَّ ٱلبابَ مَرَّةً أُخْرى ، ثُمَّ دَفَعَ ٱلبابَ فَٱنْفَتَحَ ، وَدَخَلَ ٱلـحُجْرَةَ .

كانَ ٱلأَمْرُ كَما تَوَقَّعَ : رَأى ٱلفِراشَ خالِيًا ، وَكَذٰلِكَ ٱلغُرْفَةَ . وَأَغْرَبُ مِنْ هٰذا أَنَّهُ رَأى مَلابِسَ ٱلغَريبِ مُتَناثِرَةً عَلى ٱلـمَقْعَدِ وَعَلى ٱلفِراشِ ، وَهِيَ ٱلـمَلابِسُ ٱلوَحيدَةُ ٱلَّتي يَمْلِكُها ٱلضَّيْفُ - بِقَدْرِ عِلْـمِهِ - وَرَأى كَذٰلِكَ ٱلضِّماداتِ . أَمَّا قُبَّعَتُهُ ٱلكَبيرَةُ فَكانَتْ مُعَلَّقَةً عَلى عَمودِ ٱلسَّريرِ .

وَبَيْنَما كانَ هُول واقِفًا في ٱلـحُجْرَةِ سَمِعَ صَوْتَ زَوْجَتِهِ آتِيًا مِنَ ٱلـمَطْبَخِ في ٱلطَّابَقِ ٱلسُّفْلِيِّ ، فَٱسْتَدارَ وَأَسْرَعَ بِٱلنُّزولِ إِلَيْها .

قالَ : « جيـني ! إِنَّهُ غَيْرُ مَوْجودٍ في حُجْرَتِهِ ، وَٱلبابُ ٱلأَمامِيُّ غَيْرُ موصَدٍ بِٱلـمِزْلاجِ . »

لَـمْ تُدْرِكِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول في ٱلبِدايَةِ ما يَرْمي إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّها حينَ فَهِمَتْ أَصَرَّتْ عَلى أَنْ تَرى ٱلـحُجْرَةَ ٱلخالِيَةَ بِنَفْسِها . وَتَقَدَّمَها هُول وَهُوَ يَقولُ : « إِنْ لَـمْ يَكُنْ في ٱلـحُجْرَةِ ، فَإِنَّ مَلابِسَهُ فيها . وَلٰكِنْ ماذا عَساهُ يَفْعَلُ بِغَيْرِ مَلابِسِهِ ؟ »

حينَ خَرَجا مِنَ ٱلـمَطْبَخِ خُيِّلَ إِلَيْهِما أَنَّهُما سَمِعا ٱلبابَ ٱلأَمامِيَّ يُفْتَحُ وَيُغْلَقُ ، وَلٰكِنْ عِنْدَما رَأَياهُ موصَدًا ، وَلَـمْ يَرَيا شَيْئًا عِنْدَهُ ، لَـمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُما كَلِـمَةً واحِدَةً لِصاحِبِهِ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ .

أَسْرَعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول تَتَقَدَّمُ زَوْجَها في ٱلـمَمْشى ، وَصَعِدَتِ ٱلدَّرَجَ رَكْضًا . وَسَمِعَتْ شَخْصًا يَعْطِسُ عَلى ٱلسُّلَّمِ . وَكانَ هُول صاعِدًا في أَعْقابِها وَيَبْعُدُ عَنْها سِتَّ دَرَجاتٍ ، فَظَنَّ أَنَّها هِيَ ٱلَّتي عَطَسَتْ . أَمَّا هِيَ - وَهِيَ ٱلَّتي تَتَقَدَّمُهُ - فَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّ زَوْجَها هُوَ ٱلَّذي عَطَسَ .

دَفَعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول بابَ ٱلغُرْفَةِ بِقُوَّةٍ فَفَتَحَتْهُ ، وَوَقَفَتْ تُدِيرُ بَصَرَها في أَرْجاءِ ٱلـحُجْرَةِ ، وَقالَتْ : « ما أَغْرَبَ هٰذا ! »

سَمِعَتْ سُعالاً بَدا لَها أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْها ، فَٱسْتَدارَتْ ، وَأَدْهَشَها أَنْ تَرى هُول بَعِيدًا عَنْها عِنْدَ رَأْسِ ٱلسُّلَّمِ ، وَلٰكِنَّهُ جاءَ إِلَيْها بَعْدَ قَلِيلٍ .
وَٱنْحَنَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول فَوْقَ ٱلفِراشِ ، وَدَسَّتْ يَدَها تَحْتَ ٱلوِسادَةِ ، ثُمَّ تَحْتَ ٱلأَغْطِيَةِ ، وَقالَتْ : « إِنَّ ٱلـمَكانَيْنِ بارِدانِ ، فَلا بُدَّ أَنَّهُ قامَ مُنْذُ ساعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ . »

وَبَيْنَما كانَتْ تَفْعَلُ هٰذا ، حَدَثَ ما لَـمْ تَكُنْ تَتَوَقَّعُهُ أَبَدًا : فَقَدْ جَمَعَتْ أَغْطِيَةُ ٱلفِراشِ نَفْسَها ، وَتَكَوَّمَتْ فَجْأَةً فِيما يُشْبِهُ تَلًّا ، ثُمَّ قَفَزَتْ بِعُنْفٍ بَعِيدًا عَنِ ٱلفِراشِ ، كَأَنَّما أَلْقَتْ بِها يَدٌ خَفِيَّةٌ . أَمّا قُبَّعَةُ ٱلغَرِيبِ فَقَدْ قَفَزَتْ مِنْ فَوْقِ عَمودِ ٱلسَّرِيرِ ، وَطارَتْ في ٱلـهَواءِ ، وَٱصْطَدَمَتْ مُباشَرَةً بِوَجْهِ ٱلسَّيِّدَةِ هُول . وَبَعْدَ ذٰلِكَ طارَتْ صابونَةٌ مِنْ فَوْقِ ٱلـحَوْضِ ، وَأَلْقى ٱلـمَقْعَدُ أَوَّلاً مِعْطَفَ ٱلغَرِيبِ وَسِرْوالَهُ عَلى ٱلأَرْضِ ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ مِنَ ٱلـمَقْعَدِ ضِحْكَةٌ عالِيَةٌ شَدِيدَةُ ٱلشَّبَهِ بِضِحْكَةِ ٱلغَرِيبِ ، ثُمَّ ٱنْقَلَبَ ٱلـمَقْعَدُ بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ أَرْجُلُهُ ٱلأَرْبَعُ مُوَجَّهَةً إِلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول ، كَأَنَّما تَتَّخِذُ مِنْها هَدَفًا ، ثُمَّ ٱنْدَفَعَتْ نَحْوَها بِسُرْعَةٍ ، فَصَرَخَتْ وَوَلَّتْ هارِبَةً .

وَٱسْتَقَرَّتْ قَوائِمُ ٱلـمَقْعَدِ فَوْقَ ظَهْرِها بِلُطْفٍ وَثَباتٍ ، وَدَفَعَتْ بِها وَبِزَوْجِها إِلى خارِجِ ٱلـحُجْرَةِ ، ثُمَّ ٱنْصَفَقَ ٱلبابُ وَراءَهُما بِعُنْفٍ ، وَأُغْلِقَ بِٱلمِفْتاحِ . وَبَدا أَنَّ ٱلـمَقْعَدَ وَٱلفِراشَ أَخَذا يَرْقُصانِ لِلَحْظَةٍ ، وَفَجْأَةً سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ .

كادَ أَنْ يُغْشى عَلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول وَهِيَ في ٱلـمَمْشى بَيْنَ ذِراعَيْ



زَوْجِها . وَٱسْتَطاعَ ٱلسَّيِّدُ هُول وَميلِـي ـ وَكانَتْ قَدِ ٱرْتَدَتْ ثِيابَها في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ ـ أَنْ يُنْزِلاها إِلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « إِنَّها أَرْواحٌ ! إِنّي أَعْرِفُ أَنَّها أَرْواحٌ ! لَقَدْ قَرَأْتُ عَنْها في ٱلـصُّحُفِ . مَوائِدُ وَمَقاعِدُ تَرْقُصُ وَتَتَطايَرُ ! »

وَواصَلَتْ حَديثَها قائِلَةً : « أَغْلِقْ دونَهُ ٱلبابَ ، وَلا تَدَعْهُ يَرْجِعْ مَرَّةً أُخْرى . . لَقَدْ خَمَّنْتُ ذٰلِكَ تَقْريبًا . . . كانَ يَنْبَغي أَنْ أَعْرِفَ هٰذا . . . هٰذِهِ ٱلعُيونُ ، وَهٰذا ٱلرَّأْسُ ٱلـمُضَمَّدُ ، وَعَدَمُ قِيامِهِ بِٱلصَّلاةِ . . . وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلزُّجاجاتِ . . . لَقَدْ أَسْكَنَ ٱلأَرْواحَ ٱلأَثاثَ . . . يا إِلٰـهي ! أَثاثِيَ ٱلقَديمَ ٱلغالي ! لَقَدْ كانَتْ أُمِّيَ ٱلعَزيزَةُ مُعْتادَةً أَنْ تَجْلِسَ عَلى هٰذا ٱلـمَقْعَدِ عِنْدَما كُنْتُ صَغيرَةً ، وَٱلآنَ يَرْتَفِعُ في وَجْهي ! »

وَأَرْسَلا ميلِـي عَبْرَ ٱلشّارِعِ لِتوقِظَ ٱلسَّيِّدَ ساندي وِدْجِرْز في ٱلسّاعَةِ ٱلخامِسَةِ صَباحًا .

كانَ ٱلسَّيِّدُ وِدْجِرْز رَجُلًا ذَكِيًّا حَصيفًا .

قالَ : « إِنَّهُ سِحْرٌ . »

وَحينَ جاءَ إِلى ٱلفُنْدُقِ كانَ مُنْزَعِجًا لِلْغايَةِ . وَسَأَلاهُ أَنْ يَصْعَدَ إِلى

ٱلغُرْفَةِ في ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلى ، وَلٰكِنَّهُ بَدا مُتَأَنِّيًا مُتَباطِئًا ، وَآثَرَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِما في ٱلـمَمْشى . وَعِنْدَئِذٍ جاءَ ٱلسَّيِّدُ هَكْستر ، وَشارَكَهُمُ ٱلـحَديثَ . وَجَرى حِوارٌ طَويلٌ ، دونَ عَمَلِ شَيْءٍ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ ساندي وِدْجِرْز : « فَلْنَسْتَعْرِضِ ٱلـحَقائِقَ أَوَّلًا ، وَلْنَتَأَكَّدْ مِنْ أَنَّنا عَلى صَوابٍ إِذا ٱقْتَحَمْنا بابَ ٱلغُرْفَةِ . »

وَفَجْأَةً ، وَبِطَريقَةٍ تُثيرُ ٱلدَّهْشَةَ ، فُتِحَ بابُ ٱلغُرْفَةِ في ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلى مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ رَأَوُا ٱلغَريبَ يَهْبِطُ ٱلدَّرَجَ مُتَلَفِّعًا كَعادَتِهِ ، وَهُوَ يُحَمْلِقُ إِلَيْهِمْ مِنْ خِلالِ نَظّارَتِهِ ٱلكَبيرَةِ . وَكانَ يَنْزِلُ بِبُطْءٍ وَجُمودٍ مُـحَمْلِقًا طَوالَ ٱلوَقْتِ . وَٱجْتازَ ٱلـمَمْشى وَهُوَ لا يَزالُ يُحَمْلِقُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ .

دَخَلَ ٱلبَهْوَ ، وَفَجْأَةً أَغْلَقَ ٱلبابَ في وُجوهِهِمْ غاضِبًا . لَـمْ يَتَفَوَّهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ حَتّى تَلاشى صَدى ٱنْصِفاقِ ٱلبابِ ، وَراحَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَتَفَرَّسُ في وَجْهِ صاحِبِهِ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ وِدْجِرْز : « لَـمْ أَرَ في حَياتي شَيْئًا مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ . . . » بَدا أَشَدَّ ٱنْزِعاجًا عَنْ ذي قَبْلُ . وَقالَ مُوَجِّهًا ٱلـحَديثَ إِلى ٱلسَّيِّدِ هُول :

« لَوْ أَنني مَكانَكَ لَذَهَبْتُ إلَيْهِ وَحَدَّثْتُهُ في ٱلأَمْرِ . . . يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَهُ إيضاحًا . »

وَتَطَلَّبَ ٱلأَمْرُ بَعْضَ ٱلوَقْتِ مِنَ ٱلسَّيِّدِ هُول لِيَقومَ بِٱلـمُهِمَّةِ . وَقَرَعَ ٱلبابَ أَخيرًا وَفَتَحَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ ، وَلَـمْ يَزِدْ في قَوْلِهِ عَلى : « مَعْذِرَةً ! »

فَقالَ لَهُ ٱلغَريبُ : « اِذْهَبْ إلى ٱلـجَحيمِ ! وَأَقْفِلْ هٰذا ٱلبابَ وَراءَكَ ! »

وَكانَ هٰذا كُلَّ شَيْءٍ.

الفَصْلُ ٱلسّابِعُ
اِنْكِشافُ أَمْرِ ٱلغَريبِ

في ٱلخامِسَةِ وَٱلنِّصْفِ صَباحًا دَخَلَ ٱلغَريبُ إلى رَدْهَةِ فُنْدُقِ "العَرَبَةِ وَٱلـجِياد" ، وَلَبِثَ هُناكَ حَتّى مُنْتَصَفِ ٱلنَّهارِ ، وَٱلسَّتائِرُ مِنْ حَوْلِهِ مُسْدَلَةٌ ، وَٱلبابُ مُغْلَقٌ ، وَلَـمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُ أَحَدٌ .

لَـمْ يَتناوَلْ شَيْئًا مِنَ ٱلطَّعامِ طَوالَ ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ . وَدَقَّ ٱلـجَرَسَ ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَفي ٱلـمَرَّةِ ٱلثّالِثَةِ جاءَتِ ٱلدَّقَّةُ عالِيَةً وَطَويلَةً ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ لَـمْ يُلَبِّ نِداءَهُ أَحَدٌ .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « أَلَـمْ يَقُلْ لَنا أَنْ نَذْهَبَ إلى ٱلـجَحيمِ ؟ ! »

وَفي ٱلحالِ بَلَغَهُمْ نَبَأُ ٱلسَّرِقَةِ ٱلَّتي وَقَعَتْ في مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ، فَجَعَلَهُمْ هٰذا ٱلنَّبَأُ يُفَكِّرونَ . وَمَضى هُول وَوِدْجِرْز لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلسَّيِّدِ شَكِلْفُورْث لِٱسْتِشارَتِهِ في ٱلأَمْرِ . وَلَـمْ يَصْعَدْ أَحَدٌ إلى ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلى ، وَلَـمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ ما كانَ يَفْعَلُهُ ٱلغَريبُ . وَكانَ يَذْرَعُ ٱلأَرْضَ مِنْ حينٍ

لِآخَرَ جِيئَةً وَذَهابًا بِخُطًى سَريعَةٍ ، وَسَمِعوهُ يَلْعَنُ ساخِطًا ، وَيُمَزِّقُ أَوْراقًا ، وَيُهَشِّمُ زُجاجاتٍ .

وَزادَ عَدَدُ ٱلْجَماعَةِ ٱلصَّغيرَةِ ، وَجاءَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هكْستر ، وَٱنْضَمَّ إِلَيْهِمْ بَعْضُ ٱلشُّبّانِ . وَٱنْهالَ سَيْلٌ مِنْ أَسْئِلَةٍ لا جَوابَ لَها . وَحاوَلَ ٱلشّابُّ أَرْكي هارْكر أَنْ يَخْتَلِسَ ٱلنَّظَرَ مِنْ تَحْتِ ٱلسَّتائِرِ ٱلْمُسْدَلَةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرى شَيْئًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدِ ٱنْضَمَّ إِلَيْهِ في ٱلْحالِ جَمْعٌ آخَرُ مِنْ شَبابِ أَيْبِنْغ .

وَفي تِلْكَ ٱلْأَثْناءِ كانَ ٱلْغَريبُ في ظَلامِ ٱلْبَهْوِ يَشْعُرُ بِٱلْجوعِ وَٱلْخَوْفِ . وَكانَ مُنْدَسًّا في ثِيابِهِ ٱلدّافِئَةِ غَيْرِ ٱلْمُريحَةِ ، وَراحَ يُحَمْلِقُ إِلى أَوْراقِهِ مِنْ خِلالِ نَظّارَتِهِ ٱلْقاتِمَةِ ، أَوْ يَهُزُّ زُجاجاتِهِ ٱلْقَذِرَةَ ، أَوْ يَلْعَنُ ٱلصِّبْيَةَ ٱلَّذينَ يَتَصايَحونَ خارِجَ ٱلنَّوافِذِ . وَكانَ في رُكْنِ ٱلْغُرْفَةِ بِجانِبِ ٱلْمِدْفَأَةِ حُطامُ سِتِّ زُجاجاتٍ . وَمَلَأَتْ رائِحَةُ ٱلْغازِ ٱلنَّفّاذَةُ ٱلْهَواءَ .

وَفَجْأَةً ، عَقِبَ ٱلظُّهْرِ ، فَتَحَ ٱلْغَريبُ بابَ ٱلرَّدْهَةِ ، وَراحَ يُحَمْلِقُ إِلى ٱلْأَشْخاصِ ٱلثَّلاثَةِ أَوِ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلْمَوْجودينَ . وَنادى قائِلًا : « يا سَيِّدَةُ هول ! » فَأَسْرَعَ أَحَدُهُمْ وَٱسْتَدْعاها .

جاءَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول عَلى ٱلْفَوْرِ لاهِثَةً قَليلًا وَغاضِبَةً لِلْغايَةِ . وَكانَ زَوْجُها لا يَزالُ غائِبًا عَنِ ٱلْفُنْدُقِ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ قَدْ فَكَّرَتْ في ٱلْأَمْرِ طَويلًا ، وَجاءَتْ مَعَها بِفاتورَةِ ٱلْحِسابِ ٱلَّتي لَمْ يُسَدِّدْها ٱلْغَريبُ .

سَأَلَها : « لِماذا لَمْ يُقَدَّمْ لِيَ طَعامُ ٱلْإِفْطارِ ؟ ما ٱلَّذي جَعَلَكِ لا تُحْضِرينَ غَدائي ، أَوْ تَرُدّينَ عَلى ٱلْجَرَسِ ؟ أَ تَعْتَقِدينَ أَنَّني يُمْكِنُ أَنْ أَعيشَ بِلا طَعامٍ ؟ »

أَجابَتْهُ ٱلسَّيِّدَةُ هول : « لِمَ لَمْ تَدْفَعْ لي حِسابي ؟ هٰذا ما أُريدُ أَنْ أَعْرِفَهُ . »

« أَ لَمْ أَقُلْ لَكِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ إِنَّني أَنْتَظِرُ وُصولَ بَعْضِ ٱلْمالِ . . . ؟ »

« أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ إِنَّني لَنْ أَنْتَظِرَ ؟ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَشْكُوَ إِذا تَأَخَّرَ فَطورُكَ قَليلًا ، عَلى حينَ تَأَخَّرْتَ أَنْتَ في دَفْعِ ٱلْحِسابِ خَمْسَةَ أَيّامٍ . »

كانَ جَوابُ ٱلْغَريبِ أَنْ سَبَّ وَلَعَنَ .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هول : « إِنّي لَأَكونُ مُمْتَنَّةً لَكَ يا سَيِّدي إِذا ٱحْتَفَظْتَ

لِنَفْسِكَ بِسِبابِكَ وَلَعَناتِكَ . »

مَضى آلْغَريبُ يَقولُ : « اِسْمَعي يا سَيِّدَتي آلطَّيِّبَة . . . »

بَيْدَ أَنَّها قاطَعَتْهُ قائِلَةً : « لا تَقُلْ لي يا سَيِّدَتي آلطَّيِّبَة . »

« لَقَدْ قُلْتُ لَكِ إِنَّ نُقودي لَمْ تَصِلْ بَعْدُ . »

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « نُقودُكَ حَقًّا ! »

« إِنَّ ما في جَيْبي لا يَتَجاوَزُ . . . »

« إِنَّكَ أَخْبَرْتَني مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ سِوى جُنَيْهٍ . »

« هٰذا صَحيحٌ ، وَلٰكِنَّني وَجَدْتُ نُقودًا أُخْرى . »

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « إِنّي لَأَتَساءَلُ أَيْنَ وَجَدْتَها ؟ »

دَقَّ آلأَرْضَ بِقَدَمِهِ غاضِبًا وَقالَ : « ماذا تَقْصِدينَ ؟ »

« أَقْصِدُ أَنَّني أَتَساءَلُ أَيْنَ وَجَدْتَها ؟ وَقَبْلَ أَنْ تُسَدِّدَ آلحِساب ، وَقَبْلَ أَنْ أُعِدَّ لَكَ فَطورَكَ ، وَقَبْلَ أَنْ أَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ هٰذا آلقَبيلِ ، يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَني بِأَمْرٍ أَوْ أَمْرَيْنِ ما زِلْتُ لا أَفْهَمُهُما ، وَما زالَ غَيْري أَيْضًا لا يَفْهَمُهُما ، وَآلجَميعُ يَتَلَهَّفونَ عَلى أَنْ يَفْهَموا . أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ

خَرَجْتَ مِنْ غُرْفَتِكَ ، وَكَيْفَ عُدْتَ إِلَيْها مَرَّةً أُخْرى ؟ إِنَّ آلَّذينَ يُقيمونَ في هٰذا آلفُنْدُقِ يَدْخُلونَ وَيَخْرُجونَ مِنَ آلأَبْوابِ ـ تِلْكَ هِيَ آلقاعِدَةُ في هٰذا آلفُنْدُقِ ـ وَهٰذا ما لَمْ تَفْعَلْهُ أَنْتَ . . . وَما أُريدُ أَنْ أَعْرِفَهُ هُوَ : كَيْفَ دَخَلْتَ ؟ أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ . . . »

فَجْأَةً رَفَعَ آلغَريبُ قَبْضَتَهُ آلمَكْسُوَّةَ بِآلقُفّازِ وَدَقَّ آلأَرْضَ بِقَدَمِهِ قائِلًا : « كَفى ! »

أَطْلَقَها بِصَوْتٍ عالٍ جِدًّا مِمّا أَسْكَتَها عَلى آلفَوْرِ .

« إِنَّكِ لا تَعْرِفينَ مَنْ أَنا وَماذا أَعْمَلُ ، وَلٰكِنَّني سَأَكْشِفُ لَكِ كُلَّ شَيْءٍ، بِحَقِّ آلسَّماءِ سَأُبَيِّنُ لَكِ كُلَّ شَيْءٍ . »

عِنْدَئِذٍ وَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَبْعَدَها ، فَإِذا وَجْهُهُ مُجَرَّدُ تَجْويفٍ أَسْوَدَ ، وَقالَ : « هَيّا آنْظُري ! » ثُمَّ خَطا إِلى آلأَمامِ ناحِيَتَها ، وَناوَلَها شَيْئًا فَأَخَذَتْهُ دونَ أَنْ تَعِيَ ما هُوَ ؛ إِذْ كانَتْ تُحَمْلِقُ إِلى وَجْهِهِ ، وَلٰكِنْ عِنْدَما فَطِنَتْ إِلى ماهِيَّةِ هٰذا آلشَّيْءِ أَطْلَقَتْ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً ، وَأَلْقَتْهُ مِنْ يَدِها . . . كانَ هٰذا آلشَّيْءُ أَنْفًا ـ أَنْفَ آلغَريبِ ! أَنْفًا قانِيًا أَحْمَرَ آللَّوْنِ ! وَتَدَحْرَجَ آلأَنْفُ عَلى آلأَرْضِ بِصَوْتٍ يُشْبِهُ صَوْتَ آلوَرَقِ آلمُقَوّى آلأَجْوَفِ .



ثُمَّ رَفَعَ نَظّارَتَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، فَخَفَقَتْ قُلوبُ مَنْ في ٱلبَهْوِ ، وَتَسارَعَتْ أَنْفاسُهُمْ ، ثُمَّ خَلَعَ قُبَّعَتَهُ ، وَنَزَعَ لِحْيَتَهُ ، وَكَذٰلِكَ ٱلضِّماداتِ ٱلَّتي تَحْجُبُ وَجْهَهُ .

كانَ ٱلمَشْهَدُ أَمامَهُمْ أَسْوَأَ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَبْصارُهُمْ . وَجَرَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول صَوْبَ بابِ ٱلفُنْدُقِ وَقَدْ فَغَرَتْ فاها مِنَ ٱلرُّعْبِ .

بَدَأَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ ٱلحاضِرينَ يَتَحَرَّكُ ، وَكانوا يَتَوَقَّعونَ أَنْ يَرَوْا نُدوبًا ، أَوْ جُروحًا ، أَوْ شَيْئًا دَمِيًا مُقَزِّزًا ، وَلٰكِنْ كانَ كُلُّ ما رَأَوْهُ ـ لا شَيْءَ!

تَطايَرَتِ ٱلضِّماداتُ وَٱلشَّعْرُ ٱلمُسْتَعارُ عَبْرَ ٱلمَمْشى إِلى ناحِيَةِ ٱلرَّدْهَةِ ، وَتَساقَطَ ٱلحاضِرونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، فَذٰلِكَ ٱلَّذي كانَ يَقِفُ أَمامَهُمْ مُنْتَصِبًا ـ يَزْعَقُ وَيَصْرُخُ ـ كانَ رَجُلًا حَتّى مَنْكِبَيْهِ ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ لا شَيْءَ!

تَناهَتِ ٱلصَّرَخاتُ إِلى أَسْماعِ أَهْلِ ٱلقَرْيَةِ ، فَمَضَوْا يَسْتَطْلِعونَ ٱلأَمْرَ عَبْرَ ٱلطَّريقِ ، فَرَأَوْا ٱلقَوْمَ يَتَدافَعونَ مُنْطَلِقينَ مِنَ ٱلفُنْدُقِ ، وَشاهَدوا ٱلسَّيِّدَةَ هُول تَقَعُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَٱلسَّيِّدَ تيدي هَنْفِري يَقْفِزُ حَتّى لا يَسْقُطَ فَوْقَها ، ثُمَّ سَمِعوا صُراخَ ميلي ٱلمُرْعِبَ وَهِيَ تَخْرُجُ مِنَ ٱلمَطْبَخِ راكِضَةً عَلى صَوْتِ ٱلجَلَبَةِ ٱلَّتي سَمِعَتْها ، حَتّى إِذا رَأَتِ ٱلغَريبَ إِنْسانًا بِلا رَأْسٍ ؛ سَكَتَتْ صَرَخاتُها فَجْأَةً .

وَٱحْتَشَدَ أَمامَ بابِ ٱلفُنْدُقِ كُلُّ مَنْ في ٱلقَرْيَةِ : الكِبارُ وَٱلصِّغارُ ؛ وَكانوا حَوالى أَرْبَعينَ شَخْصًا .

« ماذا كانَ يَفْعَلُ ؟ »

« لَقَدْ هاجَمَهُمْ بِسِكّينٍ . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ ٱلفَتاةَ تَصْرُخُ . »

«أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّهُ بِغَيْرِ رَأْسٍ .»

«هُراءٌ ! كلامٌ فارِغٌ !»

«لَقَدْ أزالَ آلضِّماداتِ .»

كانوا جَميعًا يَتَحَدَّثونَ في آنٍ واحِدٍ . وَفَجْأَةً ظَهَرَ آلسَّيِّدُ هُول قادِمًا ، وَكانَ وَجْهُهُ شَديدَ آلِاحْمِرارِ ، تَرْتَسِمُ عَلَيْهِ أماراتُ آلعَزْمِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ آلسَّيِّدُ بوبي جيفرز شُرْطِيُّ آلقَرْيَةِ ، يَتْبَعُهُ آلسَّيِّدُ وِدْجرْز آلوَقورُ .

اِرْتقى آلسَّيِّدُ هُول دَرَجَ آلفُنْدُقِ ، وَمَشى صَوْبَ بابِ آلرَّدْهَةِ ، فَوَجَدَهُ مَفْتوحًا ، قالَ : «قُمْ بِواجِبِكَ أَيُّها آلشُّرْطِيُّ .»

دَخَلَ جيفرز إلى آلرَّدْهَةِ ، وَتَبِعَهُ هُول ، وَمِنْ وَرائِهِما وِدْجرْز . وَرَأَوْا أَمامَهُمُ آلشَّبَحَ آلَّذي بِغَيْرِ رَأْسٍ ، وَفي قَبْضَتِهِ آلمَكْسُوَّةِ بِآلقُفّازِ لُقْمَةً مِنَ آلخُبْزِ ، وَفي آليَدِ آلأُخْرى قِطْعَةً مِنَ آلجُبْنِ .

قالَ هُول : «ها هُوَ ذا !»

اِنْبَعَثَ صَوْتٌ غاضِبٌ مِنْ فَوْقِ ياقَةِ آلشَّبَحِ يَقولُ : «تَبًّا لَكُمْ ! ما هٰذا ؟»

قالَ آلشُّرْطِيُّ جيفرز : «نَعَمْ يا سَيِّدي ، يَجِبُ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْكَ

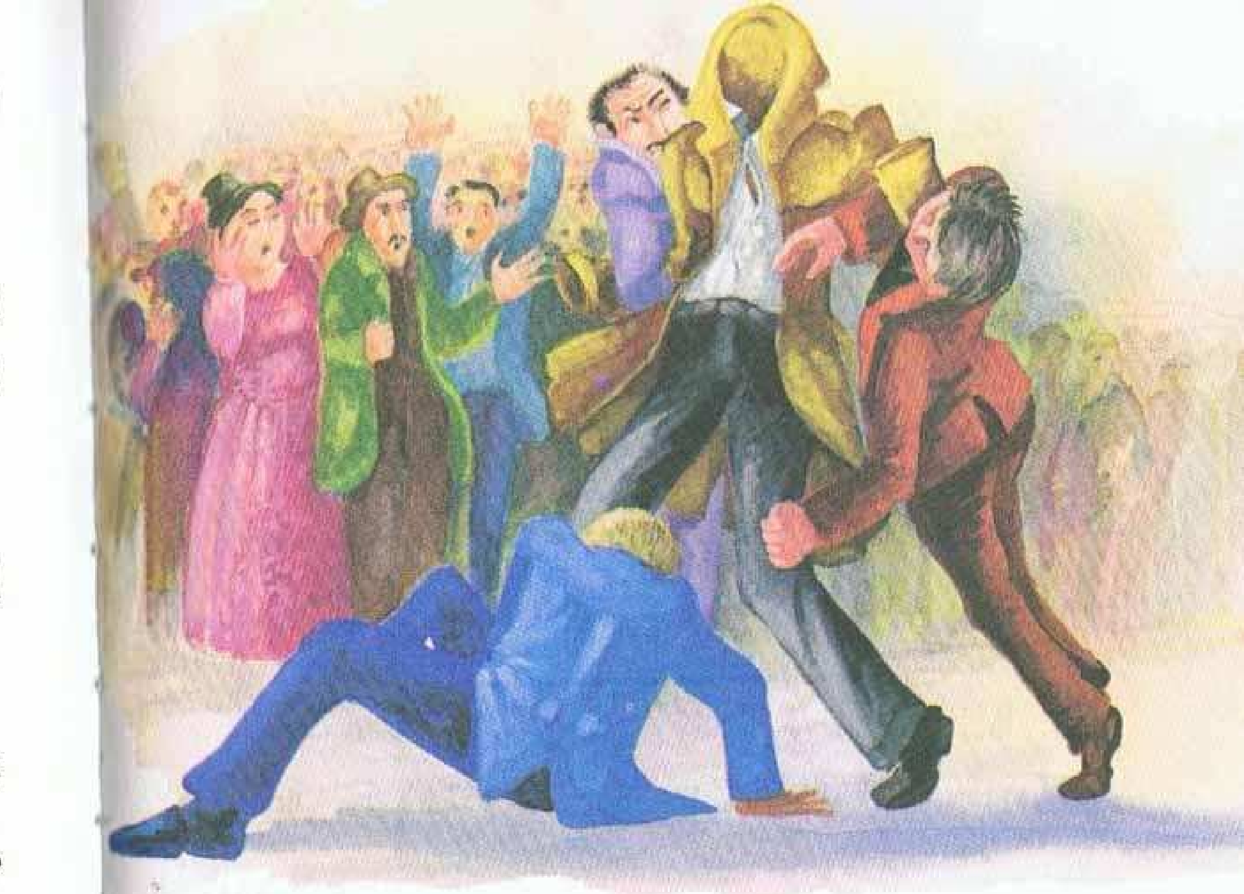
بِرَأْسٍ كُنْتَ أَوْ بِغَيْرِ رَأْسٍ .»

صاحَ آلغَريبُ وَهُوَ يَقْفِزُ إلى آلوَراءِ : «اِبْتَعِدْ عَنّي !»

وَخَلَعَ آلغَريبُ قُفّازَهُ ، وَلَطَمَ بِهِ وَجْهَ آلشُّرْطِيِّ ، وَفي آللَّحْظَةِ آلتّالِيَةِ أَمْسَكَ جيفرز بِرُسْغِهِ آلَّذي لا يَدَ لَهُ ، كَما قَبَضَ عَلى عُنُقِهِ آلخَفِيِّ ، وَتَلَقّى آلشُّرْطِيُّ رَكْلَةً عَنيفَةً جَعَلَتْهُ يَتَأَوَّهُ مُتَأَلِّمًا ، وَلٰكِنَّهُ ظَلَّ مُتَشَبِّثًا بِغَريمِهِ ، وَآصْطَدَما بِمَقْعَدٍ في طَريقِهِما فَسَقَطَ وَأَحْدَثَ صَوْتًا عالِيًا عِنْدَما هَوى آلِاثْنانِ عَلى آلأَرْضِ .

قالَ جيفرز مِنْ بَيْنِ أَسْنانِهِ يُخاطِبُ آلرِّجالَ آلآخَرينَ : «أَمْسِكوا بِقَدَمَيْهِ .»

وَحاوَلَ هُول أَنْ يُلَبِّيَ هٰذا آلأَمْرَ ، بَيْدَ أَنَّهُ تَلَقّى رَكْلَةً في صَدْرِهِ كادَتْ أَنْ تُفْقِدَهُ آلوَعْيَ . وَحينَ رَأى آلسَّيِّدُ وِدْجرْز آلغَريبَ آلَّذي بِلا رَأْسٍ يَتَدَحْرَجُ عَلى آلأَرْضِ ، وَيَجْثُمُ عَلى صَدْرِ جيفرز ، آرْتَدَّ إلى آلخَلْفِ صَوْبَ آلبابِ ؛ فَآصْطَدَمَ بِآلسَّيِّدِ هكستر وَبِرَجُلٍ آخَرَ كانَ قادِمًا لِمُساعَدَةِ آلشُّرْطِيِّ . وَسَقَطَتْ عَلى آلأَرْضِ أَرْبَعُ زُجاجاتٍ وَتَهَشَّمَتْ ، وَفاحَتْ في آلغُرْفَةِ رائِحَةٌ قَوِيَّةٌ نَفّاذَةٌ .



وَرَغْمَ أَنَّ ٱلغَريبَ كانَ قَدْ طَرَحَ جيفرز عَلى ٱلأَرْضِ ، إِلاّ أَنَّهُ قالَ :
« إِنّي أَسْتَسْلِمُ . »

وَفي ٱللَّحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ هَبَّ واقِفًا مَبْهورَ ٱلأَنْفاسِ ، وَتَراءى ٱلمَشْهَدُ عَجيبًا ، وَهُوَ بِغَيْرِ رَأْسٍ أَوْ يَدَيْنِ ، أَمّا صَوْتُهُ فَبَدا كَأَنَّهُ صادِرٌ مِنْ فَراغٍ .
وَنَهَضَ جيفرز أَيْضًا واقِفًا .

وَمَرَّرَ ٱلغَريبُ ذِراعَهُ عَلى سُتْرَتِهِ ، وَٱنْفَكَّتْ أَزْرارُها ، ثُمَّ ٱنْحَنى عَلى

ٱلأَرْضِ ، وَبَدا كَأَنَّهُ يَلْمِسُ حِذاءَهُ .

قالَ هَكْستر فَجْأَةً : « يا إِلٰهي ! لَيْسَ هٰذا بِرَجُلٍ عَلى ٱلإِطْلاقِ ! إِنَّ ٱلمَلابِسَ خاوِيَةٌ ! أُنْظُروا ! لَوْ أَنَّكُمْ نَظَرْتُمْ مِنْ خِلالِ ياقَتِهِ لَرَأَيْتُمُ ٱلأَرْضَ . إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أُدْخِلَ ذِراعي . . . »

وَبَسَطَ يَدَهُ أَمامَهُ ، وَبَدا أَنَّها ٱصْطَدَمَتْ بِشَيْءٍ فِي ٱلهَواءِ ، فَما كانَ مِنْهُ إِلاّ أَنْ سَحَبَها وَهُوَ يُطْلِقُ صَيْحَةً حادَّةً مِنَ ٱلدَّهْشَةِ .

وَصاحَ صَوْتٌ في نَبْرَةٍ غاضِبَةٍ : « أَرْجوكَ أَنْ تُبْعِدَ أَصابِعَكَ عَنْ عَيْنَيَّ . فَالواقِعُ أَنَّني كُلّي مَوْجودٌ هُنا ، رَأْسي وَيَدَيَّ وَقَدَمَيَّ ، وَكُلُّ ما بَقِيَ مِنّي ، وَلٰكِنْ حَدَثَ أَنْ أَصْبَحْتُ خَفِيًّا لا أُرى . وَلَيْسَ هٰذا مُبَرِّرًا لِكَيْ تَدُسَّ أَصابِعَكَ في عَيْنَيَّ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

كانَتِ ٱلسُّتْرَةُ وَقْتَها واقِفَةً مُنْتَصِبَةً وَهِيَ مَفْكوكَةُ ٱلأَزْرارِ .

وَجاءَ إِلى ٱلغُرْفَةِ عَدَدٌ آخَرُ مِنَ ٱلنّاسِ حَتّى أَصْبَحَتْ مُزْدَحِمَةً .

صاحَ هَكْستر ساخِرًا : « خَفِيٌّ ! أَ سَمِعَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ كَهٰذا مِنْ قَبْلُ ؟ »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « لَعَلَّ ٱلأَمْرَ غَريبٌ مُذْهِلٌ ، وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ جَريمَةً ،

فَلِماذا يُهاجِمُني ٱلشُّرْطِيُّ بِهٰذِهِ ٱلطَّريقَةِ ؟ »

قالَ جِيفرز : « لَيْسَ ٱلأَمْرُ كَما تَظُنُّ . إِنَّني في ٱلـحَقيقَةِ لا أَراكَ ، وَلٰكِنْ لَدَيَّ أَمْرٌ بِٱعْتِقالِكَ ، لَيْسَ لِأَنَّكَ لا تُرى ، وَإِنَّما لِأَنَّ بَيْتًا سُرِقَ . »

« وَماذا إِذًا ؟ »

« يَبْدو أَنَّ . . . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ . « هُراءٌ ! كَلامٌ فارِغٌ ! »

« هٰذا ما أَرْجوهُ يا سَيِّدي . وَلٰكِنْ لَدَيَّ أَوامِري . »

وَفَجْأَةً جَلَسَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطيعَ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ كانَ قَدْ قَذَفَ إِلى ٱلأَرْضِ بِجَميعِ ثِيابِهِ عَدا ٱلقَميصِ .

صاحَ جِيفرز فَجْأَةً : « كُفَّ عَنْ هٰذا ! اِمْنَعوهُ ! إِنَّهُ إِذا خَلَعَ قَميصَهُ . . . »

صاحَ كُلُّ مَنْ في ٱلغُرْفَةِ : « أَمْسِكوهُ . »

وَٱنْدَفَعوا جَميعًا ناحِيَةَ ٱلقَميصِ ٱلأَبْيَضِ ، وَكانَ هُوَ ٱلشَّيْءَ ٱلوَحيدَ ٱلَّذي أَمْكَنَ رُؤْيَتُهُ مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلغَريبِ .

وَلَطَمَ كُمُّ ٱلقَميصِ وَجْهَ هُول لَطْمَةً عَنيفَةً دَفَعَتْهُ إِلى ٱلوَراءِ ،

فَٱصْطَدَمَ بِٱلعَجوزِ تُوثْسَم مُتَعَهِّدِ دَفْنِ ٱلـمَوْتى ، وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ كانَ ٱلقَميصُ قَدْ رُفِعَ إِلى أَعْلى ، مِثْلَما يَفْعَلُ ٱلمَرْءُ عِنْدَما يَهُمُّ بِخَلْعِ قَميصِهِ . وَهَجَمَ جِيفرز عَلى ٱلقَميصِ ، وَتَشَبَّثَ بِهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ إِلّا في ٱلـمُساعَدَةِ عَلى إِتْمامِ خَلْعِهِ . وَتَلَقّى جِيفرز في فَكِّهِ لَكْمَةً جاءَتْهُ مِنَ ٱلـهَواءِ ، فَسَحَبَ هِراوَتَهُ وَضَرَبَ بِها ، فَأَصابَ أُمَّ رَأْسِ هَنْفِري . وَأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَصيحُ : « اِنْتَبِهْ ! » وَأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَضْرِبُ لا شَيْءَ . وَتَعالَتْ أَصْواتُ ٱلـجَميعِ : « أَمْسِكوهُ ! أَقْفِلوا ٱلبابَ ! إِيّاكُمْ أَنْ يَهْرُبَ ! لَقَدْ أَمْسَكْتُ شَيْئًا ! ها هُوَ ذا ! » وَكانوا يَضْرِبونَ في وَقْتٍ واحِدٍ ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَقَعُ فَوْقَ ٱلآخَرِ . وَفَتَحَ ساندي وِدْجَرز ٱلبابَ فَسَقَطوا كُلُّهُمْ خارِجَهُ . وَٱسْتَمَرَّتِ ٱلضَّرَباتُ ، وَكُسِرَتْ سِنُّ أَحَدِهِمْ ، وَتَوَرَّمَتْ أُذُنُ آخَرَ . وَأَصابَتْ فَكَّ جِيفرز لَكْمَةٌ شَديدَةٌ ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَتَحَسَّسَ ٱلـهَواءَ ، وَلَـمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا جامِدًا يَقِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَكْسترِ ، وَفي تِلْكَ ٱللَّـحْظَةِ كانَ ٱلـمُتَصارِعونَ ٱلـمُهْتاجونَ قَدْ خَرَجوا إِلى ٱلرَّدْهَةِ .

وَٱنْتَقَلَتِ ٱلـمَعْرَكَةُ سَريعًا إِلى بابِ ٱلفُنْدُقِ . وَتَعالَتْ صَيْحاتٌ مُهْتاجَةٌ : « أَمْسِكوهُ ! رَجُلٌ خَفِيٌّ ! » وَٱنْدَفَعَ شابٌّ غَريبٌ عَنِ ٱلـمِنْطَقَةِ ، وَهَجَمَ كَغَيْرِهِ مُشارِكًا في ٱلـمَعْرَكَةِ ، وَلَـمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا

وَأَمْسَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَفْلَتَتْ أَصابِعُهُ ما تَشَبَّثَ بِهِ ، ثُمَّ إذا بِهِ طَرِيحٌ فَوْقَ جِسْمِ رَجُلٍ آخَرَ ، وَعَلى بُعْدِ مَسافَةٍ قَصيرَةٍ عَبْرَ ٱلشّارِعِ صَرَخَتِ ٱمْرَأَةٌ ؛ إِذِ ٱحْتَكَّ شَيْءٌ بِها وَلٰكِن دونَ أَنْ تَراهُ . وَجَرى أَحَدُ ٱلكِلابِ وَهُوَ يَعْوي بِشِدَّةٍ وَدَخَلَ إلى فِناءِ هَكْستر . وَهٰكَذا ذَهَبَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ .

وَمَرَّتْ بُرْهَةٌ وَٱلقَوْمُ لا يَعْرِفونَ ماذا يَفْعَلونَ ، ثُمَّ راحوا يَجْرونَ مُشَتَّتينَ مِثْلَ أَوْراقِ ٱلشَّجَرِ عِنْدَما تُشَتِّتُها ٱلرِّياحُ ، عَلى حينَ ظَلَّ جيفرز طَريحًا بِلا حَراكٍ عَلى دَرَجِ ٱلسُّلَّمِ .

الفَصْلُ ٱلثّامِنُ

في ٱلطَّريقِ

خَلَعَ ٱلسَّيِّدُ توماس مارْفِل - وَهُوَ أَفّاقٌ - حِذاءَهُ وَجَلَسَ إلى جانِبِ ٱلطَّريقِ يُبَرِّدُ قَدَمَيْهِ ، وَيَنْظُرُ إلى أَصابِعِها بِحَسْرَةٍ .

وَكانَ حِذاؤُهُ خَيْرَ ما لَبِسَ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ ، وَمَعَ ذٰلِكَ كانَ يَكْرَهُهُ لِقُبْحِ شَكْلِهِ وَعَدَمِ مُلاءَمَةِ حَجْمِهِ لِقَدَمَيْهِ . وَقالَ لِنَفْسِهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَقْبَحُ حِذاءٍ في ٱلدُّنْيا بِأَسْرِها . »

وَسَمِعَ صَوْتًا يَقولُ : « إِنَّهُ حِذاءٌ عَلى أَيَّةِ حالٍ . »

قالَ مارْفِل مُوافِقًا : « نَعَمْ ، وَقَدْ جادَ عَلَيَّ بِهِ ٱلبَعْضُ ، غَيْرَ أَنَّ حَجْمَهُ أَكْبَرُ مِمّا يَنْبَغي ، وَقَدْ سَئِمْتُهُ . وَهٰذا ما جَعَلَني أَسْتَجْدي ٱلنّاسَ أَحْذِيَةً أَحْذِيَةً أَحْذِيَةً . . في كُلِّ مَكانٍ أَرْتادُهُ . وَلٰكِنِّي لَمْ أَجِدْ حِذاءً عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنّاسِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ . »

قالَ آلصَّوْتُ : « هٰذا غريبٌ ! »

« مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ وَأنا أَسْتَجْدي الأَحْذِيَةَ في هٰذِهِ آلـمِنْطَقَةِ ، وَقَدْ حَصَلْتُ عَلى جَـميعِ أَحْذِيَتي مِنْ هُنا . وَآلآنَ آنْظُرْ إلى هٰذا آلـحِذاءِ ، إنَّهُ أَحْسَنُ ما قَدَّموهُ لي . »

وَأَدارَ رَأْسَهُ لِيَرى حِذاءَ آلرَّجُـلِ آلَّذي يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَـمْ يَجِدْ شَيْئًا . لَـمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حِذاءٌ ، وَلا ساقانِ ، وَلا شَيْءٌ .

تَساءَلَ : « أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَلَـمْ يَكُنْ يَرى سِوى آلطَّريقِ ، وَآلـخَلاءِ ، وَلَـمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٌ لإِنْسانٍ سِوى نَفْسِهِ .

قالَ : « أَ تُراني جُنِنْتُ ؟ لا رَيْبَ أَنَّني أَتَخَيَّلُ شَيْئًا . » .

أَجابَهُ آلصَّوْتُ : « كَلّا ، إِنَّكَ لَسْتَ مَـجْنونًا ، وَلا تَتَخَيَّلُ شَيْئًا .. لا تَخَفْ . »

قالَ آلسَّيِّدُ مارْقِل : « أَخافُ .. أَخافُ ... تَعالَ هُنا .. أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

قالَ آلصَّوْتُ : « لا تَخَفْ . »

« بَلْ سَتَخافُ أَنْتَ حالاً . دَعْني أُمْسِكْكَ . أَ مُخْتَبِئٌ أَنْتَ في حُفْرَةٍ

تَحْتَ آلأَرْضِ ؟ »

وَلَـمْ يَسْمَعْ جَوابًا .

وَشَرَعَ آلسَّيِّدُ مارْقِل يَرْتَدي مِعْطَفَهُ .

قالَ : « أَسْتَطيعُ أَنْ أُقْسِمَ بِأَنَّني سَمِعْتُ صَوْتًا . »

« إِنَّكَ فِعْلاً سَمِعْتَ صَوْتًا . »

قالَ مارْقِل وَهُوَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، وَيَمْسَحُ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ : « ها هُوَ ذا مَرَّةً أُخرى . لا شَكَّ أَنَّني جُنِنْتُ . »

قالَ آلصَّوْتُ : « لا تَكُنْ أَحْـمَقَ . »

« إِنَّني ... »

قالَ آلصَّوْتُ : « دَقيقَةً واحِدَةً .. إِنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّني مُـجَرَّدُ خَيالٍ ... خَيالٍ فَحَسْبُ . أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ آلسَّيِّدُ مارْقِل وَهُوَ يَحُكُّ قَفاهُ : « وَأَيُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ غَيْرَ ذٰلِكَ ؟ »

قالَ آلصَّوْتُ : « حَسَنٌ جِدًّا ، سَأَرْميكَ بِآلـحِجارَةِ حَتّى تُغَيِّرَ

رَأْيَك . »

« وَلٰكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« وَلَـمْ يُـحِرِ الصَّوْتُ جَوابًا . »

وَمَرَقَ حَـجَرٌ وَهُوَ يَصْفِرُ في الْـهَواءِ ، وَكادَ يُصيبُ كَتِفَ السَّيِّدِ مارْقِل . وَالْتَفَتَ وَراءَهُ فَرَأى حَـجَرًا يَقْفِزُ إلى أَعْلى في الْـهَواءِ ، وَيَتَوَقَّفُ بُرْهَةً مُعَلَّقًا ، ثُمَّ يَقَعُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَ أَصابَ حَـجَرٌ آخَرُ أَصابِعَ قَدَمِهِ العارِيَةِ ، فَأَطْلَقَ مارْقِل صَرْخَةً عالِيَةً ، ثُمَّ أَخَذَ يَجْري ، وَسَقَطَ فَوْقَ شَيْءٍ لَـمْ يَرَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ إلى جانِبِ الطَّريقِ لِيَسْتَريحَ .

قالَ الصَّوْتُ : « وَالآنَ ، أَلا تَزالُ تَراني خَيالاً ؟ »

وَتَحامَلَ السَّيِّدُ مارْقِل عَلى نَفْسِهِ ، وَحاوَلَ أَنْ يَنْهَضَ واقِفًا ، بَيْدَ أَنَّهُ أُلْقِيَ عَلى الأَرْضِ في الْـحالِ ، وَتَدَحْرَجَ عَلى الأَرْضِ مَرَّةً أُخْرى . وَلَبِثَ مَكانَهُ ساكِنًا بُرْهَةً قَصيرَةً .

قالَ الصَّوْتُ : « إذا قاوَمْتَ بَعْدَ الآنَ ، قَذَفْتُ رَأْسَكَ بِهٰذا الْـحَجَرِ . »

قالَ السَّيِّدُ مارْقِل وَهُوَ يَجْلِسُ مُـمْسِكًا بِأُصْبُعِهِ الْـمَجْروحِ : « لَقَدْ

قُضِيَ عَلَيَّ ... إِنّي لا أَفْهَمُ شَيْئًا .. حِـجارَةٌ تَقْذِفُ بِنَفْسِها ... حِـجارَةٌ تَتَكَلَّمُ ... لَقَدْ قُضِيَ عَلَيَّ . »

قالَ الصَّوْتُ : « الأَمْرُ واضِحٌ جِدًّا . إِنَّني رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

قالَ السَّيِّدُ مارْقِل وَهُوَ يَتَأَوَّهُ أَلَـمًا : « قُلْ لي شَيْئًا لا أَعْرِفُهُ . أَيْنَ تَخْتَبِئُ ؟ كَيْفَ يَتَسَنّى لَكَ أَنْ تَفْعَلَ هٰذا ؟ الْـحَقُّ أَنّي لا أَعْرِفُ . لَقَدْ هُزِمْتُ . »

قالَ الصَّوْتُ : « إِنّي خَفِيٌّ لا أُرى . هٰذا هُوَ ما أُريدُكَ أَنْ تَفْهَمَهُ . »

« بِـمَقْدورِ أَيِّ امْرِئٍ أَنْ يَرى هٰذا ، فَلا داعِيَ لأَنْ يَثورَ غَضَبُكَ . وَالآنَ أَنْبِئْني بِـما أَجْهَلُ . أَيْنَ تَخْتَبِئُ ؟ »

« قُلْتُ لَكَ إِنَّني رَجُلٌ خَفِيٌّ ، وَتِلْكَ هِيَ الْـمَسْأَلَةُ ، وَالَّذي أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَفْهَمَهُ هُوَ أَنَّ ... »

وَقاطَعَهُ مارْقِل قائِلاً : « وَلٰكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« إِنَّني هُنا عَلى بُعْدِ خَـمْسَةِ أَمْتارٍ تَقْريبًا مِنْكَ . »

« مُسْتَحيلٌ ! إِنَّني لَسْتُ أَعْمى . وَقَدْ تَقولُ لي بَعْدَ ذٰلِكَ إِنَّكَ لَسْتَ سِوى هَواءٍ رَقيقٍ . »

« نَعَمْ أنا . . هَواءٌ رَقيقٌ . وَ أَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ خِلالي . »

« ماذا تَقولُ ؟! أَ لَيْسَ لَكَ جِسْمٌ مَلْموسٌ ؟ »

« إنِّني مُجَرَّدُ إنْسانٍ : جِسْمٍ صُلْبٍ ، يَحْتاجُ طَعامًا وَشَرابًا ، وَيَحْتاجُ آلمَلابِسَ

أَيْضًا . . . وَلٰكِنَّني خَفِيٌّ غَيْرُ مَرْئِيٍّ . . . أَ تُراكَ فَهِمْتَ ما أَعْني ؟ جِسْمٌ خَفِيٌّ . . . خَفِيٌّ . . . . هٰذا هُوَ كُلُّ ما هُنالِكَ . »

« هَلْ أَنْتَ إنْسانٌ حَقيقِيٌّ . »

« نَعَمْ ، إنْسانٌ حَقيقِيٌّ . »

قالَ مارْفِل : « إذًا دَعْني أَلْمِسْ يَدَكَ . إذا كُنْتَ حَقيقِيًّا فَلَنْ يَكونَ آلأَمْرُ غَريبًا . »

وَتَحَسَّسَ بِأَصابِعِهِ آليَدَ آلتي أَطْبَقَتْ عَلى رُسْغِهِ ، ثُمَّ تَحَسَّسَ آلذِّراعَ حَتّى آسْتَقَرَّتْ أَصابِعُهُ عَلى آلصَّدْرِ ، ثُمَّ لَمَسَتِ آلوَجْهَ آلمُلْتَحِيَ .

وَبَدَتْ عَلاماتُ آلدَّهْشَةِ آلشَّديدَةِ عَلى وَجْهِ مارْفِل .

قالَ آلرَّجُلُ آلخَفِيُّ : « وَمَعَ ذٰلِكَ ، فَلَيْسَ هٰذا بِآلأَمْرِ آلشَّديدِ آلغَرابَةِ كَما تَظُنُّ . »

رَدَّ آلسَّيِّدُ توماس مارْفِل قائِلًا : « إنَّهُ عَلى أَيَّةِ حالٍ شَديدُ آلغَرابَةِ بِآلنِّسْبَةِ لي . وَلٰكِنْ كَيْفَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ هٰذا ؟ كَيْفَ تَفْعَلُهُ ؟ »

« هٰذِهِ حِكايَةٌ طَويلَةٌ لِلْغايَةِ ، وَفَضْلًا عَنْ هٰذا فَإنَّ . . »

قالَ آلسَّيِّدُ مارْفِل مُقاطِعًا : « أَقولُ لَكَ إنَّ آلأَمْرَ عَجيبٌ جِدًّا . إنّي

لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْهَمَهُ . »

« إِنَّ ٱلَّذي أُريدُ أَنْ أَقولَهُ ٱلآنَ هُوَ إِنَّني في حاجَةٍ إِلى ٱلـمُساعَدَةِ . نَعَمْ ، أُريدُ ٱلـمُساعَدَةَ في ٱلحالِ . لَقَدِ ٱلْتَقَيْتُ بِكَ فَجْأَةً وَأَنا أَتَجَوَّلُ عارِيَ ٱلبَدَنِ مُـجَرَّدًا مِنَ ٱلثِّيابِ . . . لا مُعينَ لي ، ثُمَّ رَأَيْتُكَ . . . »

صاحَ مارْڤِل : « يا إِلَـهي ! »

« كُنْتُ أَسيرُ وَراءَكَ ، وَتَوَقَّفْتُ ، ثُمَّ عاوَدْتُ سَيْري ، وَتَوَقَّفْتُ مَرَّةً أُخرى ، وَقُلْتُ في نَفْسي : هٰذا هُوَ ٱلرَّجُـلُ ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يُعاوِنَني ، وَٱسْتَدَرْتُ راجِعًا إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ أَنْتَ ، ثُمَّ . . . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « يا إِلَـهي ! هَلْ لي أَنْ أَسْأَلَكَ عَمّا تَشْعُرُ بِهِ وَأَنْتَ عَلى هٰذِهِ ٱلحالِ ؟ وَأَيُّ عَوْنٍ تَحْتاجُهُ أَيُّها ٱلـخَفِيُّ ؟ »

أُريدُ مِنْكَ أَنْ تُساعِدَني في ٱلـحُصولِ عَلى ثِيابٍ وَمَأْوًى ، ثُمَّ بَعْضِ ٱلأَشْياءِ ٱلأُخْرى . لَقَدْ تَرَكْتُ هٰذِهِ ٱلأَشْياءَ أَطْوَلَ مِـمّا يَنْبَغي . . أَمّا إِذا كُنْتَ لا تُريدُ أَنْ تُساعِدَني . . . وَلٰكِنَّكَ سَتُساعِدُني . . . لا بُدَّ لَكَ أَنْ تُساعِدَني . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِلِ : « اِسْمَعْ ، لا تَطْرَحْني أَرْضًا بَعْدَ ٱلآنَ ، وَدَعْني

أَنْصَرِفْ . . . يَجِبُ أَنْ أَسْتَعيدَ هُدوءَ أَعْصابي . . إِنَّكَ كِدْتَ أَنْ تَكْسِرَ أُصْبُعَ قَدَمي ، وَٱلأَمْرُ كُلُّهُ عَجيبٌ لا يُصَدِّقُهُ ٱلعَقْلُ : أَرْضٌ خَلاءٌ ، وَسَماءٌ خالِيَةٌ ، وَلا شَيْءَيُرى عَلى مَسافَةِ كيلومِتْراتٍ إِلّا ٱلطَّبيعَةَ . وَفَجْأَةً يَنْبَعِثُ صَوْتٌ آتٍ مِنَ ٱلسَّماءِ ! ثُمَّ حِجارَةٌ وَقَبْضَةُ يَدٍ ! يا إِلَـهي ! »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « تَماسَكْ يا رَجُـلُ ؛ إِذْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقومَ بِـما أُريدُهُ مِنْكَ . »

فَغَرَ مارْڤِل فَمَهُ ، وَٱتَّسَعَتْ عَيْناهُ .

عادَ ٱلصَّوْتُ يَقولُ : « لَقَدْ وَقَعَ ٱخْتِياري عَلَيْكَ . إِنَّكَ ٱلإِنْسانُ ٱلوَحيدُ ـ بِٱسْتِثْناءِ بَعْضِ ٱلـحَمْقى مِنْ أَهْلِ ٱلقَرْيَةِ ـ ٱلَّذي يَعْرِفُ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا ٱسْمُهُ ٱلرَّجُـلُ ٱلـخَفِيُّ . يَجِبُ أَنْ تَكونَ مُعينًا لي . أَرْجوكَ ساعِدْني ، وَسَوْفَ أُجازيكَ خَيْرَ ٱلـجَزاءِ . إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ ذو بَأْسٍ وَسُلْطانٍ . » وَأَمْسَكَ عَنِ ٱلكَلامِ بُرْهَةً لِيَعْطِسَ عَطْسَةً عالِيَةً .

ثُمَّ قالَ : « لٰكِنْ إِذا خَدَعْتَني ، وَإِذا لَـمْ تَفْعَلْ ما أَقولُهُ لَكَ . . . »

مَرَّةً أُخْرى كَفَّ عَنْ مُتابَعَةِ ٱلـحَديثِ ، وَرَبَّتَ عَلى كَتِفِ ٱلسَّيِّدِ مارْڤِل بِشِدَّةٍ ؛ فَأَطْلَقَ مارْڤِل صَيْحَةَ فَزَعٍ حينَما شَعَرَ بِلَـمْسَةِ يَدِهِ ، وَقالَ

وَهُوَ يَبْتَعِدُ : « إِنِّي لا أُرِيدُ أَنْ أَخْدَعَكَ . وَلا يَخْطِرَنَّ ذٰلِكَ بِبالِكَ ، مَهْما فَعَلْتَ . . كُلُّ ما أَبْغيهِ هُوَ أَنْ أُساعِدَكَ . قُلْ لِي فَقَطْ ما تُرِيدُنِي أَنْ أَفْعَلَهُ ، وَ مَهْما يَكُنْ ذٰلِكَ ٱلَّذي تُريدُهُ مِنّي فَسَوْفَ أَفْعَلُهُ راضِيًا . »

وَفي حَوالى ٱلسّاعَةِ ٱلرّابِعَةِ دَخَلَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل ٱلقَرْيَةَ مِنْ ناحِيَةِ ٱلتِّلالِ . وَكانَ قَصيرَ ٱلقامَةِ بَدينًا ، عَلى رَأْسِهِ قُبَّعَةٌ قَديمَةٌ قَذِرَةٌ ، وَبَدا مَكْدودًا مُتْعَبًا لاهِثَ ٱلأَنْفاسِ . وَكانَتْ عَلاماتُ ٱلخَوْفِ ظاهِرَةً عَلى وَجْهِهِ ، وَبَدا كَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ . وَتَذَكَّرَ بَعْضُ رِجالِ ٱلقَرْيَةِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مِنْ قَبْلُ ، وَشاهَدَهُ ٱلسَّيِّدُ هَكْستَر يَرْتَقي دَرَجاتِ ٱلفُنْدُقِ وَيَتَّجِهُ إِلى ٱلرَّدْهَةِ . وَسَمِعَ هَكْستَر أَصْواتًا مِنْ داخِلِ ٱلرَّدْهَةِ تَطْلُبُ مِنْهُ أَلّا يَدْخُلَها .

قالَ هُول : « هٰذِهِ غُرْفَةٌ خاصَّةٌ فَلا تَدْخُلْها . »

وَأَغْلَقَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل بابَ ٱلرَّدْهَةِ ، وَٱرْتَدَّ مُتَّجِهًا إِلى قاعَةِ ٱلجُلوسِ ، ثُمَّ ما لَبِثَ أَنْ غادَرَ ٱلمَكانَ مُنْصَرِفًا وَهُوَ يَمْسَحُ فَمَهُ كَأَنَّهُ قَدْ شَرِبَ شَيْئًا .

الفَصْلُ التّاسِعُ

في فُنْدُقِ " العَرَبَةِ وَ ٱلجِياد "

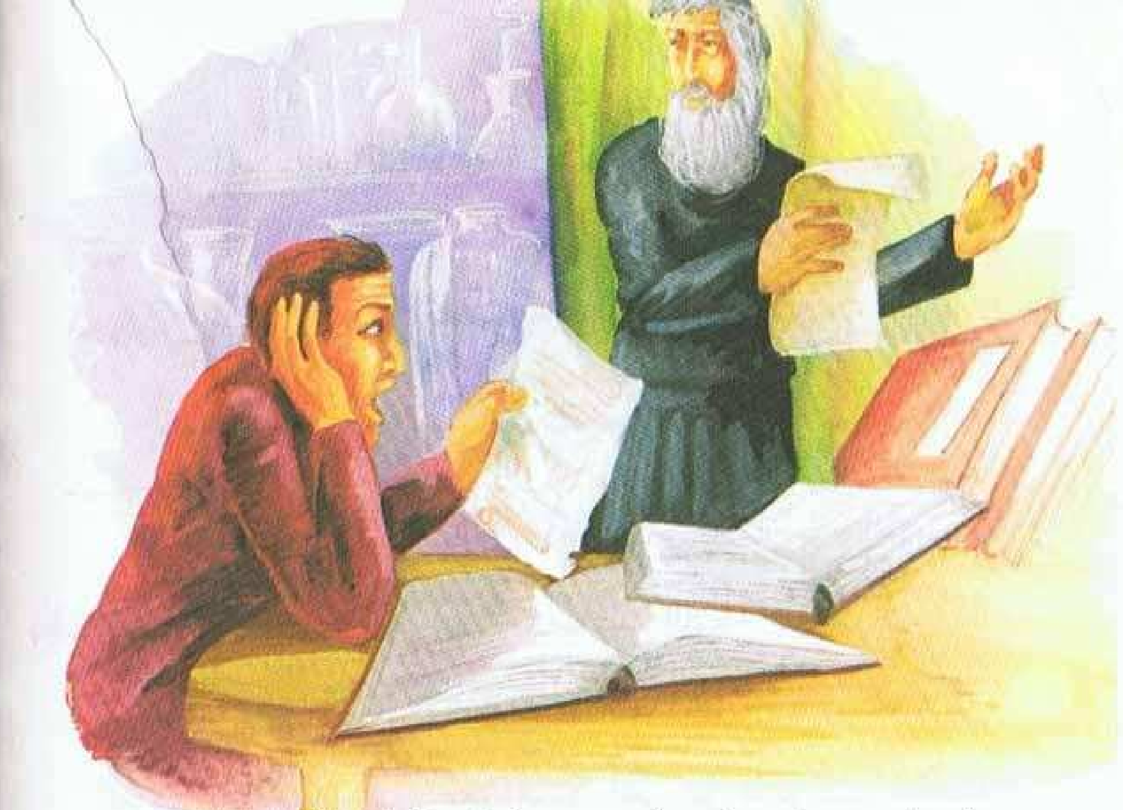
كانَ ٱلسَّيِّدانِ كاس وَبَنْتِنغ في رَدْهَةِ ٱلفُنْدُقِ يُفَتِّشانِ مَتاعَ ٱلغَريبِ ، أَمَلًا في أَنْ يَجِدا شَيْئًا يُفَسِّرُ لَهُما أَحْداثَ ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ . وَكانَ جيفرز قَدْ أَفاقَ مِنْ سَقْطَتِهِ ، وَعادَ إِلى بَيْتِهِ . أَمّا ٱلسَّيِّدَةُ هُول فَقَدْ رَتَّبَتْ مَلابِسَ ٱلغَريبِ ، وَنَحَّتْها جانِبًا . وَعَثَرَ ٱلسَّيِّدُ كاس عَلى ثَلاثَةِ كُتُبٍ ضَخْمَةٍ تَحْتَ ٱلنّافِذَةِ حَيْثُ كانَ ٱلغَريبُ يَعْمَلُ .

قالَ كاس لِبَنْتِنغ : « الآنَ سَنَهْتَدي إِلى شَيْءٍ . »

وَلٰكِنْ ما إِنْ فَتَحا ٱلكُتُبَ حَتّى أَلْفَيا نَفْسَيْهِما عاجِزَيْنِ عَنْ قِراءَةِ شَيْءٍ . وَراحَ كاس يُقَلِّبُ ٱلصَّفَحاتِ ، ثُمَّ قالَ : « هٰذا غَريبٌ ! إِنّي لا أَفْهَمُ شَيْئًا ! »

سَأَلَهُ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنغ : « أَلَمْ تَجِدْ صُوَرًا ؟ لا شَيْءَ يُبَيِّنُ ؟ »

أَجابَهُ ٱلسَّيِّدُ كاس : « هاكَ ٱلكُتُبَ . اِفْحَصْها بِنَفْسِكَ . إِنَّها



مَكْتوبَةٌ بِٱليونانِيَّةِ ، أَوْ لَعَلَّها ٱلرّوسِيَّةُ أَوْ أَيَّةُ لُغَةٍ أُخْرى . »

فُتِحَ ٱلبابُ فَجْأَةً ، وَٱسْتَدارَ ٱلرَّجُلانِ يَتَطَلَّعانِ ، فَإِذا ٱلقادِمُ هُوَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل ، وَلَبِثَ بُرْهَةً مُمْسِكًا بِٱلبابِ وَهُوَ مَفْتوحٌ ، ثُمَّ قالَ : « مَعْذِرَةً ! » .

قالَ ٱلسَّيِّدُ كاس : « أَرْجوكَ أَنْ تُغْلِقَ ٱلبابَ . »
وَعِنْدَئِذٍ ٱنْصَرَفَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل .

قالَ كاس : « إِنَّ أَعْصابي . . . إِنَّ أَعْصابِيَ ٱلْيَوْمَ مُضْطَرِبَةٌ ؛ فَقَدْ أَجْفَلْتُ فَزَعًا عِنْدَما فُتِحَ ٱلبابُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ . »

اِبْتَسَمَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ وَقالَ : « فَلْنُعاوِدِ ٱلآنَ ٱلنَّظَرَ في ٱلكُتُبِ ؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَكٌّ في أَنَّ أَشْياءَ غَريبَةً حَدَثَتْ في ٱلقَرْيَةِ ، وَلٰكِنّي مَعَ هٰذا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا ٱسْمُهُ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ . نَعَمْ ، لا أَسْتَطيعُ . . . »

« لا ، وَ مَعَ ذٰلِكَ أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّني ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَرى مِنْ خِلالِ كُمِّ قَميصِهِ . »

سَأَلَهُ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « أَ واثِقٌ أَنْتَ بِذٰلِكَ ؟ أَ واثِقٌ تَمامًا ؟ »

« واثِقٌ كُلَّ ٱلوُثوقِ ؛ وَقَدْ قُلْتُ ذٰلِكَ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ أَدْنى شَكٍّ فيهِ . وَلْنَعُدِ ٱلآنَ إِلى ٱلكُتُبِ . »

ثُمَّ مَضَيا يُقَلِّبانِ ٱلصَّفَحاتِ ، وَلٰكِنَّهُما عَجَزا عَنْ قِراءَةِ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ مِنْ لُغَتِها ٱلغَريبَةِ . وَفَجْأَةً أَحَسَّ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ بِشَيْءٍ يُمْسِكُ بِقَفاهُ ، حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ .

« إِيّاكُما أَنْ تَتَحَرَّكا أَيُّها ٱلتّافِهانِ وَإِلّا حَطَّمْتُ رَأْسَيْكُما . »

وَتَطَلَّعَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ إِلى كاس ٱلَّذي كانَ وَجْهُهُ شاحِبًا مِنْ شِدَّةِ ٱلهَلَعِ .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « يُؤْسِفُني أَنْ أَكونَ خَشِنًا عَنيفًا ، وَلٰكِنْ مَتى تَعَلَّمْتُما

آلعَبَثَ بِـمُقْتَنَياتِ غَيْرِكُما ؟ »

وَآصْطَدَمَ أَنْفانِ بِآلمائِدَةِ ، وَواصَلَ آلصَّوْتُ حَديثَهُ قائِلًا : « كَيْفَ تَدْخُلانِ حُـجْرَةَ غَريبٍ دونَ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْكُما ذٰلِكَ ؟ أَنْصِتا إِلَيَّ ! إِنَّني رَجُلٌ قَوِيُّ آلبِنْيَةِ ، وَفي وُسْعي أَنْ أَقْتُلَكُما كِلَيْكُما إِذا شِئْتُ وَأَفِرَّ هارِبًا دونَ أَنْ يَراني أَحَدٌ . وَلٰكِنْ إِذا أَطْلَقْتُ سَراحَكُما فَعِداني أَنْ تَفْعَلا ما أُريدُهُ . »

قالَ آلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « نَعِدُكَ بِذٰلِكَ . »

وَتَخَلَّتِ آليَدانِ عَنْ عُنُقَيِ آلرَّجُلَيْنِ ؛ فَآعْتَدَلا واقِفَيْنِ ، وَقَدْ تَضَرَّجَ وَجْهاهُما آحْـمِرارًا .

قالَ آلصَّوْتُ : « إِيّاكُما أَنْ تَتَحَرَّكا . ها هُوَ ذا قَضيبُ تَقْليبِ آلنّارِ في يَدي ؛ أَ تَرَيانِهِ ؟ »

وَرَأَيا آلقَضيبَ يَتَأَرْجَحُ في آلـهَواءِ ، وَيَلْمِسُ أَنْفَ آلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ .

« وَآلآنَ أَيْنَ مَلابِسي ؟ حَقيقَةً آلـجَوُّ دافِئٌ هٰذِهِ آلأَيّامَ حَتّى لَيَسْتَطيعَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ أَنْ يَتَجَوَّلَ مُـجَرَّدًا مِنَ آلثِّيابِ ، وَلٰكِنَّ آلـمَساءَ بارِدٌ . لِذٰلِكَ فَإِنَّني في حاجَةٍ إِلى بَعْضِ آلـمَلابِسِ ، وَإِلى هٰذِهِ آلكُتُبِ آلثَّلاثَةِ أَيْضًا . »

الفَصْلُ آلعاشِرُ

الرَّجُلُ آلـخَفِيُّ يَتَمَلَّكُهُ آلغَضَبُ

بَيْنَما كانَتْ هٰذِهِ آلأُمورُ تَحْدُثُ في آلرَّدْهَةِ ، وَعلى حينَ وَقَفَ آلسَّيِّدُ هَكْسْتَر يَرْقُبُ آلسَّيِّدَ مارْفِل وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلى بَوّابَةِ آلفُنْدُقِ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، كانَ آلسَّيِّدُ هُول عَلى قَيْدِ خُطُواتٍ يَتَبادَلُ آلـحَديثَ مَعَ آلسَّيِّدِ تيدي هَنْفري .

وَفَجْأَةً دَوَّتْ خَبْطَةٌ عالِيَةٌ فَوْقَ بابِ آلرَّدْهَةِ ؛ أَعْقَبَتْها صَرْخَةٌ ، ثُمَّ سادَ آلسُّكونُ .

صاحَ تيدي هَنْفري : « ما هٰذا ؟ »

وَرَدَّدَ صَوْتٌ مِنَ آلدّاخِلِ : « ما هٰذا ؟ »

وَنَظَرَ آلسَّيِّدُ هُول وَتيدي إِلى آلباب .

قالَ هُول : « حَدَثَ شَيْءٌ سَيِّئٌ . »

وَأَرْهَفَ ٱلرَّجُلانِ ٱلسَّمْعَ فَتْرَةً طَويلَةً ، وَمِنْ وَراءِ ٱلبابِ ٱلموصَدِ سَمِعا أَصْواتًا غَريبَةً ، كَأَنَّ شَيْئًا يَسْقُطُ أَرْضًا ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ حادَّةٌ .

وَٱرْتَفَعَ صَوْتٌ يَقولُ : « لا . . . لا . . . لا تَفْعَلْ هٰذا . » ثُمَّ سادَ ٱلصَّمْتُ .

وَفي صَوْتٍ خافِتٍ هَمَسَ هَنْفري مُتَعَجِّبًا : « ما هٰذا ؟ ! »

وَتَساءَلَ هُول : « أَ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ؟ »

وَجاءَ صَوْتُ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ مُجيبًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ! عَلى ما يُرامُ ! لا تَدْخُلْ . »

وَوَقَفا يُنْصِتانِ .

وَسَمِعا ٱلسَّيِّدَ بَنْتِنْغ يَقولُ : « لا أَسْتَطيعُ . أَقولُ لَكَ يا سَيِّدي إِنّي لَنْ أَفْعَلَ هٰذا . »

وَسَأَلَ هَنْفري : « مَنِ ٱلَّذي يَتَكَلَّمُ ٱلآنَ ؟ »

أَجابَهُ هُول : « السَّيِّدُ كاس فيما أَعْتَقِدُ . هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا آخَرَ ؟ »

ثُمَّ سادَ ٱلسُّكونُ .

قالَ هُول : « يَبْدو أَنَّ أَحَدًا أَلْقى بِٱلمائِدَةِ عَلى ٱلأَرْضِ . »

وَظَهَرَتْ زَوْجَةُ هُول ، وَحينَ أَنْبَأُوها بِما حَدَثَ أَبَتْ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّ شَيْئًا غَريبًا كانَ يَحْدُثُ ، وَ قالَتْ : « لَعَلَّهُمْ يُزيحونَ ٱلمَقاعِدَ وَٱلمِنْضَدَةَ . »

تَساءَلَ ٱلسَّيِّدُ هَنْفري : « أَلَمْ أَسْمَعْ صَريرَ ٱلنّافِذَةِ ؟ »

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَةُ هُول : « أَيَّةُ نافِذَةٍ ؟ »

وَأَجابَها هَنْفري : « نافِذَةُ ٱلرَّدْهَةِ . »

وَوَقَفَ ٱلجَميعُ يُنْصِتونَ ، وَ كانَتْ زَوْجَةُ هُول تَنْظُرُ أَمامَها مُباشَرَةً فَوَقَعَتْ عَيْناها عَلى بابِ ٱلفُنْدُقِ ٱللّامِعِ ، وَ ٱلطَّريقِ ٱلخالي ٱلنَّظيفِ ، وَواجِهَةِ مَتْجَرِ هَكْستَر وَهِيَ تَتَأَلَّقُ في ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَرَ شَيْئًا مِنْ هٰذا . وَ فَجْأَةً ٱنْفَتَحَ بابُ ٱلمَتْجَرِ ، وَظَهَرَ هَكْستَر نَفْسُهُ يُحَدِّقُ بِعَيْنَيْهِ مِنْ فَرْطِ ٱلانْفِعالِ ، وَيُلَوِّحُ بِذِراعَيْهِ .

صاحَ هَكْستَر : « قِفْ أَيُّها ٱللِّصُّ ! » وَ جَرى صَوْبَ أَبْوابِ ٱلفِناءِ ، ثُمَّ تَوارى عَنِ ٱلأَنْظارِ .

وَفي ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ صَدَرَتْ مِنَ ٱلرَّدْهَةِ جَلَبَةٌ ، وَ سُمِعَ صَريرُ نافِذَةٍ تُغْلَقُ .

وَٱنْدَفَعَ عَلى ٱلفَوْرِ إلى ٱلشّارِعِ هُول وَهَنفري وَسائِرُ ٱلـمَوْجودينَ في ٱلفُنْدُقِ . وَ شاهَدوا شَخْصًا يَجْري صَوْبَ طَريقِ ٱلتَّلِّ ، وَشاهَدوا ٱلسَّيِّدَ هَكْستر يَقْفِزُ في ٱلـهَواءِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ عَلى وَجْهِهِ وَ كَتِفِهِ . وَجَرى هُول وَٱثْنانِ مِنَ ٱلعُمّالِ إلى آخِرِ ٱلشّارِعِ ، فَرَأَوْا ٱلسَّيِّدَ مارْفِل يَتَوارى وَراءَ جِدارِ أَحَدِ ٱلـمَباني .

بَيْدَ أَنَّ هُول لَـمْ يَكَدْ يَجْري بِضْعَ خُطُواتٍ حَتّى أَطْلَقَ صَرْخَةً عالِيَةً وَسَقَطَ عَلى جَنْبِهِ جاذِبًا مَعَهُ أَحَدَ ٱلعامِلَيْنِ . وَ لَـحِقَ بِـهِما ٱلعامِلُ ٱلثّاني ، وَطُرِحَ هُوَ أَيْضًا أَرْضًا . وَعِنْدَئِذٍ أَقْبَلَ ٱلـحَشْدُ ٱلقادِمُ مِنَ ٱلقَرْيَةِ ، وَ دَهِشَ أَوَّلُ ٱلقادِمينَ عِنْدَما رَأى هَكْستر وَ هُول واقِعَيْنِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَفَجْأَةً حَدَثَ شَيْءٌ لِقَدَمَيْهِ فَإِذا بِهِ راقِدٌ عَلى ظَهْرِهِ ، وَٱلـحَشْدُ ٱلقادِمُ يَتَساقَطُ فَوْقَهُ ، وَٱللَّعَناتُ تَنْهالُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنّاسِ ٱلغاضِبينَ .

عِنْدَما جَرى هُول وَهَنفري وَٱلعامِلانِ مِنَ ٱلفُنْدُقِ إلى ٱلطَّريقِ بَقِيَتْ زَوْجَةُ هُول وَحْدَها في ٱلـمَطْعَمِ . وَفَجْأَةً فُتِحَ بابُ ٱلرَّدْهَةِ وَبَرَزَ عَلى عَتَبَتِهِ ٱلسَّيِّدُ كاس ، وَدونَ أَنْ يُحَوِّلَ إِلَيْها بَصَرَهُ قَفَزَ يَطْوي ٱلدَّرَجَ مُتَّجِهًا إلى

ٱلطَّريقِ صارِخًا : « أَمْسِكوهُ ! لا تَدَعوهُ يَرْمي ٱلكُتُبَ ٱلَّتي في يَدِهِ ! فَما دامَ مُمْسِكًا بِٱلكُتُبِ فَسَتَتَمَكَّنونَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَكانِهِ . »

بَيْدَ أَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مارْفِل ؛ لِأَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ كانَ قَدْ أَعْطاهُ ٱلكُتُبَ لِيَحْمِلَها عَنْهُ وَ هُوَ في ٱلفِناءِ .

وَ كانَتْ عَلاماتُ ٱلغَضَبِ وَٱلتَّصْميمِ بادِيَةً عَلى وَجْهِ ٱلسَّيِّدِ كاس ، أَمّا ثِيابُهُ فَكانَ شَأْنُها عَجيبًا . . . فَبَدَلًا مِنَ ٱلبَنْطَلونِ كانَ يَلُفُّ حَوْلَ بَطْنِهِ وَساقَيْهِ مِفْرَشَ ٱلمائِدَةِ ، وَ كانَ لا يَزالُ يَصيحُ : « أَمْسِكوهُ ! لَقَدِ ٱسْتَوْلى عَلى بَنْطَلوني ! لَقَدِ ٱسْتَوْلى عَلى كُلِّ ثِيابِ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنغ ! »

وَعِنْدَما بَلَغَ ناصِيَةَ ٱلطَّريقِ لِيَنْضَمَّ إلى حَشْدِ ٱلنّاسِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ يُطْرَحُ أَرْضًا ، فَأَخَذَ يَرْكُلُ ٱلأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ . وَداسَ أَحَدُهُمْ عَلى أُصْبُعِهِ ، وَأَخَذَ يُجاهِدُ لِلنُّهوضِ عَلى قَدَمَيْهِ ، فَٱصْطَدَمَ بِهِ شَيْءٌ وَأَلْقاهُ ثانِيَةً عَلى رُكْبَتَيْهِ . وَرَأى ٱلنّاسَ جَميعًا يَرْكُضونَ عائِدينَ إلى ٱلقَرْيَةِ ، فَٱنْتَصَبَ عَلى قَدَمَيْهِ لِلْـمَرَّةِ ٱلثّانِيَةِ ، فَإِذا بِهِ يَتَلَقّى لَطْمَةً خَلْفَ أُذُنِهِ ، فَأَسْرَعَ عائِدًا إلى فُنْدُقِ ٱلقَرْيَةِ بِأَقْصى ما يَسْتَطيعُ مِنْ سُرْعَةٍ . وَ في طَريقِهِ قَفَزَ مُتَخَطِّيًا هَكْستر ٱلَّذي كانَ جالِسًا عَلى ٱلأَرْضِ .

وَبَعْدَ أَنْ صَعِدَ نِصْفَ سُلَّمِ ٱلْفُنْدُقِ ، سَمِعَ صَيْحَةَ غَضَبٍ مُفاجِئَةً تَجاوَزَتْ في شِدَّتِها صَوْتَ ٱلـجَلَبَةِ ٱلسّائِدَةِ ، ثُمَّ صَوْتَ صَفْعَةٍ سُدِّدَتْ إلى وَجْهِ شَخْصٍ ما . وَأَدْرَكَ أَنَّ صَيْحَةَ ٱلغَضَبِ كانَتْ لِلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ .

وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ كانَ ٱلسَّيِّدُ كاس قَدْ عادَ إلى ٱلرَّدْهَةِ .

قالَ وَهُوَ يَنْدَفِعُ إلى ٱلدّاخِلِ : « إنَّهُ عائِدٌ يا بَنْتِنغ ! أُنجُ بِنَفْسِكَ ! »

وَ كانَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ واقِفًا عِنْدَ ٱلنّافِذَةِ يُحاوِلُ أَنْ يَسْتُرَ جَسَدَهُ بِٱلسَّجّادَةِ وَبِإحْدى ٱلصُّحُفِ ، فَسَأَلَهُ ـ وَ قَدْ بَلَغَتْ دَهْشَتُهُ حَدًّا كادَتْ مَعَهُ مَلابِسُهُ تَسْقُطُ عَنْ جَسَدِهِ ـ : « مَنِ ٱلعائِدُ ؟ »

أَجابَ كاس : « الرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ . » وَٱنْدَفَعَ نَحْوَ ٱلنّافِذَةِ وَهُوَ يُرَدِّدُ : « خَيْرٌ لَنا أَنْ نَهْرُبَ مِنْ هُنا ، أَسْرِعْ ! إنَّهُ يُقاتِلُ كَٱلـمَجْنونِ ! »

وَبَعْدَ لَـحْظَةٍ كانَ في ٱلفِناءِ .

وَسَمِعَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنغ جَلَبَةَ صِراعٍ عَنيفٍ في ٱلـمَمْشى ، فَٱسْتَقَرَّ رَأْيُهُ عَلى أَنْ يُغادِرَ ٱلـمَكانَ . وَخَرَجَ مِنَ ٱلنّافِذَةِ ، وَٱنْطَلَقَ يَجْري عَبْرَ شارِعِ ٱلقَرْيَةِ بِأَسْرَعِ ما تَسْتَطيعُ ساقاهُ ٱلسَّمينَتانِ أَنْ تَحْمِلاهُ .

الفَصْلُ ٱلحادِيَ عَشَرَ

السَّيِّدُ مارْڤِل يُحاوِلُ رَفْضَ ٱلـمُهِمَّةِ

كانَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل يَسيرُ مُتَأَلِّـمًا وَسْطَ ٱلـحِراجِ ٱلكَثيفَةِ مُتَّجِهًا إلى برامْبِلْهِرسْت . وَكانَ تَعِيسًا وَهُوَ يَحْمِلُ ثَلاثَةَ كُتُبٍ وَبَعْضَ ٱلـمَلابِسِ ٱلـمَلْفوفَةِ في مِفْرَشِ مائِدَةٍ أَزْرَقِ ٱللَّوْنِ .

وَكانَ يُصاحِبُهُ صَوْتٌ ، وَتُمْسِكُ بِهِ بِقُوَّةٍ يَدانِ غَيْرُ مَرْئِيَّتَيْنِ .

قالَ ٱلصَّوْتُ مُرَدِّدًا : « لَوْ أَنَّكَ حاوَلْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَرَّةً أُخرى . . . لَوْ أَنَّكَ حاوَلْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَرَّةً أُخرى فَسَأَقْتُلُكَ . »

أَجابَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « إنَّني لَـمْ أُحاوِلْ أَنْ أَهْرُبَ . »

إنْهالَ ٱلصَّوْتُ عَلَيْهِ بِٱلسِّبابِ وَٱللَّعَناتِ ، ثُمَّ سَكَتَ . وَ بَدا ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل مُتْعَبًا مَنْهوكَ ٱلقُوى ؛ لِأَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ يَأْلَفُ ٱلعَمَلَ ٱلشّاقَّ . وَسادَ ٱلصَّمْتُ بُرْهَةً مِنَ ٱلوَقْتِ ، ثُمَّ قالَ ٱلصَّوْتُ : « يَجِبُ أَنْ أُفيدَ مِنْكَ . إنَّكَ مَـخْلوقٌ مِسْكينٌ ، وَلٰكِنَّني مُضْطَرٌّ إلى ذٰلِكَ . »

قالَ مارْڤِل : « نَعَمْ إنَّني رَجُلٌ مِسْكينٌ . »

قالَ آلصَّوْتُ : « صَدَقْتَ . »

قالَ مارْڤِل : « إنَّني لَسْتُ قَوِيًّا . » وَسَكَتَ قَليلاً ثُمَّ كَرَّرَ قَوْلَهُ : « إنِّي لَسْتُ قَوِيًّا . فَقَلْبي ضَعيفٌ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ما تَبْغيهِ مِنّي . »

قالَ آلصَّوْتُ : « بَلْ سَأَجْعَلُكَ تَفْعَلُ ما أُريدُ . »

قالَ مارْڤِل : « لَيْتَني مِتُّ . »

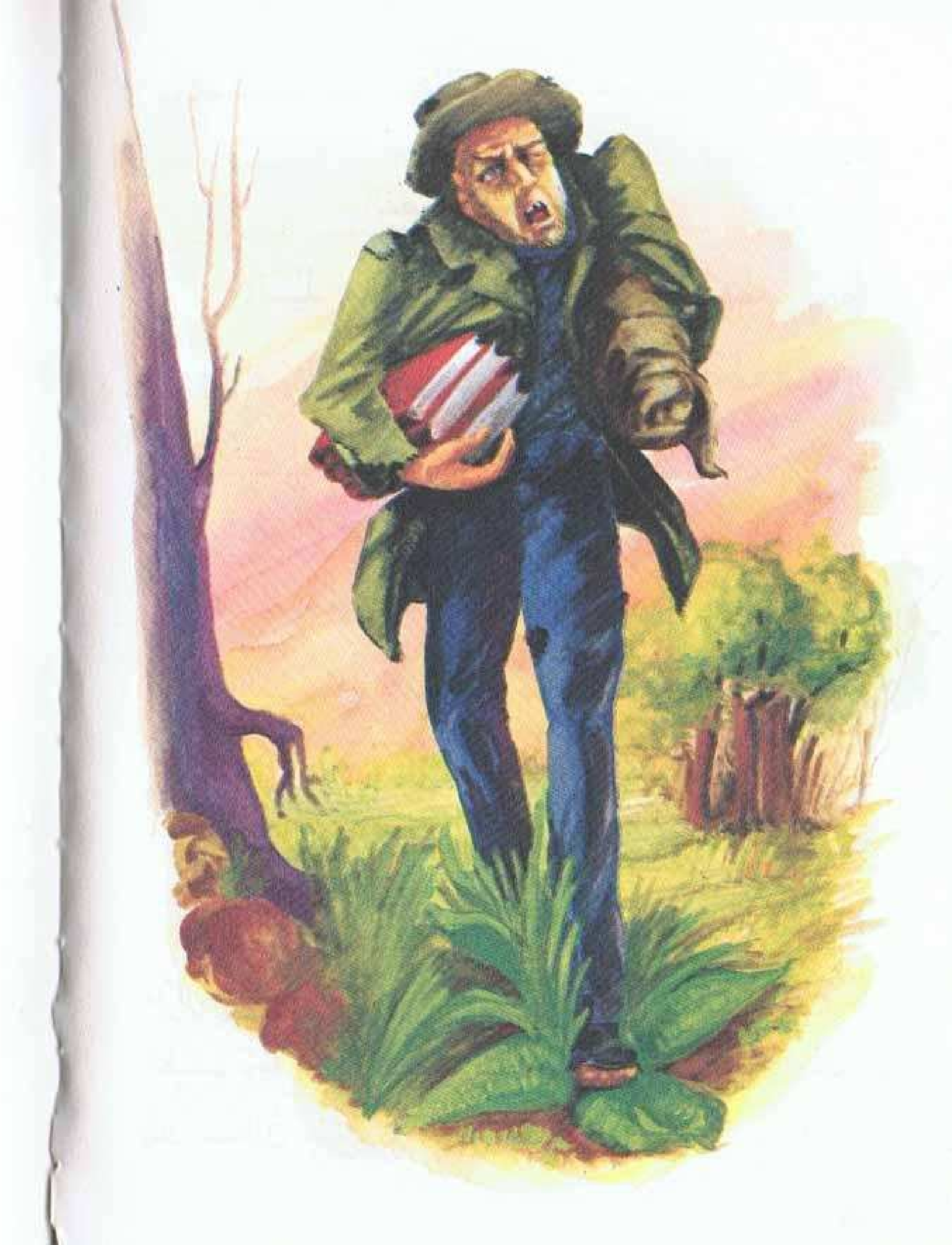
قالَ آلصَّوْتُ : « واصِلِ آلمَشْيَ ! سِرْ ! تَحَرَّكْ ! »

قالَ مارْڤِل : « يا لَها مِنْ قَسْوَةٍ . »

قالَ آلصَّوْتُ : « أُصْمُتْ ! سَأَعْمَلُ عَلى أَنْ أَجْعَلَكَ مُرْتاحًا . وَلٰكِنِ آلْزَمِ آلسُّكوتَ ؛ فَإِنّي أُريدُ أَنْ أُفَكِّرَ . »

وَ بَعْدَ قَليلٍ تَراءَتْ لَهُما أَنْوارُ قَرْيَةٍ .

قالَ آلصَّوْتُ : « سَأُبْقي يَدي عَلى كَتِفِكَ ، فَآدْخُلِ آلقَرْيَةَ وَسِرْ فيها ، وَلا تُحاوِلْ أَنْ تَقولَ شَيْئًا لِأَحَدٍ . »



الفَصْلُ ٱلثّانِي عَشَرَ
في ميناءِ آسْتُو

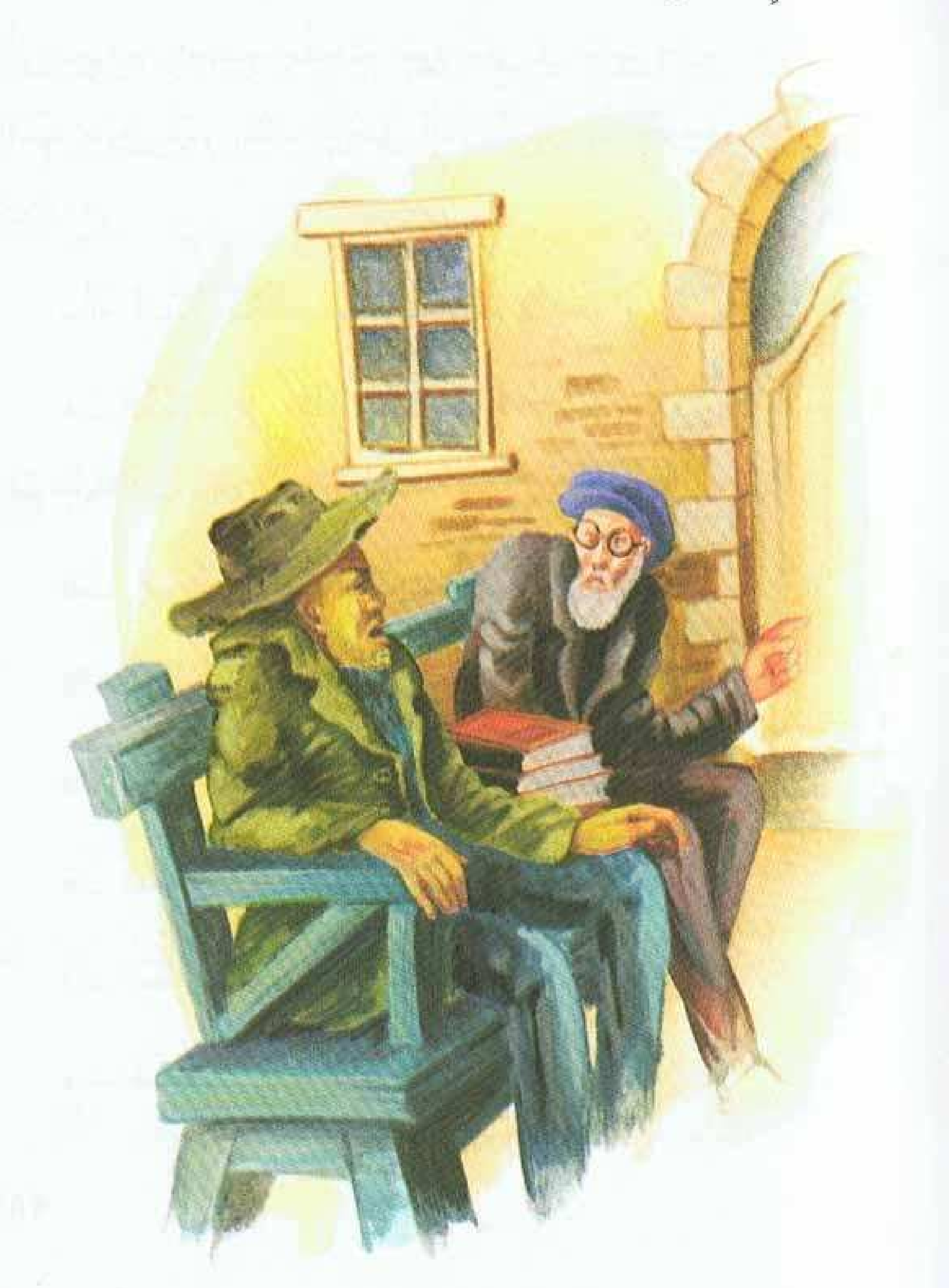
في العاشِرَةِ مِنْ صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، جَلَسَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل خارِجَ فُنْدُقٍ صَغيرٍ في ميناءِ آسْتُو ، وَهُوَ قَذِرٌ حَزينٌ ، تَكادُ ٱلدُّموعُ تَطْفِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَ بِجانِبِهِ ٱلكُتُبُ ٱلثَّلاثَةُ ، وَلٰكِنَّها هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ كانَتْ مَرْبوطَةً بِخَيْطٍ . أما ٱلثِّيابُ فَقَدْ تَرَكَها في ٱلحِراجِ ٱلقَريبَةِ مِنْ برامْبِلْهِرِسْت .

كانَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل جالِسًا عَلى أَريكَةٍ عِنْدَ ٱلبابِ ، وَرَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَلْقى أَيَّ ٱهْتِمامٍ مِنْ أَحَدٍ ، إِلّا أَنَّهُ كانَ مُنْفَعِلًا مُتَوَتِّرَ ٱلأَعْصابِ .

وَبَعْدَ ٱنْقِضاءِ قُرابَةِ ٱلسّاعَةِ ـ وَمارْڤِل جالِسٌ مَكانَهُ ـ خَرَجَ مِنَ ٱلفُنْدُقِ بَحّارٌ عَجوزٌ في يَدِهِ صَحيفَةٌ ، وَٱسْتَوى جالِسًا بِجانِبِهِ عَلى ٱلأَريكَةِ .

قالَ ٱلبَحّارُ : « طَقْسٌ جَميلٌ ٱليَوْمَ . »

تَطَلَّعَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل إِلى ٱلبَحّارِ بِعَيْنَيْنِ يَتَجَلّى فيهِما ٱلرُّعْبُ ، وَرَدَّدَ في ٱقْتِضابٍ : « جِدًّا . »



أَدارَ ٱلبَحّارُ بَصَرَهُ فيما حَوْلَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ ما يَفْعَلُهُ ، ثُمَّ ٱسْتَقَرَّتْ عَيْناهُ عَلى ثِيابِ ٱلسَّيِّدِ مارْڤِل ٱلَّتي عَلاها ٱلتُّرابُ ، وَعَلى ٱلكُتُبِ ٱلَّتي بِجِوارِهِ . وَسَمِعَ خَشْخَشَةَ نُقودٍ تُلْقى في جَيْبِ جارِهِ ، وَرَأى أَنَّ ٱلسَّيِّدَ مارْڤِل لَيْسَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ نُقودًا كَثيرَةً .

سَأَلَهُ ٱلبَحّارُ فَجْأَةً : « أَهٰذِهِ كُتُبٌ؟ »

هَبَّ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل واقِفًا ، وَنَظَرَ إِلى ٱلكُتُبِ قائِلًا : « آهٍ . . . نَعَمْ ! نَعَمْ إِنَّها كُتُبٌ ! »

فَقالَ ٱلبَحّارُ : « إِنَّ فِي ٱلكُتُبِ أَشْياءَ غَريبَةً . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « نَعَمْ . »

قالَ ٱلبَحّارُ : « وَفي خارِجِها أَشْياءُ غَريبَةٌ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « هٰذا صَحيحٌ . »

قالَ ٱلبَحّارُ : « فَفي ٱلصُّحُفِ مَثَلًا أَشْياءُ غَريبَةٌ . »

« صَدَقْتَ »

قالَ ٱلبَحّارُ : « في هٰذِهِ ٱلصَّحيفَةِ شَيْءٌ غَريبٌ . فيها قِصَّةُ رَجُلٍ خَفِيٍّ . »

ثُمَّ رَوى لِلسَّيِّدِ مارْڤِل ٱلشَّطْرَ ٱلأَكْبَرَ مِمّا نَشَرَتْهُ ٱلصَّحيفَةُ عَنِ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ . وَأَرْدَفَ : « إِنَّني لا أُحِبُّ هٰذا ، فَقَدْ يَكونُ في أَيِّ مَكانٍ ، وَقَدْ يَكونُ هُنا في هٰذِهِ ٱللَّحْظَةِ يَسْتَمِعُ إِلى حَديثِنا . وَتَخَيَّلْ أَنَّهُ إِنْ أَرادَ أَنْ يَسْرِقَ أَوْ يَقْتُلَ ، فَما ٱلَّذي سَيَمْنَعُهُ ؟ »

وَبَدا أَنَّ ٱلسَّيِّدَ مارْڤِل كانَ يُنْصِتُ إِلى أَقَلِّ صَوْتٍ .

قالَ : « الواقِعُ أَنَّ . . . » وَخَفَضَ مِنْ صَوْتِهِ وَقالَ : « لَقَدْ تَصادَفَ أَنْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ . »

سَأَلَهُ ٱلبَحّارُ : « أَنْتَ ؟ »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « نَعَمْ ، أَنا ! »

وَلَمْ يَبْدُ عَلى ٱلبَحّارِ أَنَّهُ صَدَّقَ ٱلسَّيِّدَ مارْڤِل .

وَشَرَعَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل يَقولُ : « لَقَدْ حَدَثَ ٱلأَمْرُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ . . . »

وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ مَلامِحُ وَجْهِهِ ، وَهَبَّ مِنْ مَقْعَدِهِ يَتَأَوَّهُ مِنَ ٱلأَلَمِ .

سَأَلَهُ ٱلْبَحّارُ : « ماذا حَدَثَ ؟ »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « أَعْتَقِدُ . . . . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَنْصَرِفَ . »

قالَ ٱلْبَحّارُ : « وَلٰكِنَّكَ كِدْتَ تُحَدِّثُني عَنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلْخَفِيِّ . »

وَبَدا عَلى ٱلسَّيِّدِ مارْڤِل ٱلاسْتِغْراقُ فِي ٱلتَّفْكيرِ .

وَقالَ صَوْتٌ : « هٰذا كَذِبٌ . »

وَوافَقَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل قائِلًا : « نَعَمْ ، هٰذا كَذِبٌ . »

قالَ ٱلْبَحّارُ : « إِنَّهُ مَنْشورٌ فِي ٱلصَّحيفَةِ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل بِصَوْتٍ عالٍ : « نَعَمْ ، وَلٰكِنَّها قِصَّةٌ كاذِبَةٌ . وَأَنا أَعْرِفُ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي ٱبْتَدَعَها فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٌ ٱسْمُهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ . »

« وَلٰكِنْ ما رَأْيُكَ فيما نَشَرَتْهُ ٱلصَّحيفَةُ ؟ أَ تُريدُ أَنْ تَقولَ . . . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل مُؤَكِّدًا : « لَيْسَ فيها كَلِمَةٌ واحِدَةٌ صَحيحَةٌ . »

وَحَدَّقَ إِلَيْهِ ٱلْبَحّارُ وَٱلصَّحيفَةُ في يَدِهِ ، وَتَلَفَّتَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل حَوْلَهُ .

وَقالَ ٱلْبَحّارُ : « اِنْتَظِرْ قَليلًا . » ثُمَّ قامَ وَأَخَذَ يَقولُ بِبُطْءٍ : « أَ تُريدُ

أَنْ تَقولَ . . . ؟ »

أَجابَهُ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل مُقاطِعًا : « نَعَمْ ، هٰذا ما أُريدُ أَنْ أَقولَهُ . »

« إِذًا لِماذا تَرَكْتَني أَرْوي لَكَ كُلَّ هٰذا ؟ ما ٱلَّذي كُنْتَ تَرْمي إِلَيْهِ حينَ جَعَلْتَني أَبْدو ساذَجًا مُغَفَّلًا أُرَدِّدُ عَلَيْكَ قِصَّةً كاذِبَةً ؟ »

اِرْتَفَعَ صَوْتٌ يَقولُ : « تَقَدَّمْ ! » وَفَجْأَةً أُديرَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل ، وَبَدَأَ يَمْشي قَفْزًا بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ .

قالَ ٱلْبَحّارُ وَقَدْ تَباعَدَتْ ساقاهُ ، وَوَقَفَ يَرْقُبُ ٱلرَّجُلَ وَهُوَ يَبْتَعِدُ : « أَيُّها ٱلشَّيْطانُ ٱلأَحْمَقُ ! سَوْفَ أُريكَ ، أَيُّها ٱلأَحْمَقُ ٱلْمُغَفَّلُ ! إِنَّها مَنْشورَةٌ هُنا فِي ٱلصَّحيفَةِ ! »

عِنْدَئِذٍ حَدَثَ شَيْءٌ عَجيبٌ . . . شَيْءٌ سَمِعَهُ البَحّارُ وَرَآهُ بِمِلْءِ عَيْنَيْهِ : حَفْنَةٌ مِنَ ٱلنُّقودِ ٱلْمَعْدِنِيَّةِ تَسيرُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها مُلْتَصِقَةً بِٱلْجِدارِ . وَقَدْ رَأى صَديقٌ لِلْبَحّارِ هٰذا ٱلْمَشْهَدَ ٱلعَجيبَ صَباحَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ نَفْسِهِ . وَلَمّا حاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ ٱلنُّقودَ لَطَمَتْهُ يَدٌ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ فَطَرَحَتْهُ أَرْضًا ، وَلَمّا وَقَفَ عَلى رِجْلَيْهِ كانَتِ ٱلنُّقودُ قَدِ ٱخْتَفَتْ .

وَكانَتْ قِصَّةُ ٱلنُّقودِ ٱلطّائِرَةِ حَقيقِيَّةً لا يُداخِلُها ٱلشَّكُّ ؛ فَقَدْ كانَتِ

ٱلنُّقودُ تَمْشي بِهُدوءٍ مِنَ ٱلأَماكِنِ ٱلـمُجاوِرَةِ ، حَتّى مِنَ ٱلـمَصْرِفِ وَٱلـمَتاجِرِ وَ ٱلفَنادِقِ ، وَكانَتْ تَتَّخِذُ طَريقَها إِلى جَيْبِ ٱلسَّيِّدِ مارْڤِل .

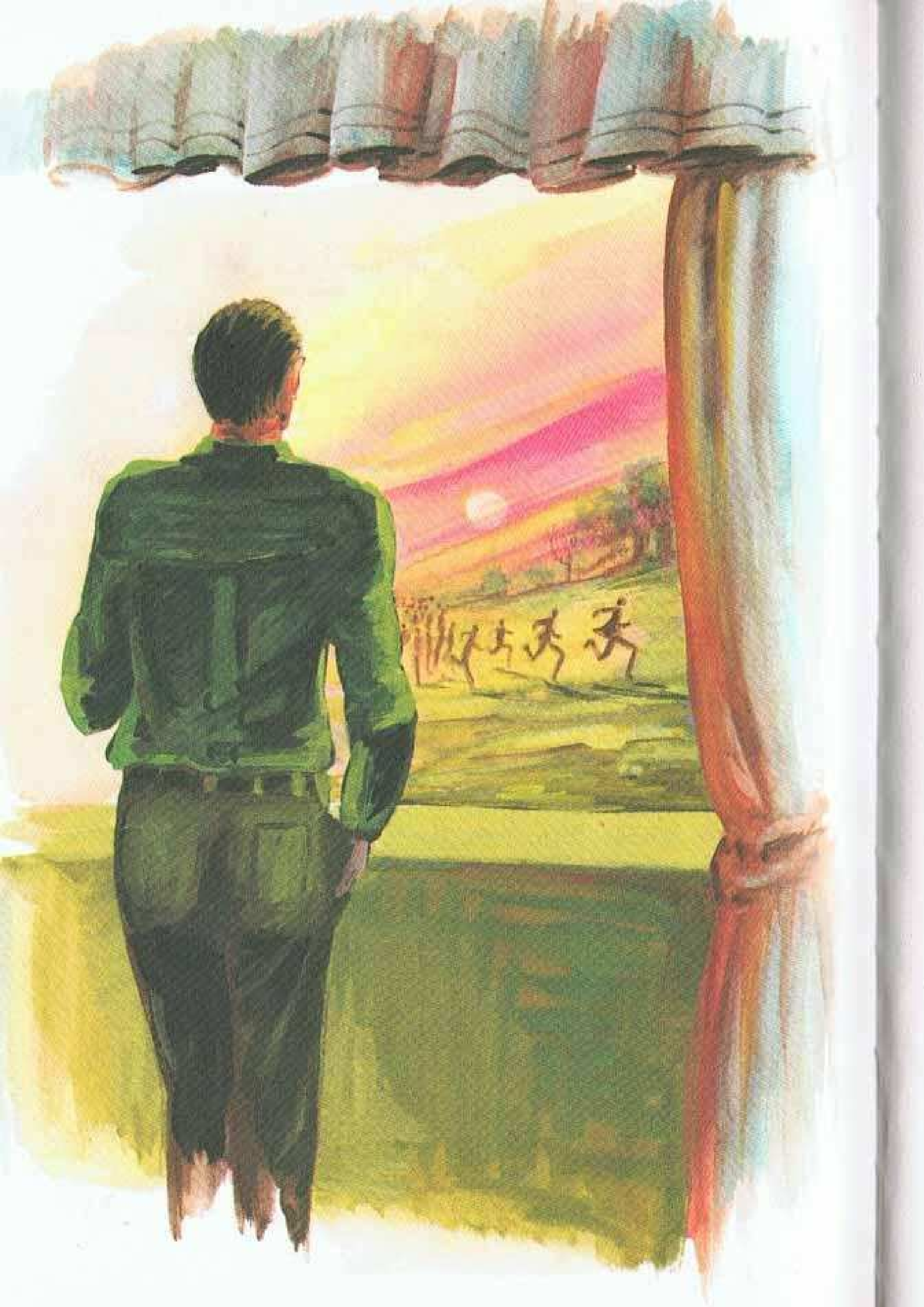
وَقَدْ سَمِعَ ٱلبَحّارُ هٰذِهِ ٱلقِصَّةَ .

الفَصْلُ ٱلثّالِثَ عَشَرَ

الرَّجُلُ ٱلَّذي في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ

في ٱلسّاعاتِ ٱلأولى مِنْ مَساءِ أَحَدِ ٱلأَيّامِ كانَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب جالِسًا في مَكْتَبِهِ ٱلقائِمِ عَلى ٱلتَّلِّ ٱلَّذي يُشْرِفُ عَلى قَرْيَةِ بِرْدُوك . وَ كانَتْ غُرْفَةُ ٱلـمَكْتَبِ أَنيقَةً صَغيرَةً في ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، وَلَها ثَلاثُ نَوافِذَ تُطِلُّ عَلى ٱلشَّمالِ وَٱلغَرْبِ وَٱلـجَنوبِ ، وَتَنْتَظِمُ جُدْرانَها رُفوفٌ مُكَدَّسَةٌ بِٱلكُتُبِ ، وَ بِها مَكْتَبٌ عَريضٌ . وَ كانَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب طَويلَ ٱلقامَةِ ، نَحيفَ ٱلـجِسْمِ ، في حَوالى ٱلخامِسَةِ وَٱلثَّلاثينَ ، بِرَأْسِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ شَعْرٍ كانَ أَشْقَرَ في يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيّامِ . وَكانَ جالِسًا إِلى مَكْتَبِهِ مُنْهَمِكًا في ٱلكِتابَةِ .

وَحَدَثَ أَنْ رَفَعَ عَيْنَيْهِ عَنْ عَمَلِهِ ، فَوَقَعَتا عَلى مَنْظَرِ ٱلغُروبِ وَراءَ ٱلتَّلِّ ٱلـمُقابِلِ لِـمَنْزِلِهِ . وَ مَرَّتْ دَقيقَةٌ وَ هُوَ جالِسٌ ، وَ قَلَـمُهُ في فَمِهِ ، يَتَأَمَّلُ بِإِعْجابٍ لَوْنَ شَمْسِ ٱلغُروبِ ٱلذَّهَبِيَّ ٱلـمُتَأَلِّقَ ؛ وَعِنْدَئِذٍ لَـمَحَ شَبَحًا ضَئيلاً لِرَجُلٍ يَجْري عَلى ٱلتَّلِّ مُتَّجِهًا ناحِيَتَهُ . وَ كانَ ذا قامَةٍ تَميلُ



إلى القصرِ ، ضئيلَ الجسْمِ ، على رأْسِهِ قُبَّعَةٌ قديمةٌ قذِرَةٌ ، وَ كانَ يَجْري بِسُرْعَةٍ . وَ نَهَضَ الدُّكتورُ كِمْب ، وَاتَّجَهَ إلى النَّافِذَةِ ، وراحَ يُحَملِقُ ناحِيَةَ التَّلِّ ، وَيُتابِعُ بِبَصَرِهِ الشَّبَحَ الضَّئيلَ الَّذي يَرْكُضُ هابِطًا التَّلَّ . وَ قالَ لِنَفْسِهِ : « يَبْدو أَنَّهُ في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . »

وَتَوارى الرَّجُلُ الَّذي كانَ يَجْري وَراءَ بَعْضِ البُيوتِ ؛ ثُمَّ عادَ إلى الظُّهورِ ، وَ اخْتَفى مَرَّةً أُخْرى ـ وَ كانَ لا يَزالُ يَجْري .

أَمَّا الَّذينَ كانوا على كَثَبٍ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَوْا عَلاماتِ الرُّعْبِ بادِيَةً على وَجْهِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ يَمينًا أَوْ شِمالاً ، وَإِنَّما كانَتْ عَيْناهُ الواسِعَتانِ تُحَدِّقانِ إلى مَهْبِطِ التَّلِّ حَيْثُ تُلْقي مَصابيحُ الشَّارِعِ بِأَنْوارِها ، وَ حَيْثُ يَزْحَمُ النَّاسُ الطَّريقَ .

وَما مَرَّ بِإِنْسانٍ إلاَّ تَوَقَّفَ عَنِ المَسيرِ وَحَمْلَقَ إلى الطَّريقِ . وَ أَخَذَ النَّاسُ ، وَقَدْ غَشِيَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الخَوْفِ يَتَساءَلونَ عَمَّا يَدْفَعُ هذا الرَّجُلَ إلى أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ على هذا النَّحْوِ .

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَبِأَعْلى التَّلِّ ، نَبَحَ كَلْبٌ كانَ يَلْهو في الطَّريقِ ، وَجَرى تَحْتَ بَوَّابَةٍ . وَ بَيْنَما كانَ النَّاسُ يَتَساءَلونَ ، إذا بِشَيْءٍ

- بريحٍ أَوْ بِوَقْعِ أَقْدامٍ ، أَوْ بِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِ أَنْفاسٍ قَوِيَّةٍ - يَنْدَفِعُ مارًّا بِـهِـمْ .

صَرَخَ آلنّاسُ ، وَ آبْتَعَدوا عَنْ عُرْضِ آلطَّريقِ ، وَعَلا صُراخُهُمْ عِنْدَما آنْدفَعَ هذا آلشَّيْءُ مارًّا بِـهِـمْ إلى أَسْفَلِ آلتَّلِّ .

وَكانوا يَصْرُخونَ في آلشّارِعِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مارْفِل مِنْ بُلوغِ نِصْفِ آلطَّريقِ . وَأَخَذوا جَميعًا يَرْكُضونَ إلى دورِهِمْ ، وَيُغْلِقونَ آلأَبْوابَ وَراءَهُمْ ، وَ يَتَناقَلونَ خَبَرًا واحِدًا . وَسَمِعَهُ مارْفِل ؛ فَآنْدَفَعَ إلى آلطَّريقِ . وَ سَبَقَهُ آلـخَوْفُ إلى آلنّاسِ ، وَسَرْعانَ ما مَلَكَهُم ؛ وَ لَـمْ تَمْضِ إلّا لَـحْظَةٌ حَتّى سادَ آلبَلْدَةَ كُلَّها ، وَأَخَذَ آلـجَميعُ يَصْرُخونَ : « آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ قادِمٌ ! آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ ! »

الفَصْلُ آلرّابِعَ عَشَرَ

في "جُولي كرِيكِيتارْز"

" جُولي كرِيكِيتارْز " فُنْدُقٌ صَغيرٌ يَقَعُ عِنْدَ سَفْحِ آلتَّلِّ . وَ كانَ عامِلُ مَطْعَمِ آلفُنْدُقِ مُسْتَنِدًا إلى ذِراعَيْهِ آلـحَمْراوَيْنِ آلـمُكْتَنِزَتَيْنِ عَلى مِنْضَدَةٍ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ حوذِيٍّ عَنِ آلـجِيادِ .

وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ ذو لِـحْيَةٍ سَوْداءَ يَتَناوَلُ بَسْكَويتًا وَ جُبْنًا وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إلى شُرْطِيٍّ بِلُكْنَةٍ أَمْريكِيَّةٍ .

قالَ آلحوذِيُّ مُحاوِلًا آلنَّظَرَ إلى ما وَراءَ آلتَّلِّ مِنْ خَلْفِ آلسَّتائِرِ آلصَّفْراءِ آلـمُتَّسِخَةِ آلـمُسْدَلَةِ عَلى نافِذَةِ آلفُنْدُقِ : « لِمَ هذا آلصِّياحُ ؟ » وَمَرَّ أَحَدُهُمْ خارِجَ آلفُنْدُقِ مُسْرِعًا .

قالَ عامِلُ آلـمَطْعَمِ : « لَعَلَّهُ حَريقٌ . »

وَفُتِحَ آلبابُ بِدَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَدَخَلَ مارْفِل مُنْدَفِعًا ، وَهُوَ يَبْكي ، بِدونِ

قُبَّعةٍ ، وَقَدْ تمزَّقَتْ ياقةُ سُتْرَتِهِ . وَحاوَلَ أَنْ يُغْلِقَ آلبابَ وَراءَهُ ، وَكانَ نِصْفَ مَفْتوحٍ ، وَمَرْبوطًا بِشَريطٍ .

وَصاحَ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ مِنْ شِدَّةِ آلرُّعْبِ : « قادِمٌ ! إِنَّهُ قادِمٌ ! الرَّجُلُ آلـخَفِيُّ وَرائي ! بِآللهِ عَلَيْكُمْ أَنْقِذوني ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! »

قالَ آلشُّرْطِيُّ : « أَغْلِقوا آلأَبْوابَ . مَنْ هُوَ هٰذا آلقادِمُ ؟ ماآلـخَبَرُ ؟ »

وَمَشى إِلى آلبابِ ، وَفَكَّ آلشَّريطَ ، فَآنْصَفَقَ آلبابُ ، وَ أَغْلَقَ آلرَّجُلُ آلـمُلْتَحي آلبابَ آلثّانـِيَ .

قالَ مارْفِل باكِيًا : « دَعونى أَخْتَبِئْ ! أَغْلِقوا عَلَيَّ في أَيِّ مَكانٍ . أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّهُ يَتَعَقَّبُني ، وَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُ وَقالَ إِنَّهُ سَيَقْتُلُني ، وَسَيَفْعَلُ . »

قالَ لَهُ آلرَّجُلُ ذو آللِّـحْيَةِ آلسَّوْداءِ : « إِنَّكَ آلآنَ في أَمانٍ ، وَآلبابُ مُغْلَقٌ كَما تَرى . . وَلٰكِنْ لِـمَ كُلُّ هٰذا ؟ »

قالَ مارْفِل : « خَبِّئوني ! » ثُمَّ أَطْلَقَ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً حينَ زَعْزَعَتْ فَجْأَةً خَبْطَةٌ قَوِيَّةٌ آلبابَ آلـمُغْلَقَ . وَأَعْقَبَتِ آلـخَبْطَةَ طَرَقاتٌ مُتَتابِعَةٌ وَزَعيقٌ خارِجَ آلبابِ .

صاحَ آلشُّرْطِيُّ : « مَنْ هُناكَ ؟ »

وَصَرَخَ مارْفِل : « إِنَّهُ سَيَقْتُلُني . . . إِنَّ مَعَهُ مُدْيَةً أَوْ ما أَشْبَهَ . لا تَفْتَحوا آلبابَ . . . أَرْجوكُمْ أَلّا تَفْتَحوا آلبابَ . . أَيْنَ أَخْتَبِئُ ؟ »

تَساءَلَ ذو آللِّـحْيَةِ آلسَّوْداءِ وَ إِحْدى يَدَيْهِ وَراءَهُ : « أَ هٰذا هُوَ إِذًا آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ ؟ أَظُنُّ أَنَّ آلوَقْتَ قَدْ حانَ لِكَيْ نَراهُ . »

وَفَجْأَةً تَهَشَّمَتْ نافِذَةُ آلفُنْدُقِ ، وَتَعالَتِ آلصَّرَخاتُ ، وَراحَ آلنّاسُ يَجْرونَ في آلشّارِعِ . وَآعْتَلى آلشُّرْطِيُّ مَقْعَدًا ، وَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ آلنّافِذَةِ مُحاوِلًا أَنْ يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ آلَّذي يَطْرُقُ آلبابَ . ثُمَّ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ آلـمَقْعَدِ وَقالَ : « إِنَّهُ ذٰلِكَ آلَّذي تَتَحَدَّثونَ عَنْهُ . »

وَوَقَفَ عامِلُ آلـمَطْعَمِ أَمامَ بابِ آلرَّدْهَةِ آلَّتي كانَ آلسَّيِّدُ مارْفِل مُخْتَبِئًا فيها ، وَراحَ يُحَدِّقُ إِلى آلنّافِذَةِ آلـمُهَشَّمَةِ ، ثُمَّ آتَّجَهَ ناحِيَةَ آلرَّجُلَيْنِ آلآخَرَيْنِ .

وَفَجْأَةً سادَ آلسُّكونُ آلـمَكانَ ، فَقالَ آلشُّرْطِيُّ : « أَتَمَنّى لَوْ أَنَّ عَصايَ مَعي ؛ فَإِذا فَتَحْنا آلبابَ دَخَلَ ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ شَيْءٌ . »

قالَ آلحوذِيُّ بِنَبْرَةِ قَلَقٍ : « لا تَتَعَجَّلْ فَتْحَ آلبابِ . »

قالَ ذو اللِّحْيَةِ السَّوْداءِ : « اِفْتَحوا الباب ، فَإذا دَخَلَ . . . »

وَأَبْرَزَ يَدَهُ مِنْ وَراءِ ظَهْرِهِ مُمْسِكَةً بِمُسَدَّسٍ .

قالَ الشُّرْطِيُّ : « هٰذا لا يَجوزُ . تِلْكَ جَريمَةُ قَتْلٍ . »

رَدَّ ذو اللِّحْيَةِ : « إنِّي أَعْرِفُ قانونَ هٰذِهِ البِلادِ . سَأُطْلِقُ النّارَ على ساقَيْهِ . اِفْتَحِ البابَ . »

أَجابَ عامِلُ المَطْعَمِ : « كَيْفَ أَفْتَحُهُ وَ المُسَدَّسُ وَراءَ ظَهْري ؟ »

قالَ الرَّجُلُ ذو اللِّحْيَةِ السَّوْداءِ : « سَنَرى ! » ثُمَّ تَقَدَّمَ وَ مُسَدَّسُهُ مُعَدٌّ في يَدِهِ ، وَ فَتَحَ بِنَفْسِهِ قُفْلَ البابِ ، وَ أَخَذَ عامِلُ المَطْعَمِ وَالحوذِيُّ وَ الشُّرْطِيُّ يَتَلَفَّتونَ حَوْلَهُمْ .

قالَ ذو اللِّحْيَةِ السَّوْداءِ بِصَوْتٍ خَفيضٍ ، وَقَدِ ارْتَدَّ إلى الوَراءِ ، وَوَقَفَ مُواجِهًا البابَ ، وَ مُسَدَّسُهُ وَراءَ ظَهْرِهِ : « أُدْخُلْ ! » وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَدْخُلْ ، وَ ظَلَّ البابُ مُغْلَقًا .

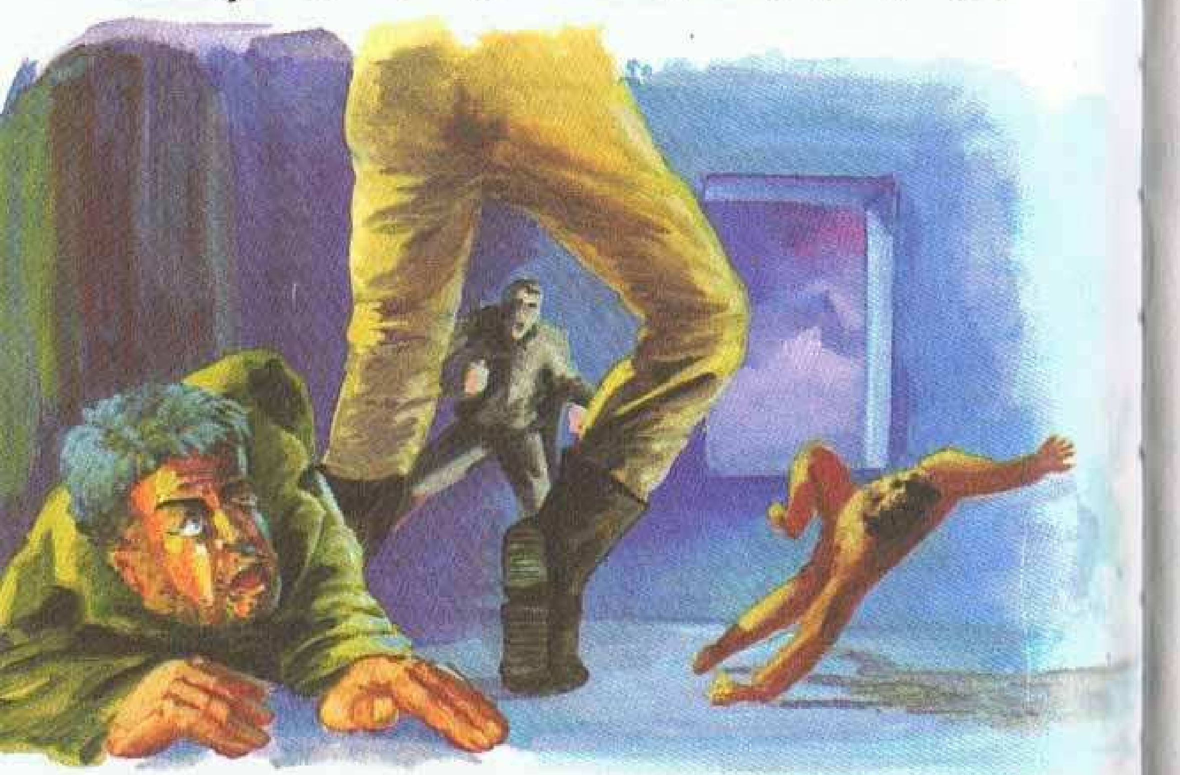
اِنْقَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ دونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ ، فَسَأَلَ مارْفِل : « هَلْ كُلُّ أَبْوابِ الفُنْدُقِ مُغْلَقَةٌ ؟ إنَّهُ يَمُرُّ الآنَ بِالأَبْوابِ الخَلْفِيَّةِ . »

قالَ عامِلُ المَطْعَمِ : « هُناكَ بابُ الفِناءِ ، وَالبابُ الخاصُّ . وَبابُ الفِناءِ . . . » وَانْطَلَقَ يَجْري مُغادِرًا المَكانَ .

وَ عادَ بَعْدَ دَقيقَةٍ وَ في يَدِهِ سِكّينٌ حادَّةٌ طَويلَةٌ ، وَقالَ : « كانَ بابُ الفِناءِ مَفْتوحًا . »

عَقَّبَ الحوذِيُّ قائِلًا : « لَعَلَّهُ الآنَ داخِلَ الفُنْدُقِ . »

أَعادَ ذو اللِّحْيَةِ السَّوْداءِ مُسَدَّسَهُ إلى جَيْبِهِ ، وَفيما هُوَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ انْكَسَرَ قُفْلُ البابِ ، وَانْدَفَعَ شَيْءٌ بِجِوارِهِمْ وَتَجاوَزَهُمْ ، وَفُتِحَ بابُ الرَّدْهَةِ بِعُنْفٍ . وَ تَناهَتْ إلى أَسْماعِهِمْ صَرْخَةٌ أَطْلَقَها مارْفِل ؛ فَخَفّوا إلى نَجْدَتِهِ . وَأَطْلَقَ ذو اللِّحْيَةِ مُسَدَّسَهُ ، وَتَهَشَّمَتِ المَرْآةُ الَّتي تَتَصَدَّرُ



ٱلرَّدْهَةَ ، وَتَناثَرَتْ شَظاياها عَلى ٱلأَرْضِ .

وَعِنْدَما دَخَلَ عامِلُ ٱلمَطْعَمِ إِلى ٱلغُرْفَةِ رَأى مارْڤِل يُقاوِمُ عِنْدَ ٱلبابِ ٱلمُفْضي إِلى ٱلفِناءِ وَٱلمَطْبَخِ . ثُمَّ رَأى ٱلبابَ يُفْتَحُ عَلى مِصْراعَيْهِ ، وَ رَأى مارْڤِل يُجَرُّ عَلى ٱلأَرْضِ إِلى ٱلمَطْبَخِ .

كانَ ٱلشُّرْطِيُّ يُحاوِلُ أَنْ يَتَخَطّى عامِلَ ٱلمَطْعَمِ ، فَلَمّا تَسَنّى لَهُ ذٰلِكَ ؛ ٱنْدَفَعَ مُسْرِعًا وَٱلحوذِيُّ وَراءَهُ ، وَقَبَضَ عَلى يَدِ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ ٱلَّتي تُمْسِكُ بِمارْڤِل ، وَلٰكِنَّهُ تَلَقّى لَكْمَةً في وَجْهِهِ طَرَحَتْهُ أَرْضًا .

وَعِنْدَئِذٍ ٱسْتَطاعَ ٱلحوذِيُّ أَنْ يَقْبِضَ عَلى شَيْءٍ وَصاحَ : « لَقَدْ أَمْسَكْتُهُ . »

قالَ عامِلُ ٱلمَطْعَمِ : « ها هُوَ ذا ! »

وَسَقَطَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل فَجْأَةً عَلى ٱلأَرْضِ ، فَحاوَلَ أَنْ يَزْحَفَ خَلْفَ أَرْجُلِ ٱلمُتَقاتِلينَ . وَٱسْتَمَرَّ ٱلقِتالُ مَرَّةً بِجِوارِ ٱلبابِ وَ مَرَّةً أُخْرى بَعيدًا عَنْهُ . وَ سُمِعَ صَوْتُ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ حينَ داسَ ٱلشُّرْطِيُّ عَلى قَدَمِهِ ، فَصَرَخَ مُتَأَلِّمًا ، ثُمَّ ٱنْهالَتْ لَكَماتُهُ في كُلِّ ٱتِّجاهٍ . وَصَرَخَ ٱلحوذِيُّ فَجْأَةً ، وَوَقَعَ عَلى ٱلأَرْضِ وَقَدْ أَصابَتْ مِعِدَتَهُ رَكْلَةٌ . وَٱنْصَفَقَ بابُ

ٱلمَطْبَخِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّلَ مِنْهُ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل . وَأَلْفى ٱلرِّجالُ ٱلَّذينَ في ٱلمَطْبَخِ أَنْفُسَهُمْ يُقاتِلونَ ٱلهَواءَ .

وَصاحَ ٱلرَّجُلُ ذو ٱللِّحْيَةِ : « أَيْنَ ذَهَبَ ؟ هَلْ خَرَجَ ؟ »

أَجابَ ٱلشُّرْطِيُّ وَهُوَ يَمْضي إِلى ٱلفِناءِ مُسْرِعًا ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ : « مِنْ هٰذا ٱلطَّريقِ . »

وَرَأى حَجَرًا يَطيرُ في ٱلهَواءِ ، وَيَمُرُّ بِمُحاذاةِ رَأْسِهِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ فَوْقَ مِنْضَدَةِ ٱلمَطْبَخِ .

صاحَ ذو ٱللِّحْيَةِ : « سَأُريهِ . » وَأَطْلَقَ خَمْسَ رَصاصاتٍ مُتَتالِيَةٍ في ٱلاتِّجاهِ ٱلَّذي جاءَ مِنْهُ ٱلحَجَرُ .

وَكانَ يُطْلِقُ ٱلنّارَ ذاتَ ٱليَمينِ وَ ذاتَ ٱلشِّمالِ حَتّى تُغَطّي كُلَّ أَنْحاءِ ٱلفِناءِ ٱلصَّغيرِ ٱلضَّيِّقِ .

وَأَعْقَبَ ذٰلِكَ سُكونٌ ، ثُمَّ قالَ : « هَيّا بِنا نَتَلَمَّسْ جُثَّتَهُ . »

الفَصْلُ ٱلـخامِسَ عَشَرَ
زائِرُ ٱلدُّكْتورِ كِمْب

كانَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب جالِسًا إلى مَكْتَبِهِ ، مُنْهَمِكًا في ٱلكِتابَةِ ، حينَ سَمِعَ دَوِيَّ ٱلطَّلَقاتِ ٱلنّارِيَّةِ ٱلـمُتَتابِعَةِ .

وَوَضَعَ ٱلقَلَـمَ في فَمِهِ قائِلًا : « ما هٰذا ؟ مَنْ ذا ٱلَّذي يُطْلِقُ ٱلنّارَ في بِرْدُوك ؟ تُرى ما ٱلَّذي يَجْري ٱلآنَ ؟ »

وَمَضى إلى ٱلنّافِذَةِ ٱلـمُطِلَّةِ عَلى ٱلنّاحِيَةِ ٱلـجَنوبِيَّةِ وَفَتَحَها وَأَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْها ، وَحَدَّقَ في ٱتِّجاهِ ٱلقَرْيَةِ ، وَقالَ : « يَبْدو أَنَّ ثَمَّةَ حَشْدًا مِنَ ٱلنّاسِ عِنْدَ سَفْحِ ٱلتَّلِّ بِٱلقُرْبِ مِنْ فُنْدُقِ "الكريكيتارْز" ، ثُمَّ أَخَذَتْ عَيْناهُ تَجولانِ بِأَرْجاءِ ٱلقَرْيَةِ حَتّى ٱسْتَقَرَّتا عَلى ٱلأَضْواءِ ٱلـمُنْبَعِثَةِ مِنَ ٱلسُّفُنِ ٱلرّاسِيَةِ بَعيدًا . وَكانَ ٱلقَمَرُ لا يَزالُ هِلالًا يُطِلُّ عَلى ٱلتَّلِّ ناحِيَةَ ٱلغَرْبِ ، وَ ٱلنُّجومُ مُضيئَةً مُتَلَأْلِئَةً .

وَبَعْدَ خَمْسِ دَقائِقَ أَغْلَقَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب ٱلنّافِذَةَ ، وَعادَ إلى

مَكْتَبِهِ . وَبَعْدَ قُرابَةِ ٱلسّاعَةِ دُقَّ جَرَسُ ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ ، وَلَبِثَ في مَكانِهِ مُنْصِتًا ، ثُمَّ سَمِعَ وَقْعَ خُطُواتِ ٱلـخادِمَةِ وَهِيَ تَتَّجِهُ إلى ٱلبابِ ، وَتَوَقَّعَ أَنْ يَسْمَعَ خُطاها وَهِيَ تَرْتَقي ٱلدَّرَجَ في طَريقِها إِلَيْهِ ، بَيْدَ أَنَّها لَـمْ تَحْضُرْ .

قالَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب : « إِنّي لَأَعْجَبُ ! مَنْ كانَ هٰذا؟! »

وَحاوَلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ عَمَـلَهُ ، وَلٰكِنَّهُ أَخْفَقَ ، فَزايَلَ مَقْعَدَهُ ، وَنَزَلَ مِنْ حُـجْرَةِ ٱلـمَكْتَبِ ، وَدَقَّ ٱلـجَرَسَ ، وَنادى ٱلـخادِمَةَ حينَ رَآها تَجْتازُ ٱلبَهْوَ .

سَأَلَها : « مَنْ كانَ ذٰلِكَ ٱلطّارِقُ ؟ أَ هُوَ مُوَزِّعُ ٱلبَريدِ يَحْمِلُ إِلَيَّ خِطابًا ؟ »

أَجابَتْ : « كَلّا يا سَيِّدي . لَقَدْ دُقَّ ٱلـجَرَسُ ، وَلٰكِنّي لَـمْ أَجِدْ أَحَدًا . »

رَجَعَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب إلى حُـجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَ هُوَ يُرَدِّدُ في نَفْسِهِ : « إِنَّهُ لَأَمْرٌ عَجيبٌ يُثيرُ قَلَقي ! »

وَما إِنِ ٱنْقَضَتْ لَـحَظاتٌ حَتّى كانَ مُسْتَغْرِقًا في عَمَـلِهِ ، وَكانَ

ٱلسُّكونُ يَشْمَلُ ٱلحُجْرَةَ فيما عدا دَقّاتِ السّاعَةِ ٱلرَّتيبَةِ ، وَصَريرَ ٱلقَلَمِ وَ هُوَ يَجْري عَلى ٱلوَرَقِ .

وَبَلَغَتِ ٱلسّاعَةُ ٱلثّانِيَةَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب مِنْ عَمَلِهِ ، فَنَهَضَ وَٱرْتَقى ٱلدَّرَجَ صاعِدًا إلى مِخْدَعِهِ . وَبَعْدَ أَنْ خَلَعَ سُتْرَتَهُ وَقَميصَهُ أَحَسَّ بِٱلعَطَشِ ، فَأَخَذَ شَمْعَةً وَنَزَلَ إلى قاعَةِ ٱلطَّعامِ طَلَبًا لِلْماءِ .

وَكانَ ٱلعَمَلُ ٱلعِلْمِيُّ ٱلَّذي يُمارِسُهُ ٱلدُّكْتورُ كِمْب قَدْ جَعَلَهُ رَجُلًا دَقيقًا قَوِيَّ ٱلمُلاحَظَةِ ؛ فَرَأى - وَهُوَ يَعْبُرُ ٱلبَهْوَ - بُقْعَةً داكِنَةً عَلى ٱلأَرْضِ بِجِوارِ ٱلسُّلَّمِ .

وَصَعِدَ ٱلدَّرَجَ مُتَمَهِّلًا ، وَفَجْأَةً أَخَذَ يَتَساءَلُ عَنْ ماهِيَّةِ هٰذِهِ ٱلبُقْعَةِ ٱلدّاكِنَةِ . وَعادَ مَرَّةً أُخْرى إلى ٱلبَهْوِ ، وَٱنْحَنى فَوْقَ ٱلبُقْعَةِ وَ لَمَسَها ، وَأَدْرَكَ أَنَّ لَها كَثافَةَ ٱلدَّمِ ٱلمُتَجَمِّدِ وَلَوْنَهُ .

وَعادَ وَصَعِدَ ٱلسُّلَّمَ وَ هُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ وَيُفَكِّرُ في بُقْعَةِ ٱلدَّمِ . وَفَجْأَةً رَأى شَيْئًا جَعَلَهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ ٱلسَّيْرِ ؛ فَقَدْ رَأى دَمًا عَلى مِقْبَضِ ٱلبابِ .

وَنَظَرَ إلى يَدِهِ ، فَوَجَدَها نَظيفَةً ، وَ عِنْدَما نَزَلَ مِنْ مَكْتَبِهِ تَذَكَّرَ أَنَّ

بابَ حُجْرَتِهِ كانَ مَفْتوحًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْمِسِ ٱلمِقْبَضَ قَطُّ . وَ مَضى إلى مِخْدَعِهِ ، وَمَلامِحُ وَجْهِهِ هادِئَةٌ ، وَ إِنْ كانَ أَشَدَّ عَزْمًا وَتَصْميمًا مِنْ عادَتِهِ ٱلمَأْلوفَةِ . وَ تَطَلَّعَ إلى ٱلفِراشِ ، فَإِذا بِبِرْكَةِ دَمٍ تَتَوَسَّطُهُ ، وَمُلاءَةُ ٱلسَّريرِ مُمَزَّقَةٌ ، وَ لَمْ يَكُنْ قَدْ لاحَظَ هٰذا وَهُوَ في ٱلحُجْرَةِ مِنْ قَبْلُ . أَمّا ٱلنّاحِيَةُ ٱلأُخْرى مِنَ ٱلفِراشِ فَقَدْ بَدَتْ وَ كَأَنَّ ثَمَّةَ شَخْصًا يَرْقُدُ عَلَيْها .

عِنْدَئِذٍ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتًا خافِتًا يَقولُ : « يا إِلٰهي ! أَ هٰذا أَنْتَ يا كِمْب ؟ » بَيْدَ أَنَّ كِمْب لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُؤْمِنونَ بِٱلأَصْواتِ ٱلخَفِيَّةِ .

لَبِثَ كِمْب مَكانَهُ يُحَدِّقُ في ٱلفِراشِ . أَ كانَ هٰذا حَقًّا صَوْتًا ؟ وَأَدارَ بَصَرَهُ فيما حَوْلَهُ مَرَّةً أُخْرى ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ شَيْئًا . بَيْدَ أَنَّهُ سَمِعَ بِوُضوحٍ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ عَبْرَ ٱلحُجْرَةِ ، وَداخَلَهُ شُعورٌ غَريبٌ ، فَأَسْرَعَ وَأَغْلَقَ ٱلبابَ وَوَقَفَ أَمامَهُ . وَفَجْأَةً أَبْصَرَ ضِمادَةً مُلَوَّثَةً بِٱلدَّمِ ، مُعَلَّقَةً في ٱلهَواءِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ ٱلفِراشِ .

وَنَظَرَ إِلَيْها بِدَهْشَةٍ ، وَكانَتْ ضِمادَةً فارِغَةً لا شَيْءَ فيها ، وَكانَتْ مَعْقودَةً بِطَريقَةٍ صَحيحَةٍ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ خاوِيَةً . وَهَمَّ بِأَنْ يُمْسِكَها ،

وَلكِنَّ لَمْسَةَ يَدٍ أَوْقَفَتْهُ مَكانَهُ ، وَسَمِعَ صَوْتًا عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ ، يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « كِمْب ! »

فَقالَ كِمْب وَقَدْ فَتَحَ فَمَهُ مِنْ فَرْطِ دَهْشَتِهِ : « آه ! »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « إِنَّني رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

لَبِثَ كِمْب بُرْهَةً مُطْبِقًا فَمَهُ لا يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّما يُحَدِّقُ إِلى ٱلضِّمادَةِ ، ثُمَّ قالَ مُتَسائِلًا : « الرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ ؟! »

وَكَرَّرَ ٱلصَّوْتُ : « نَعَمْ ، إِنَّني رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

قالَ كِمْب : « حَسِبْتُ ٱلْأَمْرَ أُكْذوبَةً . » وَتَساءَلَ : « هَلْ تَضَعُ ضِمادَةً ؟ »

أَجابَ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ : « نَعَمْ . »

عَقَّبَ كِمْب بِقَوْلِهِ : « فَهِمْتُ ! » ثُمَّ أَرْدَفَ : « أَلَيْسَ هٰذا هُراءً ؟ لا بُدَّ أَنَّ في ٱلْأَمْرِ خُدْعَةً . » وَ خَطا إِلى ٱلْأَمامِ فَجْأَةً ، وَ مَدَّ يَدَهُ في ٱتِّجاهِ ٱلضِّمادَةِ ، فَٱصْطَدَمَتْ بِأَصابِعَ خَفِيَّةٍ .

« اِهْدَأْ يا كِمْب ! سَأَلْتُكَ بِٱللهِ أَنْ تَهْدَأَ ! إِنِّي في مَسيسِ ٱلْحاجَةِ إِلى

ٱلْمُساعَدَةِ ! كُفَّ عَنْ هٰذا . »

وَأَطْبَقَتْ عَلى ذِراعِ كِمْب يَدٌ خَفِيَّةٌ ، وَتَشَبَّثَتْ بِها ، وَصاحَ ٱلصَّوْتُ : « كِمْب ! تَماسَكْ وَٱهْدَأْ ! »

وَتَمَلَّكَتْ كِمْب رَغْبَةٌ في أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ ٱلْيَدِ ٱلَّتي تَقْبِضُ عَلى ذِراعِهِ ، وَلٰكِنَّ ٱلْيَدَ ٱلْخَفِيَّةَ تَشَبَّثَتْ بِكَتِفِهِ ، وَفَجْأَةً دُفِعَ إِلى ٱلْخَلْفِ دَفْعَةً قَوِيَّةً فَوَقَعَ عَلى ٱلْفِراشِ ، وَفَتَحَ فَمَهُ لِيُطْلِقَ صَرْخَةً ، وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ تَنْطَلِقَ ٱلصَّرْخَةُ حُشِرَ طَرَفُ ٱلْمُلاءَةِ بَيْنَ أَسْنانِهِ ، فَعَجَزَ عَنِ ٱلصِّياحِ . وَ كانَ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ مُمْسِكًا بِهِ ، وَإِنْ كانَتْ ذِراعاهُ طَليقَتَيْنِ ؛ فَحاوَلَ أَنْ يَضْرِبَ وَ يَرْكُلَ بِعُنْفٍ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ : « أَصْغِ إِلى صَوْتِ ٱلْعَقْلِ يا رَجُلُ ! سَأَلْتُكَ بِٱللهِ أَنْ تَتَعَقَّلَ . إِنَّكَ بِهٰذا سَتَجْعَلُني أُجَنُّ ! كُفَّ عَنِ ٱلْمُقاوَمَةِ ، وَٱرْقُدْ هادِئًا ! قُلْتُ لَكَ ٱرْقُدْ هادِئًا ! »

مَضى كِمْب يُقاوِمُ لَحْظَةً أُخْرى ، ثُمَّ هَدَأَ وَسَكَنَ .

قالَ : « دَعْني أَنْهَضْ ، وَسَأَظَلُّ مَكاني لا أُغادِرُهُ . اُتْرُكْني أَجْلِسْ هادِئًا دَقيقَةً . »

وَٱعْتَدَلَ جالِسًا ، وَتَحَسَّسَ عُنُقَهُ .

إنّي مُجَرَّدُ شَخْصٍ عادِيٍّ ـ شَخْصٍ كُنْتَ تَعْرِفُهُ ، ثُمَّ أَصْبَحَ خَفِيًّا . هَلْ تَذْكُرُ غرِيفِين ؟ »

تَساءَلَ كِمْب : « غرِيفِين ؟ »

أجابَ ٱلصَّوْتُ : « نَعَمْ ، غرِيفِين . . الطّالِبُ ٱلَّذي كانَ أَصْغَرَ مِنْكَ سِنًّا . »

« وَلٰكِنْ ما عَلاقَةُ هٰذا بِغرِيفِين ؟ »

« إنّي أنا غرِيفِين . »

فَكَّرَ كِمْب ثُمَّ قالَ : « هٰذِهِ صَدْمَةٌ عَنِيفَةٌ ، وَلٰكِنْ أَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمالِ ٱلشَّيْطانِ يُحَوِّلُ ٱلْمَرْءَ إلى رَجُلٍ خَفِيٍّ ؟! »

« لَيْسَ هٰذا مِنْ أَعْمالِ ٱلشَّيْطانِ . إنَّهُ عَمَلٌ شَرِيفٌ وَ بَسِيطٌ لِلْغايَةِ . »

« إنَّهُ عَمَلٌ رَهِيبٌ ! كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ . . . ؟ »

قاطَعَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ بِقَوْلِهِ : « إنّي جَرِيحٌ وَ أَتَأَلَّمُ وَ مَنْهوكُ ٱلْقُوى . كِمْب ! إنَّكَ إنْسانٌ . وَأَرْجوكَ أَنْ تَهْدَأَ ، وَتُقَدِّمَ لِي طَعامًا

وَشَرابًا ، وَ تَتْرُكَني أَجْلِسُ هُنا . »

وَ أَخَذَ كِمْب يُحَدِّقُ إلى ٱلضِّمادَةِ وَ هِيَ تَتَحَرَّكُ في ٱلْحُجْرَةِ ، ثُمَّ رَأى مَقْعَدًا يَنْزَلِقُ عَلى ٱلْأَرْضِ ، وَ يَسْتَقِرُّ بِجِوارِ ٱلْفِراشِ . وَ سَمِعَ صَرِيرَهُ ، وَ شاهَدَهُ يَنْخَفِضُ قَليلًا كَأَنَّما جَلَسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَفَرَكَ عَيْنَيْهِ ، وَ تَحَسَّسَ عُنُقَهُ مَرَّةً أُخْرى ، وَقالَ وَ هُوَ يَضْحَكُ ضِحْكَةً بَلْهاءَ : « هٰذا يَفوقُ ما تَفْعَلُهُ ٱلْأَشْباحُ . »

« حَمْدًا لِلّٰهِ . إنَّكَ ٱلْآنَ تَبْدو أَكْثَرَ تَعَقُّلًا ! »

قالَ كِمْب وَ هُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ : « أَوْ أَكْثَرَ غَباءً . »

« أَعْطِني كوبًا مِنْ عَصِيرِ ٱللَّيْمونِ ، فَٱلْعَطَشُ يَكادُ يَقْتُلُني . »

« وَلٰكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ هَبْني قُمْتُ وَمَشَيْتُ ، فَهَلْ أَصْطَدِمُ بِكَ ؟ هَلْ أَنْتَ هُناكَ ؟ فَلْيَكُنْ . . . أَ تُرِيدُ كوبًا مِنْ عَصِيرِ ٱللَّيْمونِ ؟ وَلٰكِنْ أَيْنَ أُقَدِّمُهُ لَكَ ؟ »

أَحَسَّ كِمْب بِٱلْكوبِ يُنْتَزَعُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَفْلَتَهُ مِنْ بَيْنِ أَصابِعِهِ ، وَتَرَكَهُ يَسْبَحُ فِي ٱلْهَواءِ وَ يَسْتَقِرُّ عَلى مَسافَةِ نِصْفِ مِتْرٍ مِنَ ٱلْمَقْعَدِ ، فَأَخَذَ يُحَدِّقُ إلَيْهِ قائِلًا : « إنّي لا أُصَدِّقُ هٰذا ! أَ تُراني جُنِنْتُ ؟ »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « هُراءٌ ! أَصْغِ إلَيَّ ! إنّي جائِعٌ ، وَ ٱلْجَوُّ شَدِيدُ

ٱلْبُرودَةِ بِٱلنِّسْبَةِ إلى رَجُلٍ مُجَرَّدٍ مِنَ ٱلثِّيابِ . »

قالَ كِمْب : « أَ تُريدُ طَعامًا ؟ »

أَفْرَغَ كوبَ ٱللَّيْمونِ نَفْسَهُ ، وَقالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ وَ هُوَ يَضَعُهُ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ : « أَ يُمْكِنُكَ أَنْ تُعْطِيَني شَيْئًا أَرْتَديهِ ؟ »

وَجاءَهُ كِمْب بِبَعْضِ ٱلثِّيابِ وَ سَأَلَهُ : « أَ تُناسِبُكَ هٰذِهِ ؟ »

وَأَخَذَتِ ٱلمَلابِسُ مِنْ يَدِهِ ، وَ لَبِثَتْ مُعَلَّقَةً في ٱلهَواءِ ، ثُمَّ زُرِّرَتْ وَٱسْتَقَرَّتْ بَعْدَ ذٰلِكَ جالِسَةً عَلى ٱلمَقْعَدِ .

قالَ كِمْب : « هٰذا شَيْءٌ يُفْقِدُ ٱلمَرْءَ عَقْلَهُ ، وَ لَمْ أَرَ لَهُ مَثيلاً في حَياتي . »

« إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلطَّعامِ . »

مَضى كِمْب إِلى ٱلمَطْبَخِ وَ عادَ بِبَعْضِ ٱلخُبْزِ وَ ٱللَّحْمِ ، وَوَضَعَهُما عَلى ٱلمِنْضَدَةِ أَمامَ ضَيْفِهِ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « لا داعِيَ لِأَنْ تُحْضِرَ سِكّينًا ! »

وَٱرْتَفَعَتْ قِطْعَةُ لَحْمٍ وَ تَعَلَّقَتْ في ٱلهَواءِ ، ثُمَّ ٱخْتَفَتْ مَصْحوبَةً بِصَوْتِ ٱلمَضْغِ .



قالَ : « إِنَّني أُحِبُّ دائِمًا أَنْ أَكونَ مُرْتَدِيًا ثِيابي وَ أَنا أَتَناوَلُ ٱلطَّعامَ . »

« هَلْ ذِراعُكَ سَليمَةٌ ؟ »

« إِنَّها تُؤْلِمُني قَليلاً . »

« هٰذا أَمْرٌ يُثيرُ ٱلجُنونَ ! »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « إِنَّهُ أَمْرٌ مَعْقولٌ جِدًّا ! »

تَساءَلَ كِمْب : « لٰكِنْ كَيْفَ أُصِبْتَ ؟ لِماذا كانَتِ ٱلطَّلَقاتُ ؟ كَيْفَ بَدَأَ إِطْلاقُ ٱلنّارِ ؟ »

« لَقَدْ قابَلْتُ رَجُلاً ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ يُساعِدُني . لَعْنَةُ ٱللهِ

عَلَيْهِ ! لَقَدْ حاوَلَ أَنْ يَسْرِقَ نُقودي ، وَ قَدْ سَرَقَها فِعْلاً . »

« أ هُوَ أَيْضًا رَجُلٌ خَفِيٌّ ؟ »

« كَلّا . »
« وَماذا بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ »

« أ يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِمَزيدٍ مِنَ ٱلطَّعامِ قَبْلَ أَنْ أَرْوِيَ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ؟ إِنِّي جائِعٌ ، وَٱلْجُرْحُ يُؤْلِمُني ، وَ أَنْتَ تُريدُ مِنِّي أَنْ أَحْكِيَ لَكَ حِكاياتٍ ! »

نَهَضَ كِمْب واقِفًا وَ سَأَلَهُ : « وَ أَنْتَ ، هَلْ أَطْلَقْتَ ٱلنّارَ ؟ »

أَجابَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ : « كَلّا ، لَمْ أُطْلِقْ نارًا ، وَ ٱلَّذي أَطْلَقَ ٱلنّارَ رَجُلٌ أَحْمَقُ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ بَصَري مِنْ قَبْلُ . وَفَزِعَ كَثيرٌ مِنَ ٱلنّاسِ . . . فَزِعوا مِنّي . لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ جَميعًا ! قُلْتُ لَكَ أُريدُ مَزيدًا مِنَ ٱلطَّعامِ يا كِمْب . »

أَجابَ كِمْب : « سَأَرى إِنْ كانَ في ٱلطّابَقِ ٱلسُّفْلِيِّ طَعامٌ . وَ أَخْشى أَلّا يَكونَ لَدَيَّ مِنْهُ إِلّا قَليلاً . »

وَعادَ كِمْب بِمَزيدٍ مِنَ ٱلطَّعامِ ، وَ بَعْدَ أَنْ أَكَلَهُ ٱلضَّيْفُ طَلَبَ إِلَيْهِ كِمْب أَنْ يُحاوِلَ ٱلنَّوْمَ .

الفَصْلُ ٱلسّادِسَ عَشَرَ

الرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ يَنامُ

رَغْمَ أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ كانَ جَريحًا مَنْهوكَ ٱلقُوى ، إِلّا أَنَّهُ أَبى أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلى وَعْدِ كِمْب بِأَنَّهُ لَنْ يُحاوِلَ أَحَدٌ ٱلقَبْضَ عَلَيْهِ . فَفَحَصَ نافِذَتَيْ حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ ، وَ أَزاحَ ٱلسَّتائِرَ وَ فَتَحَ ٱلنّافِذَتَيْنِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ طَريقِهِما كَما قالَ لَهُ كِمْب . وَ كانَ ٱللَّيْلُ خارِجَ ٱلمَنْزِلِ ساكِنًا لِلْغايَةِ ، وَ كانَ ٱلقَمَرُ يَتَهَيَّأُ لِأَنْ يَتَوارى وَراءَ ٱلتَّلِّ . ثُمَّ فَحَصَ مِفْتاحَ بابِ حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ رِضاهُ ٱلتّامِّ ، وَوَقَفَ بِجانِبِ ٱلمِدْفَأَةِ ، وَنَدَّتْ عَنْ صَدْرِهِ تَنْهيدَةٌ توحي بِٱلكَسَلِ وَٱلرَّغْبَةِ في ٱلنَّوْمِ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « يُؤْسِفُني أَلّا أَسْتَطيعَ أَنْ أُخْبِرَكَ بِما فَعَلْتُهُ ٱللَّيْلَةَ . إِنَّني مُرْهَقٌ ، وَٱلأَمْرُ كُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلحَماقَةِ دونَ رَيْبٍ . إِنَّهُ لَأَمْرٌ فَظيعٌ ! وَلٰكِنْ صَدِّقْني يا كِمْب ، إِنَّ ٱلمَسْأَلَةَ ، رَغْمَ حُجَجِكَ ، مُمْكِنَةٌ . . لَقَدْ تَوَصَّلْتُ إِلى ٱكْتِشافٍ هامٍّ ، وَقَصَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا ،

وَلٰكِنِّي لا أَسْتَطيعُ ؛ إِذْ لا بُدَّ لي مِنْ مُساعِدٍ . وَأَنْتَ . . . إِنَّنا نَسْتَطيعُ مَعًا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْأَشْياءِ ٱلْعَظيمَةِ . . . وَلٰكِنْ إِلى ٱلغَدِ . وَٱلآنَ يا كِمْب يَجِبُ أَنْ أَنامَ وَ إِلّا فَسَأَموتُ . »

الفَصْلُ ٱلسّابِعَ عَشَرَ

كَيْفَ تُصْبِحُ خَفِيًّا ؟

في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي تَناهَتْ إِلى سَمْعِ كِمْب جَلَبَةٌ عالِيَةٌ ؛ فَمَضى لِيوقِظَ ضَيْفَهُ .

سَأَلَ كِمْب حينَ سَمَحَ لَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ بِٱلدُّخولِ : « ما ٱلخَبَرُ ؟ »

وَكانَ ٱلجَوابُ : « لا شَيْءَ. »

قالَ كِمْب : « وَلٰكِنَّها ضَجَّةٌ شَديدَةٌ . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « كُنْتُ غاضِبًا . وَقَدْ نَسيتُ ذِراعي ، وَهاهِيَ ذي تُؤْلِمُني . »

سَأَلَهُ كِمْب : « أَ مِنْ عادَتِكَ أَنْ تَثورَ غَضَبًا ؟ »

« هٰذا صَحيحٌ . »

« إنَّ قِصَّتَكَ مَنْشورَةٌ بِأَكْمَلِها في ٱلصُّحُفِ . »

وَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ يَسُبُّ وَ يَلْعَنُ .

قالَ كِمْب : « تعالَ وَ تناوَلْ فطورَكَ . وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ عَنْكَ ٱلمَزيدَ . » وَكانَ قَدِ ٱسْتَوى جالِسًا ، وَعَلى وَجْهِهِ سِماتُ ٱلجِدِّ وَ ٱلاهْتِمامِ .

قالَ غريفِين ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « إنَّ ٱلأَمْرَ في غايَةِ ٱلبَساطَةِ . »

ضَحِكَ كِمْب وَ قالَ : « إنَّ ٱلأَمْرَ بِلا شَكٍّ بَسيطٌ لِلْغايَةِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْكَ ، وَ لٰكِنْ . . . »

« نَعَمْ ، لَقَدْ بَدا ٱلأَمْرُ لي في ٱلبِدايَةِ عَجيبًا بِلا شَكٍّ . وَلٰكِنَّنا سَوْفَ نَقومُ بِأَعْمالٍ عَظيمَةٍ يا صَديقي ! لَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ ٱلسِّرَّ بادِئَ ذي بَدْءٍ وَ أَنا في كُلِّيَّةِ شيزِلْستو . »

« شـيـزِلْستو ؟ »

« نَعَمْ ، فَبَعْدَ أَنْ غادَرْتُ لَنْدَن ٱلتَحَقْتُ بِكُلِّيَّةِ شيزِلْستو . وَ أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّني كُنْتُ دائِمًا شَديدَ ٱلاهْتِمامِ بِٱلضَّوْءِ . »

« بِٱلضَّبْطِ . »

« قُلْتُ لِنَفْسي : "سَأُكَرِّسُ حَياتي لِهٰذا ٱلفَرْعِ مِنَ العُلومِ . . إنَّهُ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ جُهْدي ." وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَدى حَماقَتِنا في ٱلثّانِيَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنَ العُمْرِ . »

قالَ كِمْب : « حَمْقى آنذاكَ وَ حَمْقى ٱلآنَ ، وَكَأَنَّ ٱلمَعْرِفَةَ فَحَسْبُ تُرْضي ٱلإِنْسانَ ! »

وَٱسْتَطْرَدَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « لَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ طَريقَةً لِتَغْييرِ جِسْمِ ٱلإِنْسانِ ، أَوْ أَيِّ جِسْمٍ آخَرَ . . . » وَعِنْدَئِذٍ أَوْضَحَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ ـ وَبِعِبارَةٍ أَدَقَّ ـ أَوْضَحَتْ ثِيابُ ٱلرَّجُلِ ٱلجالِسَةُ أَمامَ كِمْب كَيْفَ ٱخْتَفى أَحَدُ طَلَبَةِ ٱلعُلومِ . وَ كانَ شَرْحًا طَويلًا ٱسْتَهَلَّهُ بِأَنْ ذَكَّرَ كِمْب قائِلًا :

« إذا أَخَذْتَ قِطْعَةً مِنَ ٱلزُّجاجِ وَ سَحَقْتَها فَإِنَّها تَتَحَوَّلُ إلى مَسْحوقٍ أَبْيَض صَلْدٍ مِثْلِ ٱلمِلْحِ ، وَلا يُمْكِنُ ٱلرُّؤْيَةُ مِنْ خِلالِهِ . وَلَحْمُ ٱلإِنْسانِ ، وَ ٱلوَرَقُ ٱلأَبْيَضُ ، وَٱلقُماشُ ، وَٱلشَّعْرُ ، كُلُّها في ٱلواقِعِ مُكَوَّنَةٌ مِنْ نَوْعٍ مِنَ ٱلمَساحيقِ . وَ تُحَلِّلُ ٱلحُبَيْباتُ ٱلدَّقيقَةُ لِهٰذِهِ ٱلمَساحيقِ ٱلضَّوْءَ ٱلَّذي يَسْقُطُ عَلَيْها فَلا يَنْفُذُ مِنْها ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّنا نَرى لَحْمَ ٱلإِنْسانِ وَٱلوَرَقَ .

« وَإذا ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْسُطَ وَ تُسَوِّيَ ٱلحُبَيْباتِ ٱلمُحَطَّمَةَ بِحَيْثُ

لاتُحَلِّلُ الضَّوْءَ فإنَّها لَنْ تَبْدُو صَلْدَةً . وَ عِنْدَئِذٍ سَيَنْفُذُ مِنْها الضَّوْءُ مِثْلَما يَنْفُذُ مِنّي ضَوْءُ الشَّمْسِ . وَ يُمْكِنُكَ أَنْ تُجَرِّبَ هٰذا بِقِطْعَةٍ مِنَ الوَرَقِ الأَبْيَضِ وَقَطْرَةٍ مِنَ الزَّيْتِ . فَما عَلَيْكَ إلاّ أَنْ تَضَعَ قَليلاً مِنَ الزَّيْتِ عَلى الوَرَقَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَتَرى الأَشْياءَ مِنْ خِلالِها . وَإذا كانَ الزَّيْتُ مِنْ نَوْعٍ جَيِّدٍ تَمامًا ، وَالوَرَقَةُ مِنْ نَوْعٍ رَديءٍ تَمامًا ، فَإنَّكَ سَتَتَمَكَّنُ مِنْ أَنْ تَرى ما هُوَ مَكْتوبٌ عَلى الوَرَقَةِ مِنَ النّاحِيَةِ الأُخْرى .

« وَالسَّبَبُ في هٰذا أَنَّ الزَّيْتَ ناعِمٌ رَقيقٌ ، وَبِذٰلِكَ يُنَعِّمُ السَّطْحَ الخَشِنَ لِكُلِّ حُبَيْبَةٍ مِنْ حُبَيْباتِ المَسْحوقِ .

« وَقَدِ اكْتَشَفْتُ شَيْئًا يَفْعَلُ بِلَحْمِ الإنْسانِ ما يَفْعَلُهُ الزَّيْتُ بِالوَرَقِ ، وَتَأْثيرُهُ كامِلٌ رائِعٌ حَتّى إنَّهُ ما مِنْ ذَرَّةٍ في جَسَدي تَصُدُّ الضَّوْءَ ، فَكَأَنَّكَ بِذٰلِكَ حَوَّلْتَ الزُّجاجَ المَسْحوقَ إلى زُجاجٍ سَليمٍ مِثْلِ زُجاجِ هٰذِهِ النّافِذَةِ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هٰذا القَبيلِ . »

وَتَناوَلَ الحِوارُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ـ شَأْنُ ما يَجْري بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنَ العُلَماءِ ـ كُلَّ أَنْواعِ المَسائِلِ وَالإيضاحاتِ . وَاسْتَوْلى العَجَبُ الشَّديدُ عَلى كِمْب حَتّى إنَّهُ نَسِيَ أَنَّ صَديقَهُ كانَ خَفِيًّا لا يُرى .

قالَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، لَقَدِ اكْتَشَفْتُ هٰذا كُلَّهُ ، وَ كانَ طَريقُ

البَحْثِ أَمامي مَفْتوحًا ، وَ عِنْدَئِذٍ ، وَ بَعْدَ سَنَواتٍ مِنَ الاهْتِمامِ وَالعَمَلِ في السِّرِّ ، عَرَفْتُ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا . وَقَدْ أَدْرَكْتُ هٰذا وَ أَنا مَغْلوبٌ عَلى أَمْري . وَكانَ هٰذا بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ مِنَ السِّرِّيَّةِ وَالعَناءِ . »

سَأَلَهُ كِمْب : « لِماذا أَدْرَكْتَ أَنَّكَ لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا ؟ »

أَجابَ الرَّجُلُ الخَفِيُّ : « لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ مالٌ . » وَذَهَبَ مَرَّةً أُخْرى إلى النّافِذَةِ يُحَدِّجُ فيما وَراءَها .

ثُمَّ أَدارَ رَأْسَهُ قائِلاً : « لَقَدْ سَرَقْتُ الرَّجُلَ العَجوزَ . . نَعَمْ سَرَقْتُ أَبي ، وَلَمْ يَكُنِ المالُ مالَهُ ، فَانْتَحَرَ بِأَنْ أَطْلَقَ النّارَ عَلى نَفْسِهِ . »

الفَصْلُ ٱلثّامِنَ عَشَرَ

في ٱلمَنْزِلِ ٱلواقِعِ في شارِعِ غريت بُورتْلاند

مَضَتْ لَحْظَةٌ وَ كِمب يَجْلِسُ صامِتًا يُحَمْلِقُ إلى ظَهْرِ هٰذا ٱلشَّخْصِ ٱلَّذي بِلا رَأْسٍ ، وَٱلواقِفِ عِنْدَ ٱلنّافِذَةِ يُطِلُّ مِنْها . ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا ، وَ أَمْسَكَ ذِراعَ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ ، وَ أَبْعَدَهُ عَنِ ٱلنّافِذَةِ قائِلًا : « إِنَّكَ مُتْعَبٌ مَكْدودٌ . فَبَيْنَما أَجْلِسُ أَنا ، تَتَمَشّى أَنْتَ في أَرْجاءِ ٱلغُرْفَةِ . إِلَيْكَ مَقْعَدي فَٱجْلِسْ . »

وَوَقَفَ بَيْنَ غريفين وَ أَقْرَبِ نافِذَةٍ مِنْهُ حَتّى يَحولَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُشاهَدَةِ ما يَجْري في ٱلخارِجِ .

إِنْقَضَتْ فَتْرَةٌ وَ غريفين جالِسٌ لائِذٌ بِٱلصَّمْتِ ، ثُمَّ شَرَعَ يُتابِعُ قِصَّتَهُ .

قالَ : « كُنْتُ قَدْ تَرَكْتُ ٱلكُلِّيَّةَ عِنْدَما حَدَثَ ذٰلِكَ ، وَكانَ في ديسَمْبِر ٱلماضي . وَ قَدْ نَزَلْتُ بِغُرْفَةٍ في لَنْدَن في مَنْزِلٍ كَبيرٍ في شارِعِ غريت

بُورتْلاند . بَدا ٱلأَمْرُ عِنْدي أَشْبَهَ بِحُلْمٍ . . . تِلْكَ ٱلزِّيارَةُ ٱلقَصيرَةُ لِأَبي في بَيْتِنا ٱلعَتيقِ ، ثُمَّ ٱلعَوْدَةُ إِلى غُرْفَتي . لَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ عِنْدَئِذٍ أَنَّني أَفَقْتُ مِنْ حُلْمٍ عَلى ٱلأَشْياءِ ٱلحَقيقِيَّةِ . هُنا كانَتْ تِلْكَ ٱلأَشْياءُ ٱلَّتي عَرَفْتُها وَ أَحْبَبْتُها . . . هُنا كانَتِ ٱلمُعَدّاتُ تَنْتَظِرُني . . . وَ ٱلتَّجارِبُ مُهَيَّأَةٌ تَتَرَقَّبُ عَوْدَتي . . . وَ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ صُعوبَةٌ تَعْتَرِضُ ٱلطَّريقَ ، فيما عَدا تَخْطيطَ ٱلتَّفاصيلِ .

وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ ، إِنْ عاجِلًا أَوْ آجِلًا ، يا كِمب بِٱلتَّفاصيلِ ٱلمُعَقَّدَةِ ٱلمُتَشابِكَةِ ، إِذْ إِنَّنا لَسْنا بِحاجَةٍ ٱلآنَ إِلى أَنْ نَطْرُقَها .

إِنَّني ما زِلْتُ أَذْكُرُ ٱلقَليلَ مِنْها ، أَمّا مُعْظَمُها فَمُدَوَّنٌ بِٱلرُّموزِ في تِلْكَ ٱلكُتُبِ ٱلَّتي أَخْفاها ذٰلِكَ ٱلأَفّاقُ ، ٱلَّذي يَنْبَغي أَنْ نَتَعَقَّبَهُ وَ نَقْبِضَ عَلَيْهِ . في ٱلبِدايَةِ أَجْرَيْتُ ٱلتَّجْرِبَةَ عَلى قِطْعَةٍ مِنَ ٱلصّوفِ ٱلأَبْيَضِ ، وَكانَ أَغْرَبَ شَيْءٍ في ٱلدُّنْيا أَنْ تَراها تَتَلاشى كَٱلدُّخانِ وَ تَخْتَفي .

« وَكِدْتُ لا أُصَدِّقُ أَنَّني فَعَلْتُ هٰذا ، وَ أَدْخَلْتُ يَدي في ٱلفَراغِ ، فَلَمَسْتُ قِطْعَةَ ٱلصّوفِ جامِدَةً مُتَجَسِّدَةً . نَعَمْ شَعَرْتُ بِها ، وَ أَلْقَيْتُ بِها عَلى ٱلأَرْضِ ، وَ عانَيْتُ شَيْئًا مِنَ ٱلمَشَقَّةِ في ٱلاهْتِداءِ إِلَيْها ثانِيَةً . »

« عِنْدَئِذٍ سَمِعْتُ صَوْتًا خَلْفي ، وَ حينَ ٱسْتَدَرْتُ رَأَيْتُ عِنْدَ ٱلنّافِذَةِ

قِطَّةً بَيْضاءَ شَديدَةَ ٱلقَذارَةِ . وَ خَطَرَتْ بِرَأْسي فِكْرَةٌ ، وَ قُلْتُ في نَفْسي : "كُلُّ شَيْءٍ مُهَيَّأٌ لَكَ" وَ مَضَيْتُ إلى ٱلنّافِذَةِ فَفَتَحْتُها ، وَنادَيْتُ ٱلقِطَّةَ بِصَوْتٍ رَقيقٍ فَدَخَلَتْ . وَكانَتِ ٱلمِسْكينَةُ ظَمْأى ، فَقَدَّمْتُ إلَيْها قَليلاً مِنَ ٱلـلَّبَنِ ، وَ بَعْدَها أَخَذَتْ تَتَجَوَّلُ في ٱلغُرْفَةِ وَتَتَشَمَّمُ أَرْكانَها لِتَأْلَفَ ٱلـمَكانَ . وَأَثارَتْها قَليلاً قِطْعَةُ ٱلصّوفِ ٱلـخَفِيَّةُ ، وَلَيْتَكَ رَأَيْتَها وَهِيَ تَبْصُقُ عَلَيْها ، وَ لٰكِنِّي أَرَحْتُها بِأَنْ حَمَلْتُها إلى فِراشي . »

سَأَلَ كِمْب : « وَعِنْدَئِذٍ جَعَلْتَها خَفِيَّةً ؟ »

أَجابَ : « نَعَمْ ، وَقَدِ ٱسْتَغْرَقَ ذٰلِكَ أَرْبَعَ ساعاتٍ . »

سَأَلَ كِمْب : « أَ تُريدُ أَنْ تَقولَ إنَّ في ٱلدُّنْيا ٱلآنَ قِطَّةً خَفِيَّةً ؟ »

أَجابَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ : « وَلِـمَ لا ؟ إنْ لَـمْ تَكُنْ قَدْ قُتِلَتْ ! »

قالَ كِمْب : « لِـمَ لا ؟ واصِلْ حَديثَكَ . »

وَصَمَتَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ بِضْعَ دَقائِقَ ، ثُمَّ قالَ : « كانَتِ ٱلفِكْرَةُ ٱلوَحيدَةُ ٱلواضِحَةُ في ذِهْني هِيَ أَنَّ ٱلعَمَلَ يَجِبُ أَنْ يَكْتَمِلَ ، وَ أَنْ يَصِلَ إلى نِهايَتِهِ بِسُرْعَةٍ ، لِأَنَّهُ لَـمْ يَعُدْ لَدَيَّ مِنَ ٱلـمالِ إلاّ ٱلنَّزْرُ ٱلقَليلُ . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ عُدْتُ إلى ٱلبَيْتِ ، وَ تَناوَلْتُ ٱلطَّعامَ ،

وَ أَوَيْتُ إلى ٱلفِراشِ دونَ أَنْ أَخْلَعَ ثِيابي .

« وَصَحَوْتُ فَجْأَةً عَلى طَرَقاتٍ عالِيَةٍ فَوْقَ بابي ، وَ كانَ ٱلطّارِقُ هُوَ صاحِبَ ٱلـمَنْزِلِ ، وَقالَ إنَّني كُنْتُ أُؤْذي قِطَّةً في ٱلـمَساءِ ، وَ إنَّهُ عَلى يَقينٍ مِنْ هٰذا ، إذْ كانَ يَسْمَعُ مُواءَها ، وَ إنَّهُ يُريدُ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ ٱلـمَوْضوعِ . وَ أَجَبْتُهُ بِأَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ في غُرْفَتي أَيَّةُ قِطَّةٍ في ذٰلِكَ ٱلـمَساءِ ؛ فَقالَ إنَّ ٱلـجَلَبَةَ ٱلَّتي تُحْدِثُها تَجارِبي تُسْمَعُ في جَميعِ أَرْجاءِ ٱلبَيْتِ . وَكانَ عَلى حَقٍّ في هٰذا ، ثُمَّ خَطا إلى داخِلِ ٱلغُرْفَةِ ، وَسَأَلَني عَمّا أَفْعَلُ ، وَقالَ إنَّ هٰذا ٱلـمَنْزِلَ كانَ دائِمًا مَنْزِلاً مُـحْتَرَمًا . وَ أَخيرًا ثارَ غَضَبي ، فَدَفَعْتُهُ خارِجَ ٱلـحُجْرَةِ ، وَ أَوْصَدْتُ ٱلبابَ ، فَأَثارَ ضَجَّةً أَمامَ بابي ، وَ لٰكِنّي لَـمْ أَحْفِلْ بِهِ ، ثُمَّ ما لَبِثَ أَنِ ٱنْصَرَفَ .

« وَلٰكِنّي لَـمْ أَكُنْ أَدْري ماذا يَنْوي أَنْ يَفْعَلَ ، وَ لا حَتّى ما يَسْتَطيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ . وَ كانَ ٱنْتِقالي إلى مَنْزِلٍ آخَرَ مَعْناهُ تَأْجيلُ ٱلتَّجْرِبَةِ . وَ لَـمْ يَكُنْ لَدَيَّ آنَذاكَ إلاّ عِشْرونَ جُنَيْهًا ، مُعْظَمُها مودَعٌ في ٱلـمَصْرِفِ . وَلَوْ أَنَّهُ ٱسْتَدْعى ٱلشُّرْطَةَ لَقاموا بِتَفْتيشِ غُرْفَتي ، فَما عَسايَ أَنْ أَفْعَلَ ؟

« أَنْ أَخْتَفِيَ طَبْعًا ! وَ هٰذا ما فَعَلْتُهُ في تِلْكَ ٱلـلَّيْلَةِ .

« في ٱلبِدايَةِ أَحْسَسْتُ بِٱلأَلَـمِ وَ ٱلـمَرَضِ وَفي بَعْضِ ٱلأَحْيانِ كُنْتُ

أَبْكي وَأَنْتَحِبُ . وَكُنْتُ أُكَلِّـمُ نَفْسي بِصَوْتٍ عالٍ ، وَلٰكِنّي صَمَدْتُ وَلَـمْ أَسْتَسْلِمْ . وَلَنْ أَنْسى أَبَدًا مَشْهَدَ يَدَيَّ : لَقَدْ أَصْبَحَتا بَيْضاوَيْنِ كَٱلوَرَقِ ، وَ بَعْدَئِذٍ ، وَ في بُطْءٍ ، أَصْبَحَتا شَبيهَتَيْنِ بِٱلزُّجاجِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَلاشَتا وَٱخْتَفَتا . في أَوَّلِ ٱلأَمْرِ ٱنْتابَني ضَعْفٌ كَأَنَّني طِفْلٌ صَغيرٌ ، وَكُنْتُ أَمْشي عَلى قَدَمَيْنِ لا أَراهُما .

« وَنِـمْتُ طَوالَ فَتْرَةِ ٱلصَّباحِ ، وَ سَحَبْتُ ٱلـمُلاءَةَ فَوْقَ عَيْنَيَّ لأَحْـجُبَ عَنْهُما ٱلضَّوْءَ . وَ أَيْقَظَني صَوْتُ طَرَقاتٍ عَلى بابي ، وَكانَتْ قُوَّتي قَدْ عادَتْ إِلَيَّ ، فَجَـلَسْتُ في ٱلفِراشِ أُرْهِفُ ٱلسَّمْعَ ، وَ سَمِعْتُ لَغَطًا يَتَرَدَّدُ . وَ إِنْ هِيَ إِلاّ لَـحَظاتٌ حَتّى تَكَرَّرَتِ ٱلطَّرَقاتُ عَلى ٱلبابِ ، وَتَعالَتْ أَصْواتٌ تُناديني ، وَلِكَيْ أَكْسِبَ بَعْضَ ٱلوَقْتِ أَجَبْتُها . وَ كانَتْ نافِذَتي تُطِلُّ عَلى سَطْحِ ٱلبَيْتِ ، فَتَسَلَّلْتُ مِنْها ، وَ أَغْلَقْتُها وَوَقَفْتُ خارِجَها أَرْقُبُ ما يَجْري ، وَ دَخَلَ إِلى ٱلـحُجْرَةِ ٱلرَّجُـلُ ٱلعَجوزُ صاحِبُ ٱلـمَنْزِلِ وَوَلَداهُ .

« وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ ٱلدَّهْشَةَ ٱلَّتي ٱسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمْ عِنْدَما وَجَدوا ٱلـحُجْرَةَ خالِيَةً . وَ هُرِعَ أَحَدُ ٱلشّابَّيْنِ إِلى ٱلنّافِذَةِ مِنْ فَوْرِهِ ، وَ فَتَحَها وَأَطَلَّ مِنْها . وَكانَ وَجْهُهُ ٱلـمُلْتَحي قَريبًا مِنّي يَكادُ يُلامِسُني ، وَ حَدَّقَ

بِنَظَرِهِ مِنْ خِلالي ، وَكَذٰلِكَ فَعَلَ ٱلآخَرانِ . ثُمَّ مَضى ٱلأَبُ ٱلعَجوزُ إِلى ٱلفِراشِ وَ بَحَثَ تَحْتَهُ .

« وَبَيْنَما كانوا يَتَحَدَّثونَ مَعًا ، تَسَلَّلْتُ راجِعًا إِلى ٱلـحُجْرَةِ ، وَتَجاوَزْتُهُمْ مارًّا بِجانِبِهِمْ ، وَ هَبَطْتُ ٱلسُّلَّمَ ، وَ عَثَرْتُ في إِحْدى ٱلـحُجُراتِ عَلى عُلْبَةِ ثِقابٍ ، وَ عِنْدَما هَبَطوا إِلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ رَجَعْتُ إِلى حُـجْرَتي ، وَ أَشْعَلْتُ ٱلنّارَ في ٱلأَوْراقِ وَ ٱلقَشِّ وَ ٱلفِراشِ وَٱلأَثاثِ . »

« أَشْعَلْتَ ٱلنّارَ في ٱلبَيْتِ ؟! »

« نَعَمْ ، أَشْعَلْتُ ٱلنّارَ في ٱلبَيْتِ ، فَقَدْ كانَتْ تِلْكَ هِيَ ٱلوَسيلَةَ ٱلوَحيدَةَ لإِخْفاءِ آثاري . »

وَٱنْقَضَتْ ساعَةٌ أُخْرى وَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ ماضٍ في سَرْدِ قِصَّتِهِ وَكِمْب مُصْغٍ إِلَيْهِ . وَكانَتِ ٱلقِصَّةُ تَحْكي كَيْفَ حَصَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ عَلى بَعْضِ ٱلثِّيابِ ، وَ كَيْفَ كانَ يَحْصُلُ عَلى ٱلطَّعامِ وَ ٱلشَّرابِ مَتى يَسْتَطيعُ ، وَ كَيْفَ كانَ يُهَيِّئُ لِنَفْسِهِ ٱلـمَأْوى وَ ٱلفِراشَ ٱلَّذي يَنامُ عَلَيْهِ حينَ يَشاءُ ، حَتّى ٱنْتَهى أَخيرًا إِلى أَيْبِنْغ .

الفَصْلُ ٱلتّاسِعَ عشَرَ

الـخُطَّةُ ٱلَّتي فَشِلَتْ

تَساءَلَ كِمْب وَهُوَ يُطِلُّ مِنَ ٱلنّافِذَةِ : « وَٱلآنَ ماذا سَنَفْعَلُ ؟ » وَتَحَرَّكَ مُقْتَرِبًا مِنْ ضَيْفِهِ حَتّى يَحولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْيَةِ ٱلرِّجالِ ٱلثَّلاثَةِ ٱلَّذينَ يَرْتَقونَ ٱلتَّلَّ في خُطًى بَطيئَةٍ كَما بَدا لِكِمْب .

« ماذا كُنْتَ تَنْوي أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَما جِئْتَ إلى ميناءِ بِرْدُوك ؟ هَلْ كانَ في ذِهْنِكَ خُطَّةٌ ؟ »

كُنْتُ أَنْوي أَنْ أُغادِرَ ٱلبِلادَ ، وَلٰكِنّي عَدَلْتُ عَنْ خُطَّتي عِنْدَما رَأَيْتُكَ . وَكُنْتُ أُفَكِّرُ في أَنْ أَمْضِيَ إلى ٱلـجَنوبِ لأَنَّ ٱلطَّقْسَ حارٌّ ، خاصَّةً وَقَدْ أَصْبَحَ سِرّي مَعْروفًا ، وَأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ مُتَلَفِّعٍ يَسْتُرُ وَجْهَهُ . إنَّ لَدَيْكُمْ هُنا بَواخِرَ تُبْحِرُ إلى فَرَنْسا ، وَكانَتْ فِكْرَتي أَنْ أَرْكَبَ إحْدى هٰذِهِ ٱلبَواخِرِ ، ثُمَّ أُسافِرَ بِٱلقِطارِ إلى إسْبانْيا أَوْ إلى ٱلـجَزائِرِ ، وَلَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ عَسيرًا . وَهُناكَ يَسْتَطيعُ ٱلـمَرْءُ أَنْ يَعيشَ

وَأَنْ يَقومَ بِـما يَشاءُ مِنْ أَعْمالٍ حَتّى وَ لَوْ كانَ خَفِيًّا . وَقَدْ كُنْتُ أَتَّـخِذُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلأَفّاقِ صُنْدوقًا أَحْتَفِظُ فيهِ بِنُقودي وَحَـمّالًا لِلَوازِمي ، حَتّى أُقَرِّرَ كَيْفَ أُرَتِّبُ إرْسالَ كُتُبي وَلَوازِمي إلى ٱلـمَكانِ ٱلَّذي سَأَذْهَبُ إلَيْهِ . »

« هٰذا مَفْهومٌ . »

« وَعِنْدَئِذٍ حاوَلَ أَنْ يَسْرِقَني ! لَقَدْ أَخْفى كُتُبي يا كِمْب ! لَقَدْ أَخْفى كُتُبي ! لَوْ أَنَّني ٱهْتَدَيْتُ إلى مَكانِهِ فَسَوْفَ . . . »

« أَوْلى بِكَ أَنْ تَسْتَرِدَّ كُتُبَكَ مِنْهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . »

« لٰكِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ أَ تَعْرِفُ مَكانَهُ ؟ »

« إنَّهُ في مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، سَجينًا ـ بِناءً عَلى رَغْبَتِهِ ـ في غُرْفَةٍ مَنيعَةٍ . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ : « ٱلفَأْرُ ٱلـجَبانُ »

« هٰذا طَبْعًا يُعَرْقِلُ خُطَطَكَ إلى حَدٍّ ما . »

« يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هٰذِهِ ٱلكُتُبَ ، فَإنَّها كُتُبٌ ضَرورِيَّةٌ . »

قالَ كِمْب مُتَوَتِّرًا ، وَقَدْ خُيِّلَ إلَيْهِ أَنَّهُ سَمِعَ وَقْعَ أَقْدامٍ في ٱلخارِجِ : « بِكُلِّ تَأْكيدٍ ، بِكُلِّ تَأْكيدٍ يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هٰذِهِ ٱلكُتُبَ . وَٱلأَمْرُ عَلى أَيَّةِ

حالٍ لَنْ يكونَ عسيرًا ما دامَ لَنْ يَعْرِفَ أَنَّها مَطْلوبَةٌ لَكَ . »

قالَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ وَهُوَ غارِقٌ في آلتَّفْكيرِ : « تمامًا . »

وَحاوَلَ كِمْب أَنْ يُفَكِّرَ في شيْءٍ آخَرَ يَجْعَلُ بِهِ آلـحَديثَ مُتَّصِلًا ، وَلٰكِنَّ آلرَّجُلَ آلـخَفِيَّ مَضى مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ يَقولُ : « إِنَّ دُخــولِـيَ بَيْتَكَ ياكِمْب غَيَّرَ جَميعَ خُطَطي . إِنَّكَ رَجُلٌ تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْهَمَ وَ تُقَدِّرَ مَوْقِفي . إِنَّكَ عالِمٌ ، وَ طَبْعًا لَنْ تُـخْبِرَ أَحَدًا بِوُجودِيَ هُنا ؟ »

« لَـنْ أُخْبِرَ مَـخْلوقًا بِذٰلِكَ . »

« إِذا كانَ لا بُدَّ لِي أَنْ أَسْتَفيدَ مِنْ كَوْني رَجُلًا خَفِيًّا ، فَيَجِبُ أَنْ أَبْدَأَ بِآلقَتْلِ . »

رَدَّدَ كِمْب : « القَتْلُ ؟ إِنّي مُصْغٍ إِلى خُطَّتِكَ ، وَلٰكِنّي لا أُوافِقُكَ عَلَيْها . لِـماذا آلقَتْلُ ؟ »

يَتَلَخَّصُ آلـمَوْضوعُ فِي أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ ـ كَما نَعْرِفُ ـ أَنَّ ثَمَّةَ رَجُلًا خَفِيًّا . وَهٰذا آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ يا كِمْب يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ عَمَلَهُ بِأَنْ يَحْكُمَ بِآلإِرْهابِ . نَعَمْ ، وَهٰذا ما أَعْنيهِ : آلـحُكْمُ بِآلإِرْهابِ . يَجِبُ أَنْ يَسْتَوْلِـيَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ عَلى بَلْدَةٍ مِثْلِ بَلْدَتِكُمْ بِرْدُوك ، وَيُشيعَ فيها

آلرُّعْبَ وَآلفَزَعَ . يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصْدِرَ آلأَوامِرَ ، وَ يُمْكِنُهُ ذٰلِكَ بِوَسائِلَ عَديدَةٍ . وَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ مَنْ يَعْصي أَوامِرَهُ ، وَ كُلَّ مَنْ يُعارِضُهُ . »

قالَ كِمْب : « حَقًّا ! ؟ » وَلَـمْ يَكُنْ يُصْغي إِلى حَديثِ غرِيفِين ، وَإِنَّما إِلى صَريرِ بابِ آلبَيْتِ آلأَمامِيِّ وَهُوَ يُفْتَحُ وَ يُغْلَقُ .

وَسَمِعَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ أَيْضًا هٰذا آلصَّريرَ ، وَقالَ : « أَنْصِتْ ! ما آلَّذي يَجْري في آلطّابَقِ آلأَرْضِيِّ ؟ »

أَجابَ كِمْب « لا شيْءَ » ثُمَّ أَخَذَ فَجْأَةً يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ عالٍ وَبِسُرْعَةٍ ، فَقالَ : « إِنَّني لا أُوافِقُكَ يا غرِيفِين عَلى هٰذا . اِفْهَمْني ؛ فَأَنا لا أُوافِقُ عَلى هٰذا . لِـماذا تُريدُ أَنْ تَبْقى وَحيدًا ؟ لِـمَ لا تُكاشِفُ آلنّاسَ جَميعًا بِآلأَمْرِ ؟ أَ لَيْسَ هٰذا هُوَ آلأَفْضَلَ ؟ إِنَّكَ عِنْدَئِذٍ سَتَجِدُ آلآلافَ مِنَ آلنّاسِ يُساعِدونَكَ وَيَشُدّونَ أَزْرَكَ . »

وَرَفَعَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ يَدَهُ قائِلًا : « ثَمَّةَ أَقْدامٌ تَصْعَدُ آلسُّلَّمَ . »

قالَ كِمْب : « هُراءٌ ! »

قالَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ : « سَنَرى . » وَمَضى إِلى آلبابِ وَ أَرْهَفَ سَمْعَهُ .

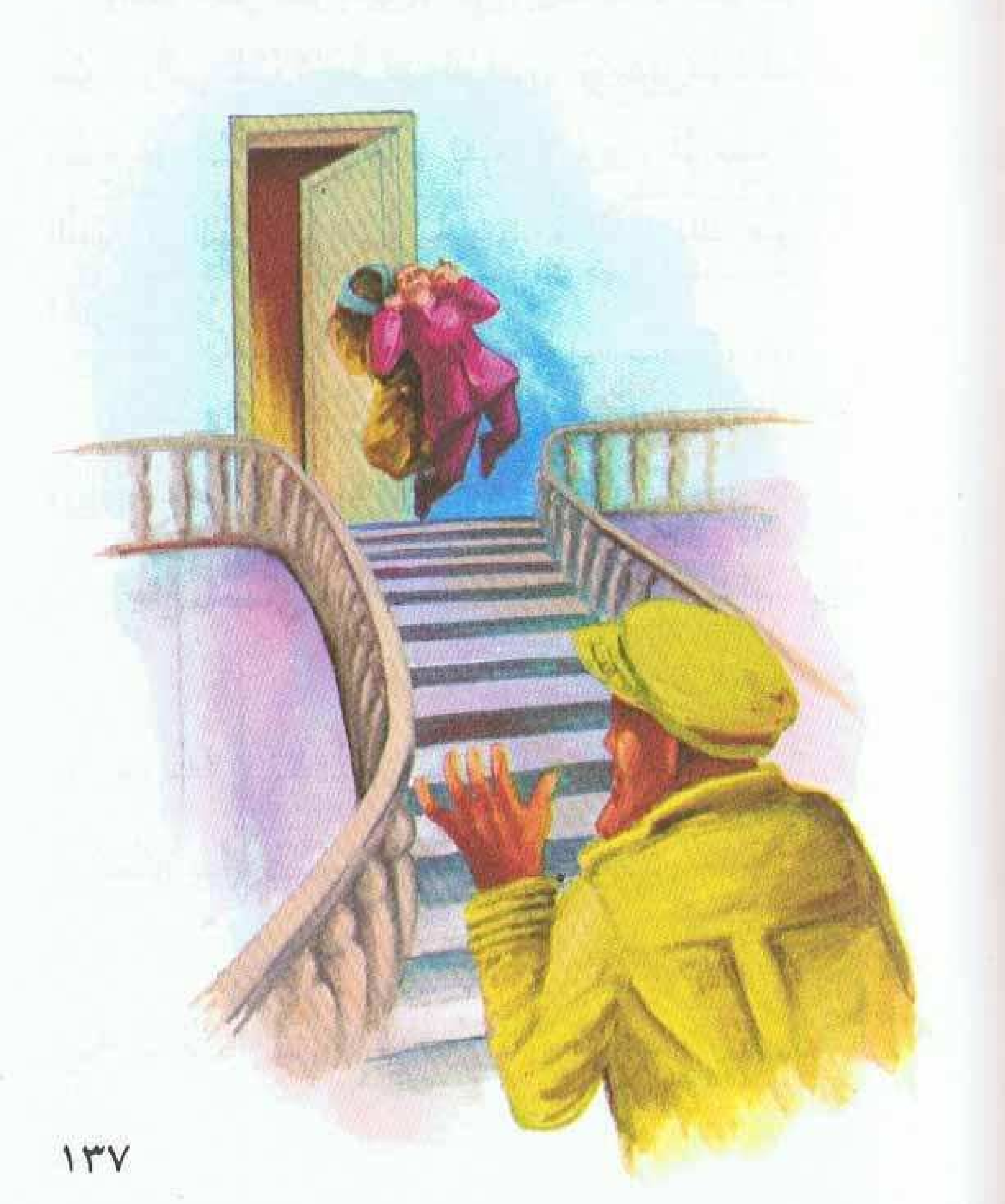
عِنْدَئِذٍ تلاحَقَتِ ٱلأَحْداثُ بِسُرْعَةٍ شَديدَةٍ ، فَفَجْأَةً ٱنْفَتَحَتِ ٱلـمَلابِسُ وَ جلَسَتْ ، وَشَرَعَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يَخْلَعُ ثِيابَهُ ، وَ مَضى كِمْب إلى بابِ ٱلـحُجْرَةِ وفَتَحَهُ .

وما إنْ فُتِحَ ٱلبابُ حَتّى سُمِعَ وَقْعُ خُطُواتٍ مُسْرِعَةٍ وَأَصْواتٌ تَتَرَدَّدُ في ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ .

وَبِحَرَكَةٍ سَريعَةٍ دَفَعَ كِمْب ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ إلى ٱلوَراءِ ، وَ قَفَزَ جانِبًا ، وَأَغْلَقَ ٱلبابَ وَراءَهُ بِعُنْفٍ . وَكانَ ٱلـمِفْتاحُ مُعَدًّا فيهِ مِنَ ٱلخارِجِ ، وَكانَ مِنَ ٱلـمُمْكِنِ أَنْ يَجِدَ غريفين نَفْسَهُ في ٱللَّحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ مَحْبوسًا في ٱلغُرْفَةِ لَوْلا أَنَّ أَمْرًا صَغيرًا حَدَثَ : فَقَدْ وَقَعَ ٱلـمِفْتاحُ عَلى ٱلأَرْضِ مُحْدِثًا صَوْتًا عالِيًا .

وَشَحَبَ وَجْهُ كِمْب ، وَ حاوَلَ أَنْ يَشُدَّ مِقْبَضَ ٱلبابِ بِكِلْتا يَدَيْهِ ، وَمَرَّتْ لَحْظَةٌ وَ هُوَ يَجْذِبُ ٱلـمِقْبَضَ بِشِدَّةٍ ثُمَّ ٱنْفَتَحَ ٱلبابُ مِقْدارَ خَمْسَةَ عشَرَ سَنْتيمِترًا ، وَلٰكِنَّهُ ٱسْتَطاعَ أَنْ يُغْلِقَهُ ثانِيَةً ، وَفي ٱلـمَرَّةِ ٱلثّانِيَةِ فُتِحَ ٱلبابُ قُرابَةَ ثَلاثينَ سَنْتيمِترًا ، وَظَهَرَتِ ٱلـمَلابِسُ في فُرْجَةِ ٱلبابِ . وَأَمْسَكَتْ أَصابِعُ خَفِيَّةٌ بِعُنُقِ كِمْب تَخْنُقُهُ ، فَتَرَكَ ٱلـمِقْبَضَ لِيُدافِعَ عَنْ نَفْسِهِ . وَدُفِعَ إلى ٱلوَراءِ ، وَ أُلْقِيَ بِعُنْفٍ عَلى ٱلأَرْضِ .

وَ في مُنْتَصَفِ ٱلسُّلَّمِ كانَ ٱلعَقيدُ آدي - رَئيسُ شُرْطَةِ بِرْدُوك - صاعِدًا . وَأَخَذَ يُحَمْلِقُ إلى كِمْب ٱلَّذي ظَهَرَ فَجْأَةً ، وَ وَراءَهُ ٱلـمَلابِسُ ٱلَّتي كانَتْ تَتَراقَصُ في ٱلـهَواءِ . ثُمَّ رَأى كِمْب يَتَهاوى عَلى ٱلأَرْضِ ،



وَيُجاهِدُ لِلنُّهوضِ عَلى قَدَمَيْهِ ، وَشاهَدَهُ يَنْدَفِعُ إِلى ٱلأَمامِ ثُمَّ يَسْقُطُ مَرَّةً أُخْرى .

وَفَجْأَةً أَحَسَّ بِضَرْبَةٍ مِنْ لا شَيْءٍ! وَبَدا لَهُ أَنَّ جِسْمًا ثَقيلاً ٱنْقَضَّ عَلَيْهِ ، وَأَلْفى نَفْسَهُ يَسْقُطُ عَلى ٱلسُّلَّمِ . وَوَطِئَتْ ظَهْرَهُ قَدَمٌ خَفِيَّةٌ ، وَسَمِعَ عَلى ٱلسُّلَّمِ وَقْعَ أَقْدامٍ لِشَبَحٍ لا يُرى ، ثُمَّ سَمِعَ ٱلشُّرْطِيَّيْنِ ٱللَّذَيْنِ في ٱلْبَهْوِ يَصْرُخانِ وَ يَجْرِيانِ ، وَ أَعْقَبَ ذٰلِكَ صَوْتُ ٱلبابِ ٱلخارِجِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ .

وَٱعْتَدَلَ رَئيسُ ٱلشُّرْطَةِ جالِسًا عَلى ٱلسُّلَّمِ ، وَ رَأى كِمْبَ نازِلاً ، وَوَجْهُهُ شاحِبٌ يَنْزِفُ دَمًا .

وَصاحَ كِمْب : « رَبّاهُ ! لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْنَعَهُ ! لَقَدْ هَرَبَ ! »

الفَصْلُ ٱلعِشْرونَ

مُطارَدَةُ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ

إِسْتَغْرَقَ كِمْب بَعْضَ ٱلوَقْتِ لِكَيْ يَشْرَحَ لِلْعَقيدِ آدي ما حَدَثَ ، فَقالَ : « إِنَّهُ مَـجْنونٌ ! إِنَّهُ لا يُفَكِّرُ إِلاّ في مَصْلَحَتِهِ ٱلشَّخْصِيَّةِ وَفي سَلامَتِهِ . وَقَدِ ٱسْتَمَعْتُ هٰذا ٱلصَّباحَ إِلى قِصَّةٍ شَنيعَةٍ مَليئَةٍ بِٱلطُّموحِ ٱلشَّديدِ ٱلقَسْوَةِ ، لَقَدِ ٱعْتَدى عَلى بَعْضِ ٱلرِّجالِ فَأَصابَهُمْ بِجُروحٍ ، وَهُوَ يَعْتَزِمُ أَنْ يَقْتُلَهُمْ ما لَـمْ نَمْنَعْهُ . إِنَّهُ يُخَطِّطُ لِكَيْ يُسَيْطِرَ عَلى ٱلبَلْدَةِ بِٱلإِرْهابِ . لا شَيْءَ يُمْكِنُ أَنْ يوقِفَهُ. إِنَّهُ ٱلآنَ حُرٌّ طَليقٌ في ٱلخارِجِ ، وَهُوَ مَـجْنونٌ ! »

قالَ آدي : « يَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ ، وَهٰذا أَمْرٌ لا شَكَّ فيهِ . »

صاحَ كِمْب : « وَلٰكِنْ كَيْفَ ؟ » وَفَجْأَةً ٱزْدَحَمَتْ بِرَأْسِهِ ٱلأَفْكارُ ، فَقالَ :

« يَجِبُ أَنْ تَبْدَأوا فَوْرًا في مُطارَدَتِهِ . . . يَجِبُ أَنْ تَدْعوا جَميعَ

ٱلنَّاسِ إلى ٱلعَمَلِ . يَجِبُ أن تَمْنَعوهُ مِنْ مُغادَرَةِ هٰذا ٱلمَكانِ . إنَّهُ إذا تَمَكَّنَ مِنَ ٱلهَرَبِ فَسَوْفَ يَرْتادُ ٱلبِلادَ ، وَيَقْتُلُ أنّى سارَ . وَٱلشَّيْءُ ٱلوَحيدُ ٱلَّذي يُمْكِنُ أنْ يَسْتَبْقِيَهُ في هٰذِهِ ٱلمِنْطَقَةِ هُوَ رَغْبَتُهُ في ٱسْتِرْدادِ كُتُبٍ مُعَيَّنَةٍ لَها عِنْدَهُ شَأْنٌ كَبيرٌ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْها . إنَّ لَدَيْكُمْ في مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ رَجُلًا يُدْعى مارْڤِل . »

قالَ آدي : « أعْرِفُ ذٰلِكَ . أعْرِفُ ذٰلِكَ . هٰذِهِ ٱلكُتُبُ . . . نَعَمْ ، وَلٰكِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ . . . »

قالَ كِمْب مُقاطِعًا : « يَقولُ إنَّهُ لَمْ يَسْتَرِدَّ كُتُبَهُ بَعْدُ ، وَلٰكِنَّهُ يَظُنُّ أنَّها لَدى مارْڤِل . وَٱلآنَ أَصْغِ إلَيَّ : يَجِبُ أنْ تَمْنَعَهُ مِنْ أنْ يَأْكُلَ أوْ يَنامَ . يَجِبُ أنْ تَكونَ ٱلبَلْدَةُ مُتَيَقِّظَةً لَهُ لَيْلَ نَهارَ . يَجِبُ أنْ توضَعَ كافَّةُ ٱلأَطْعِمَةِ في مَكانٍ مُغْلَقٍ حَتّى يُضْطَرَّ إلى أنْ يَقْتَحِمَ بَيْتًا أوْ مَتْجَرًا لِلْحُصولِ عَلَيْها . وَٱلبُيوتُ . . . جَميعُ ٱلبُيوتِ في أيِّ مَكانٍ يَجِبُ أنْ توصَدَ دونَهُ . وَٱلمِنْطَقَةُ كُلُّها في نِطاقِ ثَلاثينَ كيلومِتْرًا حَوْلَ ميناءِ بِرْدُوك يَجِبُ أنْ تَبْدَأَ في مُطارَدَتِهِ ، وَيَجِبُ ألّا تَكُفَّ عَنْ مُطارَدَتِهِ . وَأُؤَكِّدُ لَكَ يا آدي أنَّهُ رَجُلٌ خَطِرٌ ، وَ ما لَمْ نُمْسِكْ بِهِ فَإنَّ ٱلتَّفْكيرَ فيما سَيَحْدُثُ يُثيرُ ٱلذُّعْرَ في ٱلنَّفْسِ . »

قالَ ٱلعَقيدُ آدي : « وَٱلآنَ هَيّا بِنا ، وَيُمْكِنُكَ أَثْناءَ سَيْرِنا أنْ تُحَدِّثَني عَمّا يُمْكِنُ أنْ نَفْعَلَهُ . »

وَبَعْدَ لَحَظاتٍ كانا يَهْبِطانِ ٱلسُّلَّمَ وَوَجَدا ٱلبابَ ٱلأَمامِيَّ مَفْتوحًا ، وَٱلشُّرْطِيَّ ٱلواقِفَ عِنْدَهُ يُحَمْلِقُ إلى ٱلهَواءِ ، وَقالَ أَحَدُ ٱلواقِفينَ : « لَقَدْ هَرَبَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلعَقيدُ آدي : « يَجِبُ أنْ نُخْطِرَ مَرْكَزَ ٱلشُّرْطَةِ حالًا بِما حَدَثَ ، فَعَلى أَحَدِكُمْ أنْ يَذْهَبَ إلى ٱلمَرْكَزِ لِلإبْلاغِ ثُمَّ يَلْحَقَ بِنا بِسُرْعَةٍ . وَٱلآنَ يا كِمْب ، ماذا لَدَيْكَ سِوى ما ذَكَرْتَ ؟ »

قالَ كِمْب : « الكِلابُ . يَجِبُ إحْضارُ ٱلكِلابِ . إنَّها لَنْ تَراهُ طَبْعًا ، وَلٰكِنَّها سَتَشَمُّ رائِحَتَهُ . أَحْضِرِ ٱلكِلابَ . »

أجابَ ٱلعَقيدُ آدي : « لَيْسَ لَدَيْنا في ٱلمَرْكَزِ كِلابٌ صالِحَةٌ لِهٰذا ٱلغَرَضِ ، وَلٰكِنَّ ضُبّاطَ سِجْنِ هَلْستيد يَعْرِفونَ رَجُلًا لَدَيْهِ كِلابٌ مُدَرَّبَةٌ عَلى ٱقْتِفاءِ ٱلآثارِ . وَماذا لَدَيْكَ أَيْضًا بَعْدَ ٱلكِلابِ ؟ »

قالَ كِمْب : « تَذَكَّرْ أنَّ ٱلطَّعامَ يَظْهَرُ أمامَ ٱلعَيْنِ ، فَبَعْدَ أنْ يَفْرُغَ مِنَ ٱلأَكْلِ يُمْكِنُكَ أنْ تَرى ٱلطَّعامَ في مَعِدَتِهِ جَلِيًّا ؛ وَلِذٰلِكَ يَعْمِدُ إلى ٱلاخْتِباءِ ؛ وَلِذا يَجِبُ أنْ تُكَثِّفوا ٱلبَحْثَ في كُلِّ رُكْنٍ مِنَ ٱلأَرْكانِ .

وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تُخْفوا جميعَ ٱلْأَسْلِحَةِ ، وَأَيَّ شيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَخْدَمَ سِلاحًا . وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُمْسِكَ بِهٰذِهِ ٱلْأَشْياءِ طَويلًا ، لِأَنَّها تَكْشِفُ مَكانَهُ . وَيَجِبُ أَنْ تُخْفوا أَيَّ شيْءٍ يَسْتَطيعُ أَنْ يَلْتَقِطَهُ لِيَضْرِبَ بِهِ ٱلنّاسَ . »

قالَ ٱلعَقيدُ : « حَسَنًا . . . سَوْفَ نَقْتَنِصُهُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

قالَ كِمْب : « وَٱلطُّرُقُ . . . » وَبَدا عَلَيْهِ ٱلتَّرَدُّدُ .

وَسَأَلَهُ آدي : « ماذا تُريدُ أَنْ تَقولَ ؟ »

أَجابَ كِمْب : « يَجِبُ أَنْ نَفْرِشَها بِزُجاجٍ مَكْسورٍ . . . إِنّي أَعْرِفُ أَنَّ في فِكْرَتي قَسْوَةً ، وَلٰكِنْ تَخَيَّلْ ما يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ . »

وَتَنَفَّسَ آدي بِعُمْقٍ مِنْ بَيْنِ أَسْنانِهِ ، وَقالَ : « إِنَّها حَقًّا قَسْوَةٌ أَفْضَلُ عَدَمَ ٱسْتِعْمالِها ، وَمَعَ ذٰلِكَ سَأُعِدُّ قَدْرًا مِنَ ٱلزُّجاجِ ٱلمَكْسورِ؛ فَإِذا قُتِلَ فَسَيَكونُ قَدْ نالَ ما يَسْتَحِقُّ . »

قالَ كِمْب : « أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ ٱلرَّجُلَ مَجْنونٌ ، وَسَوْفَ يُقْدِمُ عَلى عَمَلِ أَيِّ شيْءٍ وَيَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ بِأَيَّةِ وَسيلَةٍ مُمْكِنَةٍ ، فَقَدْ قَطَعَ نَفْسَهُ عَنِ ٱلجِنْسِ ٱلبَشَرِيِّ . »

الفَصْلُ الحادي وَٱلعِشْرون

مَقْتَلُ ٱلسَّيِّدِ وِكْستيد

يَبْدو أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ ٱنْطَلَقَ مِنْ بَيْتِ كِمْب وَ قَدِ ٱسْتَبَدَّ بِهِ غَضَبٌ جامِحٌ ، فَقَدْ لَقِيَ في طَريقِهِ طِفْلًا يَلْعَبُ بِجانِبِ بابِ حَديقَةِ بَيْتِ كِمْب فَأَمْسَكَهُ وَ قَذَفَ بِهِ إِلى جانِبِ ٱلطَّريقِ بِعُنْفٍ ؛ فَٱنْكَسَرَتْ ساقُهُ .

وَتَلاشَتْ آثارُ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ بَعْدَ ذٰلِكَ بِضْعَ ساعاتٍ دونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ ، وَما ٱلَّذي فَعَلَ . وَلٰكِنْ بِٱلإِمْكانِ أَنْ نَتَصَوَّرَهُ مُنْطَلِقًا يَعْدو ، في ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ ٱلقائِظِ مِنْ أَيّامِ شَهْرِ يونْيه ، مُتَسَلِّقًا ٱلتَّلَّ ، ثُمَّ مُتَّجِهًا إِلى ٱلأَرْضِ ٱلفَضاءِ ٱلواقِعَةِ بَعْدَ ميناءِ بِرْدوك ، ثُمَّ يَخْتَفي في ٱلنِّهايَةِ في ٱلغابَةِ .

هُناكَ ٱخْتَفى ساعَتَيْنِ ، عَلى حينِ كانَ حَشْدٌ مُتَزايِدٌ مِنَ ٱلرِّجالِ يُطارِدُهُ بِٱلاسْتِعانَةِ بِٱلكِلابِ عَبْرَ ٱلمِنْطَقَةِ ، وَ يُفَتِّشُ عَنْهُ في كُلِّ ٱتِّجاهٍ . وَفي ٱلصَّباحِ كانَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ لا يَزالُ رِوايَةً تُرَدِّدُها ٱلأَلْسُنُ ، وَرُعْبًا

يَسْتَبِدُّ بِالقُلوبِ . أَمّا بَعْدَ ٱلظُّهْرِ - وَ ٱلفَضْلُ في هٰذا لِلإِعْلانِ ٱلشَّديدِ ٱللَّهْجَةِ ٱلَّذي أَذاعَهُ كِمْب - فَقَدْ أَيْقَنَ ٱلنّاسُ أَنَّهُ عَدُوٌّ حَقيقِيٌّ يَجِبُ ٱقْتِناصُهُ وَ ٱلقَبْضُ عَلَيْهِ بِٱلقُوَّةِ . وَأَخَذَ ٱلنّاسُ يُنَظِّمونَ أَنْفُسَهُمْ بِسُرْعَةٍ .

وَ حَتّى ٱلسّاعَةِ ٱلثّانِيَةِ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ ، كانَ بِمَقْدورِهِ ٱلهَرَبُ مِنَ ٱلمِنْطَقَةِ بِأَنْ يَرْكَبَ قِطارًا . أَمّا بَعْدَ ٱلثّانِيَةِ فَقَدْ أَصْبَحَ ٱلأَمْرُ مُسْتَحيلاً ؛ فَجَميعُ قِطاراتِ ٱلرُّكّابِ في ٱلمِنْطَقَةِ كانَتْ مُغْلَقَةَ ٱلأَبْوابِ بِٱلأَقْفالِ ، أَمّا قِطاراتُ ٱلبِضاعَةِ فَقَدْ تَوَقَّفَتْ كُلُّها تَقْريبًا عَنِ ٱلسَّيْرِ .

وَ في دائِرَةٍ نِطاقُها حَوالى ثَلاثينَ كيلومِتْرًا حَوْلَ ميناءِ بِرْدُوك ، كانَ ٱلرِّجالُ ٱلمُسَلَّحونَ بِٱلبَنادِقِ وَ ٱلعِصِيِّ يَنْطَلِقونَ في جَماعاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ ثَلاثَةِ رِجالٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ تَصْحَبُهُمُ ٱلكِلابُ ، يُفَتِّشونَ ٱلطُّرُقَ وَ ٱلحُقولَ .

أَمّا رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ مِنْ راكِبي ٱلخَيْلِ فَمَضَوْا يَطوفونَ بِطُرُقِ ٱلمِنْطَقَةِ ، وَيَتَوَقَّفونَ عِنْدَ كُلِّ بَيْتٍ ، وَ يَطْلُبونَ مِنْ أَصْحابِهِ أَنْ يُغْلِقوا أَبْوابَهُمْ ، وَ أَلاّ يُغادِروا دورَهُمْ إِلاّ وَهُمْ مُسَلَّحونَ . وَ قَبْلَ ٱلسّاعَةِ ٱلثّالِثَةِ كانَتْ جَميعُ ٱلمَدارِسِ قَدْ أَغْلَقَتْ أَبْوابَها وَ أَسْرَعَ تَلاميذُها ٱلخائِفونَ إِلى مَنازِلِهِمْ في جَماعاتٍ مُتَماسِكَةٍ . وَ قَدْ عُلِّقَ إِعْلانُ كِمْب في كُلِّ مَكانٍ لِيُوَضِّحَ لِلنّاسِ ما يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلوهُ بِأَنْ يَحْرِموا ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ



مِنَ ٱلأَكْلِ وَ ٱلنَّوْمِ وَأَنْ يَتَنَبَّهوا دائِمًا لِأَيَّةِ عَلامَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ . وَقَبْلَ أَنْ يَسودَ ٱلظَّلامُ كانَتِ ٱلبِلادُ كُلُّها عَلى حَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ . وَقَبْلَ حُلولِ ٱللَّيْلِ جاءَتْ أَنْباءٌ تَناقَلَتْها ٱلأَلْسِنَةُ تَرْوي حِكايَةَ مَقْتَلِ ٱلسَّيِّدِ وِكْستيد .

فَفي مَكانٍ ما عَلى ٱلطَّريقِ لا بُدَّ أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ ٱلْتَقَطَ قَضيبًا مِنَ ٱلحَديدِ ، وَفي ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ كانَ ٱلسَّيِّدُ وِكْستيد راجِعًا إِلى بَيْتِهِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَ هُوَ رَجُلٌ مُسالِمٌ لا يُؤْذي أَحَدًا . وَما مِنْ شَكٍّ في أَنَّهُ رَأى قَضيبًا مِنَ ٱلحَديدِ يَمْشي وَحْدَهُ مُعَلَّقًا في ٱلهَواءِ ، فَأَخَذَ يَتَتَبَّعُهُ . وَ يَبْدو أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ ظَنَّ أَنَّ وِكْستيد ٱلهادِئَ ٱلضَّئيلَ ٱلجِسْمِ هُوَ أَحَدُ

مُطارِدِيهِ ، فَأَوْقَفَهُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ ، وَ كَسَرَ ذِراعَهُ ، وَ طَرَحَهُ أَرْضًا ، وَ هَشَّمَ رَأْسَهُ .

وَثَمَّةَ حِكايَةٌ أُخرى عَنْ صَوْتٍ يَضْحَكُ وَ يَبْكي ، سَمِعَهُ بَعْضُ ٱلرِّجالِ فِي أَحَدِ ٱلـحُقولِ . وَ أَخذَ ٱلصَّوْتُ يَتَرَدَّدُ في أَرْجاءِ ٱلحَقْلِ ، ثُمَّ تَلاشى . وَلا بُدَّ أَنَّ ٱلرَّجُـلَ ٱلـخَفِيَّ عَرَفَ كَيْفَ ٱسْتَفادَ كِمب مِنَ ٱلقِصَّةِ ٱلَّتي رَواها لَهُ ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ رَأى جَميعَ أَبْوابِ ٱلبُيوتِ مُغْلَقَةً ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ رَأى جَماعاتِ ٱلرِّجالِ تَصْحَبُهُمُ ٱلكِلابُ يُراقِبونَ وَ يَتَرَبَّصونَ ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُ رَجُلٌ مُطارَدٌ . وَ لا بُدَّ أَنَّهُ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَنامَ فِي ٱلـلَّيْلِ ، فَفي صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي كانَ ٱلرَّجُـلُ ٱلـخَفِيُّ قَدِ ٱسْتَعادَ قُوَّتَهُ وَرِباطَةَ جَأْشِهِ ، وَٱسْتَعَدَّ لِـمُواجَهَةِ ٱلعالَـمِ .

ٱلفَصْلُ ٱلثّاني وَٱلعِشْرونَ

مُهاجَـمَةُ مَنْزِل كِمب

كانَ كِمب يَقْرَأُ رِسالَةً مَكْتوبَةً بِقَلَـمِ ٱلرَّصاصِ عَلى رُقْعَةٍ قَذِرَةٍ مِنَ ٱلوَرَقِ ، وَقَدْ جاءَ فيها : « لَقَدْ كُنْتَ ماهِرًا لِلْغايَةِ ، وَلٰكِنْ ما ٱلَّذي جَنَيْتَهُ بِـمَهارَتِكَ ؟ لا أَدْري ! إِنَّكَ ضِدّي ! وَقَدْ أَمْضَيْتَ يَوْمًا بِأَكْمَلِهِ تُطارِدُني ، وَحاوَلْتَ أَنْ تَسْلُبَني راحَتي لَيْلَةً ، وَلٰكِنّي ٱسْتَطَعْتُ أَنْ آكُلَ رَغْمًا عَنْكَ ، وَٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَنامَ رَغْمًا عَنْكَ . إِنَّنا ٱلآنَ فِي ٱلبِدايَةِ . نَعَمْ ، نَحْنُ فِي ٱلبِدايَةِ . وَلا شَيْءَ يُمْكِنُ عَمَلُهُ إِلاّ ٱلإِرْهابَ . وَهٰذا هُوَ أَوَّلُ أَيّامِ ٱلإِرْهابِ . لَـمْ يَعُدْ ميناءُ بِرْدُوك خاضِعًا لِلدَّوْلَةِ ؛ فَبَلِّغْ هٰذا لِرِجالِ شُرْطَتِكَ ، بَلْ لِـجَميعِ ٱلشُّرْطَةِ ، أَنَّهُ خاضِعٌ لي - لِلإِرْهابِ ! أَنا ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ ٱلأَوَّلُ ! وَ سَوْفَ نَبْدَأُ بِقَتْلِ رَجُلٍ يُدْعى كِمب . إِنَّهُ سَيَموتُ ٱليَوْمَ . وَلَعَلَّهُ سَيَخْتَبِئُ في مَكانٍ بَعيدٍ ، وَقَدْ يُحيطُ نَفْسَهُ بِٱلـحُرّاسِ ، وَلٰكِنَّ ٱلـمَوْتَ . . . ٱلـمَوْتَ ٱلَّذي لايُرى - آتٍ ! لَقَدْ بَدَأَتِ

اَللُّعْبَةُ . . . لَقَدْ بَدَأَ اَلـمَوْتُ . لَوْ أَنَّكُمْ ساعَدْتُموهُ يأَفْرادَ شَعْبي ، فَسَوْفَ يَحيقُ بِكُمُ اَلـمَوْتُ أَيْضًا . اَلْيَوْمَ سَيَموتُ كِمْب . »

قَرَأَ كِمْب اَلرِّسالَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَقالَ : « هٰذا هُوَ صَوْتُهُ ! وَهُوَ يَعْني ما يَقولُ . »

وَنَهَضَ مُتَثاقِلًا دونَ أَنْ يُتِمَّ غَداءَهُ ، فَقَدْ وَصَلَتْهُ اَلرِّسالَةُ فى بَريدِ اَلسّاعَةِ اَلواحِدَةِ . وَذَهَبَ إِلى حُـجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَدَقَّ اَلـجَرَسَ لِيَسْتَدْعِيَ خادِمَتَهُ ، وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تَطوفَ بِاَلبَيْتِ في اَلحالِ وَتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ اَلنَّوافِذَ كُلَّها مُغْلَقَةٌ . وَقامَ بِغَلْقِ نافِذَةِ مَكْتَبِهِ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ تَناوَلَ مُسَدَّسًا صَغيرًا مِنْ دُرْجٍ مُغْلَقٍ في مَكْتَبِهِ ، وَفَحَصَهُ بِعِنايَةٍ ، وَ وَضَعَهُ في جَيْبِهِ . وَكَتَبَ مُذَكِّراتٍ قَصيرَةً ، وَكانَتْ إِحْداها لِلْعَقيدِ آدي ، وَسَلَّمَها كُلَّها لِـخادِمَتِهِ ، وَقالَ لَها : « لَيْسَ ثَمَّةَ خَطَرٌ يَتَهَدَّدُكِ . » وَاَسْتَغْرَقَ في اَلتَّفْكيرِ قَليلًا ، ثُمَّ عادَ إِلى تَناوُلِ غَدائِهِ .

وَبَعْدَ لَـحْظَةٍ خَبَطَ اَلمائِدَةَ بِقَبْضَتِهِ وَقالَ : « سَنَظْفَرُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ سَيَتَمادى في أَفْعالِهِ ! »

وَصَعِدَ إِلى مِـخْدَعِهِ ، وَفي طَريقِهِ أَخَذَ يُغْلِقُ كُلَّ بابٍ وَراءَهُ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إِنَّها لُعْبَةٌ ! لُعْبَةٌ غَريبَةٌ ـ وَ لٰكِنَّني سَأَفوزُ يا سَيِّدُ غَريفين ! »

وَوَقَفَ بِجِوارِ اَلنّافِذَةِ يَتَطَلَّعُ إِلى سَفْحِ اَلتَّلِّ وَهُوَ يُرَدِّدُ : « لا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ عَلى اَلطَّعامِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَلٰكِنْ أَتُراهُ حَقًّا نامَ اَللَّيْلَةَ اَلماضِيَةَ ؟ هَلْ نامَ في اَلعَراءِ ؟ لَيْتَ اَلـجَوَّ يَنْقَلِبُ بارِدًا رَطْبًا بَدَلًا مِنْ هٰذا اَلـحَرِّ ! لَعَلَّهُ اَلآنَ يُراقِبُني ! »

وَدَنا مِنَ اَلنّافِذَةِ ، وَأَحَسَّ بِشَيْءٍ يَرْتَطِمُ بِاَلـجِدارِ فَوْقَها ، فَقالَ : « لَقَدْ بَدَأَتْ أَعْصابي تَتَوَتَّرُ . » وَلَـمْ يَقْتَرِبْ مِنَ اَلنّافِذَةِ ثانِيَةً إِلّا بَعْدَ خَـمْسِ دَقائِقَ ، وَقالَ : « لا بُدَّ أَنَّ طائِرًا اَصْطَدَمَ بِاَلـجِدارِ . »

وَسَمِعَ رَنينَ جَرَسِ اَلبابِ اَلأَمامِيِّ ؛ فَأَسْرَعَ يَهْبِطُ اَلدَّرَجَ ، وَأَزاحَ سِلْسِلَةَ اَلبابِ ، ثُمَّ فَتَحَهُ ، دونَ أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ . وَكانَ اَلقادِمُ آدي ، وَقالَ مِنْ وَراءِ اَلبابِ : « لَقَدْ هوجِـمَتْ خادِمَتُكَ يا كِمْب . »

فَصاحَ كِمْب مُنْدَهِشًا : « ما اَلَّذي تَقولُهُ ؟ ! »

« لَقَدِ اَسْتَوْلى عَلى مُذَكِّرَتِكَ اَلَّتي كانَتْ مَعَها . . . إِنَّهُ قَريبٌ جِدًّا مِنْ هٰذا اَلـمَكانِ فَدَعْني أَدْخُلْ . »

وَفَتَحَ كِمْب اَلبابَ قَليلًا ، فَدَخَلَ آدي ، وَوَقَفَ في اَلبَهْوِ يُتابِعُ كِمْب بِبَصَرِهِ وَهُوَ يُغْلِقُ اَلبابَ .

وَأَخَذَ كِمْب يَسُبُّ وَيَلْعَنُ ، ثُمَّ قالَ : « يالي مِنْ أَحْـمَقَ ! كانَ يَجِبُ

أنْ أتوقَّعَ هٰذا ؟ »

تَساءَلَ آدي : « ماذا تَعْني ؟ »

أَجابَ كِمْب وَهُوَ يتَّجِهُ بزائِرِهِ إلى غُرْفَةِ ٱلـمَكْتَبِ : « أنْظُرْ ! » وَناوَلَ آدي ٱلرِّسالَةَ ٱلَّتي جاءَتْهُ مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ .

قَرَأَ آدي ٱلرِّسالَةَ ، ثُمَّ قالَ : « وَأَنْتَ . . . ؟ »

وَتَناهى إلى أَسْماعِهِما صَوْتُ نافِذَةٍ تَتَهَشَّمُ في ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلى ، وَرَأى آدي طَرَفَ ٱلـمُسَدَّسِ ٱلصَّغيرِ يَبْرُزُ مِنْ جَيْبِ كِمْب .

قالَ كِمْب : « إنَّها نافِذَةٌ في ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلى . » وَأَسْرَعَ يَعْدو صاعِدًا وَآدي وَراءَهُ . وَسَمِعا وَهُما لا يَزالانِ عَلى ٱلدَّرَجِ صَوْتَ نافِذَةٍ أُخْرى تَتَهَشَّمُ ، فَلَمّا وَصَلا إلى حُـجْرَةِ ٱلـمَكْتَبِ وَجَدا مِنَ ٱلنَّوافِذِ ٱلثَّلاثِ نافِذَتَيْنِ مَكْسورَتَيْنِ ، وَ ٱلزُّجاجُ ٱلـمُهَشَّمُ يُغَطّي ٱلأَرْضَ ، كَما رَأَيا حَجَرًا كَبيرًا مُسْتَقِرًّا فَوْقَ ٱلـمَكْتَبِ . وَوَقَفَ ٱلرَّجُلانِ في مَدْخَلِ ٱلـحُجْرَةِ ، وَأَخَذَ كِمْب يَسُبُّ وَ يَلْعَنُ مَرَّةً أُخْرى ، وَفيما هُوَ يُرَدِّدُ ٱلسِّبابَ وَٱللَّعَناتِ ٱنْكَسَرَتِ ٱلنّافِذَةُ ٱلثّالِثَةُ بِفَرْقَعَةٍ شَبيهَةٍ بِدَوِيِّ طَلْقٍ نارِيٍّ ، وَتَناثَرَتْ شَظايا ٱلزُّجاجِ ٱلـمَكْسورِ في أَرْجاءِ ٱلـحُجْرَةِ .

وَتَساءَلَ آدي : « ما ٱلَّذي يَبْغيهِ مِنْ هٰذا ؟ »

أَجابَ كِمْب : « إنَّها ٱلبِدايَةُ . »

« أَ ثَمَّةَ وَسيلَةٌ يَتَسَلَّقُ بِها إلى هٰذا ٱلـمَكانِ ؟ »

قالَ كِمْب : « حَتّى ٱلقِطَّةُ لا تَسْتَطيعُ ذٰلِكَ . »

وَٱنْهالَتِ ٱلأَحْجارُ ٱلـمُتَطايِرَةُ إلى داخِلِ ٱلـحُجْرَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ بَدا وَكَأَنَّ شَخْصًا يَدُقُّ عَلى ٱلـمَصاريعِ ٱلـخَشَبِيَّةِ لِنَوافِذِ ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ .

وَوَقَفَ ٱلرَّجُلانِ خارِجَ حُجْرَةِ ٱلـمَكْتَبِ لا يَدْرِيانِ ماذا يَفْعَلانِ .

قالَ آدي : « إنّي أَعْرِفُ ما يَنْبَغي عَمَلُهُ ! أَعْطِني عَصًا أَوْ شَيْئًا آخَرَ عَلى شاكِلَتِها ، وَسَأَذْهَبُ إلى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، وَأَعودُ بِٱلرَّجُلِ صاحِبِ ٱلكِلابِ ٱلـمُدَرَّبَةِ عَلى ٱقْتِفاءِ ٱلآثارِ ، وَسَوْفَ تَعْثُرُ عَلَيْهِ . »

وَتَحَطَّمَتْ نافِذَةٌ أُخْرى .

وَسَأَلَ آدي : « أَلَيْسَ لَدَيْكَ مُسَدَّسٌ ؟ »

وَٱمْتَدَّتْ يَدُ كِمْب إلى جَيْبِهِ ، ثُمَّ رَدَّها مُتَرَدِّدًا وَقالَ : « نَعَمْ ، لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ ، أَوْ عَلى ٱلأَقَلِّ لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ أَسْتَغْني عَنْهُ . »

قالَ آدي : « سَأُعيدُهُ إلَيْكَ ، وَأَنْتَ هُنا في أَمانٍ . »

وَناوَلَهُ كِمْب ٱلسِّلاحَ .

قالَ آدي : « الآنَ هَيّا بِنا إلى آلبابِ . »

وَبَيْنَما كانَ آلرَّجُلانِ واقِفَيْنِ في آلرَّدْهَةِ يَنْتَظِرانِ سَمِعا فَرْقَعَةَ إحْدى نَوافِذِ حُجْرَةِ آلنَّوْمِ ، فَمَضى كِمْب إلى آلبابِ ، وَشَرَعَ يُديرُ آلـمِفْتاحَ في آلثَّقْبِ بِأَقْصى ما يَسْتَطيعُ مِنَ آلـهُدوءِ ، وَبَدا وَجْهُهُ أَكْثَرَ شُحوبًا مِنَ آلـمُعْتادِ .

قالَ : « يَجِبُ أَنْ تَتَقَدَّمَ بِلا تَرَدُّدٍ . »

وَبَعْدَ لَـحْظَةٍ كانَ آدي عَلى عَتَبَةِ آلبابِ وَ آلبابُ مُغْلَقٌ وَراءَهُ . وَلَبِثَ مَكانَهُ بُرْهَةً وَ هُوَ أَكْثَرُ آطْمِئْنانًا وَظَهْرُهُ مُسْتَنِدٌ إلى آلبابِ ، ثُمَّ هَبَطَ آلدَّرَجَ ، وَ آجْتازَ آلـحَديقَةَ ، وَحينَ أَوْشَكَ أَنْ يَصِلَ إلى آلبَوّابَةِ آلـخارِجِيَّةِ أَحَسَّ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ بِآلقُرْبِ مِنْهُ .

وَناداهُ صَوْتٌ قائِلًا : « قِفْ لَـحْظَةً ! » وَتَوَقَّفَ آدي عَنِ آلسَّيْرِ وَيَدُهُ عَلى آلـمُسَدَّسِ .

قالَ آدي : « ما آلَّذي تُريدُهُ ؟ »

أَجابَ آلصَّوْتُ : « عُدْ مِنْ فَضْلِكَ إلى آلبَيْتِ . »

قالَ آدي : « لا . » وَفَكَّرَ في أَنْ يُطْلِقَ رَصاصَةً في آتِّجاهِ آلصَّوْتِ .

وَسَأَلَهُ آلصَّوْتُ : « ما آلَّذي تَنْوي أَنْ تَفْعَلَهُ ؟ »

أَجابَ آدي : « ما أَفْعَلُهُ مِنْ شَأْني وَحْدي . »

وَلَـمْ يَكَدْ يُتِمُّ هٰذِهِ آلكَلِماتِ حَتّى طَوَّقَتْ عُنُقَهُ ذِراعٌ ، وَ شَعَرَ بِرُكْبَةٍ تَسْتَقِرُّ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَ جُذِبَ رَأْسُهُ إلى آلوَراءِ فَأَطْلَقَ آلنّارَ بِآهْتِياجٍ . وَفي آلـلَّحْظَةِ آلتّالِيَةِ تَلَقّى لَطْمَةً عَلى فَكِّهِ ، وَ آنْتُزِعَ آلـمُسَدَّسُ مِنْ يَدِهِ ، فَحاوَلَ أَنْ يُقاوِمَ وَ لٰكِنَّهُ طُرِحَ أَرْضًا عَلى ظَهْرِهِ ، وَصاحَ غاضِبًا :

« عَلَيْكَ آلـلَّعْنَةُ . »

وَضَحِكَ آلصَّوْتُ ، وَقالَ : « يُمْكِنُني آلآنَ أَنْ أَقْتُلَكَ ، وَلٰكِنَّ في ذٰلِكَ إضاعَةً لِرَصاصَةٍ . »

وَرَأى آدي آلـمُسَدَّسَ مُعَلَّقًا في آلـهَواءِ ، عَلى قيدِ مِتْرَيْنِ مِنْهُ ، وَمُسَدَّدًا إلَيْهِ ، فَقالَ وَهُوَ يَقومُ مِنْ رَقْدَتِهِ : « ماذا تُريدُ ؟ »

قالَ آلصَّوْتُ : « إنْهَضْ . »

وَآنْتَصَبَ آدي واقِفًا .

قالَ آلصَّوْتُ : « قِفْ ساكِنًا . » ثُمَّ أَرْدَفَ بِحَزْمٍ : « إيّاكَ وَآلإقْدامَ عَلى أَيَّةِ خُدْعَةٍ . وَتَذَكَّرْ أَنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى وَجْهَكَ ، وَ إنْ كُنْتَ أَنْتَ

لاتَراني . وَعَلَيْكَ ٱلآنَ أَنْ تَرْجِعَ إلى ٱلبَيْتِ . »

أَجابَ آدي : « إِنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لي بِٱلدُّخولِ . »

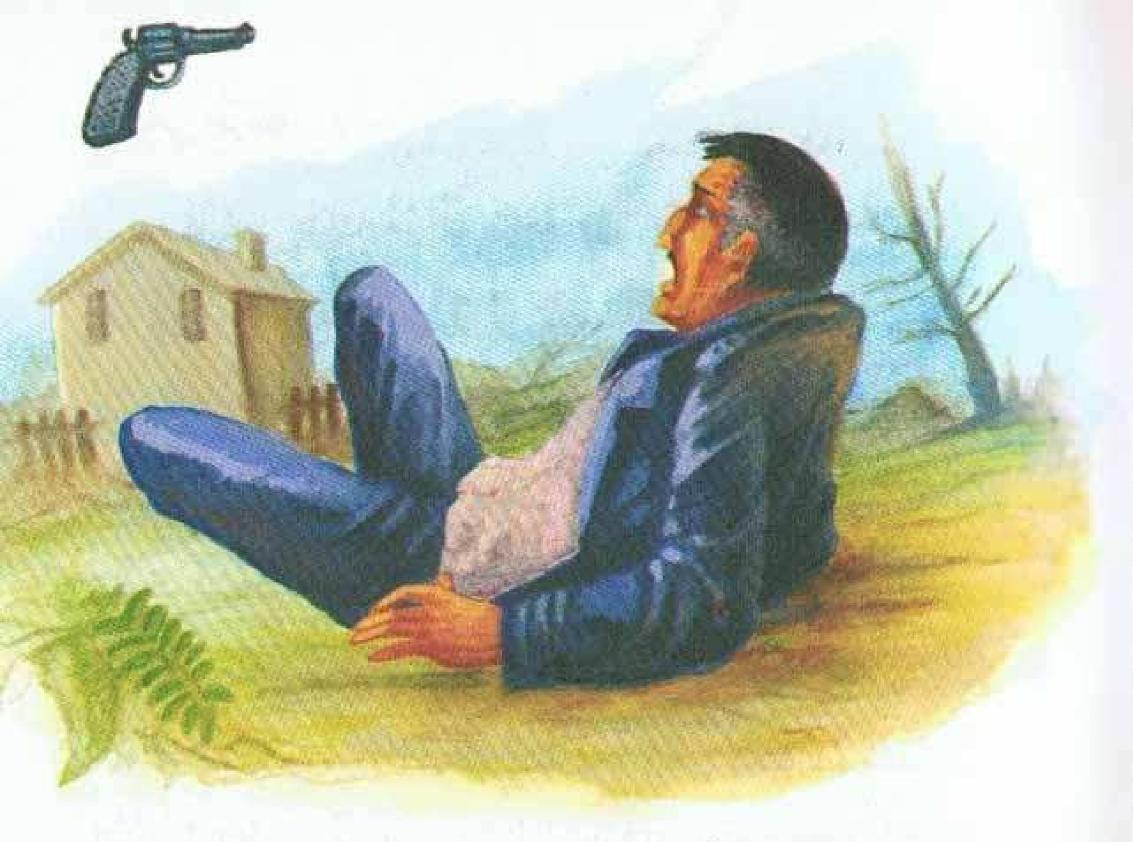
قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « هٰذا شَيْءٌ مُؤْسِفٌ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي أُريدُ أَنْ أَقْتُلَهُ . »

وَحَوَّلَ آدي بَصَرَهُ عَنِ ٱلمُسَدَّسِ ٱلمُصَوَّبِ إِلَيْهِ ، وَرَأى ٱلبَحْرَ مِنْ بَعيدٍ داكِنًا شَديدَ ٱلزُّرْقَةِ في ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ ٱلسَّاطِعَةِ ، وَصُخورَ ٱلشَّاطِئِ ٱلبَيْضاءَ ، كَما رَأى ٱلتَّلَّ تَعْلوهُ ٱلأَعْشابُ ٱلخَضْراءُ . وَفَجْأَةً أَدْرَكَ أَنَّ ٱلحَياةَ حُلْوَةٌ ، فَعادَ بِبَصَرِهِ إلى ذٰلِكَ ٱلشَّيْءِ ٱلمَعْدِنِيِّ ٱلصَّغيرِ ٱلمُعَلَّقِ بَيْنَ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّماءِ ، عَلى قِيدِ مِتْرَيْنِ مِنْهُ ، وَقالَ : « ما ٱلَّذي يَنْبَغي عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهُ ؟ »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « بَلْ ما ٱلَّذي يَنْبَغي أَنْ أَفْعَلَهُ أَنا ؟ لَوْ أَنَّني أَطْلَقْتُ سَراحَكَ ، لَعُدْتَ بِنَجْدَةٍ ، لِذٰلِكَ لَيْسَ أَمامَكَ إِلَّا أَنْ تَرْجِعَ إلى ٱلبَيْتِ . »

« سَأُحاوِلُ ، وَلٰكِنْ إِذا سَمَحَ لي بِٱلدُّخولِ فَهَلْ تَعِدُني بِأَلَّا تَقْتَحِمَ ٱلبابَ ؟ »

أَجابَ ٱلصَّوْتُ : « إِنِّي لا أُريدُ أَنْ أَقْتُلَكَ أَنْتَ . »



وَكانَ كِمْب قَدْ أَسْرَعَ إلى ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، بَعْدَ أَنْ غادَرَ آدي ٱلبَيْتَ ، وَمَضى يَتَطَلَّعُ إلى ٱلخارِجِ مِنْ خِلالِ ٱلنَّافِذَةِ ٱلمَكْسورَةِ ، وَشاهَدَ آدي يَتَحَدَّثُ إلى ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ .

وَتَساءَلَ كِمْب : « لِمَ لا يُطْلِقُ عَلَيْهِ ٱلنَّارَ ؟ » ثُمَّ رَأى ٱلمُسَدَّسَ يَتَحَرَّكُ في ٱلهَواءِ .

فَقالَ لِنَفْسِهِ : « هٰذا عَجيبٌ ! لَقَدْ سَلَّمَهُ آدي ٱلمُسَدَّسَ . »

وَفي ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ كانَ آدي يَقولُ : « عِدْني بِأَلَّا تَقْتَحِمَ ٱلبابَ ،

وَٱمْنَحْني فُرْصَةً . »

« كُلُّ ما عَلَيْكَ هُوَ أَنْ تَرْجِعَ إلى ٱلبَيْتِ . وَلَنْ أَعِدَكَ بِشَيْءٍ . »

وَبَدا أَنَّ آدي قَرَّرَ فَجْأَةً أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا . فَقَدِ ٱسْتَدارَ عائِدًا إلى ٱلبَيْتِ ، وَسارَ بِخُطًى وَئيدَةٍ وَيَداهُ وَراءَ ظَهْرِهِ . وَأَخَذَ كِمْب يُراقِبُهُ مِنَ ٱلنّافِذَةِ . وَظَهَرَ ٱلـمُسَدَّسُ ، كَجِسْمٍ صَغيرٍ أَسْوَدَ ، يَتْبَعُ آدي . وَعِنْدَئِذٍ تَتابَعَتِ ٱلأَحْداثُ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ : قَفَزَ آدي صَوْبَ هٰذا ٱلشَّيْءِ ٱلصَّغيرِ ، وَلٰكِنَّهُ أَخْطَأَهُ ، وَرَفَعَ ذِراعَيْهِ إلى أَعْلى ، وَوَقَعَ عَلى وَجْهِهِ . وَشَقَّتِ ٱلـهَواءَ كُرَةٌ صَغيرَةٌ مِنَ ٱلدُّخانِ ٱلأَزْرَقِ ، وَلٰكِنَّ كِمْب لَـمْ يَسْمَعْ دَوِيَّ ٱلطَّلْقِ ٱلنّارِيِّ . وَرَفَعَ آدي جِسْمَهُ مُسْتَنِدًا إلى ذِراعٍ واحِدَةٍ ، ثُمَّ سَقَطَ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَظَلَّ مَكانَهُ ساكِنًا .

وَلَبِثَ كِمْب فَتْرَةً مِنَ ٱلوَقْتِ يَنْظُرُ إلى آدي وَهُوَ راقِدٌ عَلى ٱلأَعْشابِ في هُدوءٍ . وَكانَ ٱلـجَوُّ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ساكِنًا شَديدَ ٱلحَرارَةِ ، وَلا شَيْءَ فيهِ يَتَحَرَّكُ ، وَآدي راقِدٌ بِالقُرْبِ مِنْ بَوّابَةِ ٱلـحَديقَةِ . وَ كانَتِ ٱلسَّتائِرُ مُسْدَلَةً في جَميعِ ٱلبُيوتِ ٱلقائِمَةِ عَلى سَفْحِ ٱلتَّلِّ ، وَإِنْ بَدا في أَحَدِ ٱلبُيوتِ ٱلصَّيْفِيَّةِ ٱلصَّغيرَةِ شَبَحٌ أَبْيَضُ ، لاحَ أَنَّهُ لِشَيْخٍ نائِمٍ . وَعادَ كِمْب بِعَيْنَيْهِ إلى آدي ، فَقَدْ بَدَأَتِ ٱللُّعْبَةُ بِدايَةً سَيِّئَةً !

وَعِنْدَئِذٍ عَلا رَنينُ ٱلـجَرَسِ ، ثُمَّ طَرْقٌ عَلى ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَـمْ يَفْتَحْهُ ، وَسادَ ٱلسُّكونُ بَعْدَ ذٰلِكَ . وَبَقِيَ كِمْب جالِسًا يُصْغي ، ثُمَّ راحَ يُنْعِمُ ٱلنَّظَرَ بِحَذَرٍ مِنَ ٱلنَّوافِذِ ٱلثَّلاثِ ، واحِدَةً بَعْدَ ٱلأُخْرى ، ثُمَّ ٱتَّجَهَ إلى ٱلسُّلَّـمِ وَوَقَفَ يُصْغي بِقَلَقٍ مُتَسائِلًا عَمّا يَفْعَلُهُ عَدُوُّهُ .

وَفَجْأَةً سَمِعَ طَرَقاتٍ شَديدَةً تَأْتي مِنَ ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ ، فَتَرَيَّثَ بُرْهَةً ، ثُمَّ هَبَطَ ٱلدَّرَجَ مَرَّةً أُخْرى . وَٱمْتَلَأَ ٱلبَيْتُ بِأَصْواتِ خَبَطاتٍ عَنيفَةٍ ، وَخَشَبٍ يَتَحَطَّمُ ؛ فَمَضى إلى ٱلـمَطْبَخِ لِيَتَبَيَّنَ ما حَدَثَ ، فَوَجَدَ بَلْطَةً تُحَطِّمُ ٱلبابَ .

عادَ كِمْب إلى ٱلـمَمْشى ، وَهُوَ يُحاوِلُ أَنْ يُفَكِّرَ . فَلَنْ تَمْضِيَ لَـحَظاتٌ حَتّى يَكونَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ قَدِ ٱقْتَحَمَ ٱلـمَطْبَخَ ، لِأَنَّ هٰذا ٱلبابَ لَنْ يَصُدَّهُ لَـحْظَةً عَنِ ٱلدُّخولِ .

وَدَقَّ جَرَسُ ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ مَرَّةً أُخْرى ، وَسَمِعَ كِمْب جَلَبَةَ أَصْواتٍ ، وَكانَتْ لِشُرْطِيَّيْنِ مَعَ ٱلخادِمَةِ .

وَجَرى كِمْب إلى ٱلرَّدْهَةِ ، وَفَتَحَ ٱلبابَ ، فَتَساقَطَ ثَلاثَةُ أَشْخاصٍ داخِلَ ٱلبَيْتِ ، فَأَسْرَعَ كِمْب وَأَغْلَقَ ٱلبابَ ثانِيَةً وَصاحَ : « ٱلرَّجُلُ

ٱلـخفيُّ ! إنَّ معَهُ مُسدَّسًا فيهِ طَلْقتانِ . لَقَدْ قُتِلَ آدي ، أَوْ على ٱلأقَلِّ أُطْلِقَ علَيْهِ ٱلنّارُ . أَلَـمْ تَرَوْهُ مُلْقًى على ٱلأعْشابِ ؟ »

وَسَأَلَ أَحَدُ ٱلشُّرْطِيَّيْنِ : « مَنْ ؟ »

أجابَ كِمْب : « آدي . »

قالَتِ ٱلخادِمَةُ : « لَقَدْ جِئْنا مِنْ خَلْفِ ٱلبَيْتِ . »

وَسَأَلَ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلآخَرُ : « ما هٰذِهِ ٱلـخَبَطاتُ ؟ »

« لَعَلَّهُ في ٱلـمَطْبَخِ ، أَوْ سَيَدْخُلُهُ ، فَقَدْ عَثَرَ على بَلْطَةٍ . »

وَفَجْأَةً ٱمْتَلَأَ ٱلبَيْتُ بِخَبَطاتِ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ وَهُوَ يُحَطِّمُ بابَ ٱلـمَطْبَخِ وَتَطَلَّعَتِ ٱلخادِمَةُ إلى ٱلـمَطْبَخِ ، ثُمَّ هُرِعَتْ إلى حُجْرَةِ ٱلطَّعامِ ، وَحاوَلَ كِمْب أَنْ يَشْرَحَ ٱلـمَوْقِفَ بِعِباراتٍ مُتَقَطِّعَةٍ ؛ ثُمَّ سَمِعوا بابَ ٱلـمَطْبَخِ وَهُوَ يَنْفَتِحُ .

وَصاحَ كِمْب : « مِنْ هٰذا ٱلطَّريقِ . » وَدَفَعَ ٱلشُّرْطِيَّيْنِ ناحِيَةَ مَدْخَلِ حُجْرَةِ ٱلطَّعامِ ، وَٱنْدَفَعَ هُوَ ناحِيَةَ ٱلـمِدْفَأَةِ قائِلًا : « قَضيبُ تَقْليبِ ٱلنّارِ ! »

وَأَعْطى كُلَّ شُرْطِيٍّ قَضيبًا ، ثُمَّ قَفَزَ فَجْأَةً إلى ٱلـخَلْفِ . وَصاحَ أَحَدُ ٱلشُّرْطِيَّيْنِ : « حَذارِ ! » وَوَثَبَ جانِبًا ، وَتَلَقّى ضَرْبَةَ ٱلبَلْطَةِ على ٱلقَضيبِ ! وَدَوّى طَلْقٌ نارِيٌّ مُـحْدِثًا ثَقْبًا في إحْدى ٱللَّوْحاتِ . أَمّا ٱلشُّرْطِيُّ ٱلثّاني فَهَوى بِٱلقَضيبِ فَوْقَ ٱلـمُسَدَّسِ ، فَأَسْقَطَهُ على ٱلأَرْضِ .

وَعادَتِ ٱلبَلْطَةُ إلى ٱلـمَمْشى ، وَكانوا يَسْمَعونَ أَنْفاسَ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ ٱللّاهِثَةَ . وَجاءَهُمْ صَوْتُهُ يَقولُ : « اِبْتَعِدا أَيُّها ٱلشُّرْطِيّانِ . إنَّ مَنْ أُريدُهُ هُوَ هٰذا ٱلرَّجُلُ كِمْب . »

قالَ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلأَوَّلُ : « وَنَحْنُ نُريدُكَ أَنْتَ . » وَوَثَبَ وَثْبَةً سَريعَةً إلى ٱلأَمامِ وَهَوى بِٱلقَضيبِ في ٱتِّجاهِ ٱلصَّوْتِ . وَيَبْدو أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ تَراجَعَ إلى ٱلـخَلْفِ ، وَسَقَطَ على أَحَدِ ٱلـمَقاعِدِ .

وَلَـمّا تَبِعَهُ ٱلشُّرْطِيُّ عادَ إلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ وَضَرَبَهُ فَطَرَحَهُ أَرْضًا .

وَلٰكِنَّ ٱلشُّرْطِيَّ ٱلثّانِـيَ وَجَّهَ ضَرْبَةً بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ خَلْفَ ٱلبَلْطَةِ فَأَصابَ شَيْئًا لَيِّنًا سُمِعَتْ لَهُ طَقْطَقَةٌ أَعْقَبَتْها صَرْخَةُ أَلَـمٍ حادَّةٌ . وَسَقَطَتِ ٱلبَلْطَةُ على ٱلأَرْضِ . وَوَجَّهَ ٱلشُّرْطِيُّ في ٱلفَراغِ ضَرْبَةً أُخْرى لَـمْ تُصِبْ شَيْئًا ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ ٱلبَلْطَةِ ، وَوَجَّهَ ضَرْبَةً جَديدَةً . ثُمَّ وَقَفَ وَهُوَ يُمْسِكُ بِٱلقَضيبِ ، وَأَرْهَفَ ٱلسَّمْعَ إلى أَيَّةِ حَرَكَةٍ .

وَسَمِعَ نافِذَةً تُفْتَحُ ، وَوَقْعَ أَقْدامٍ مُسْرِعَةٍ في ٱلخارِجِ . وَٱعْتَدَلَ زَميلُهُ وَجَلَسَ وَٱلدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ جُرْحٍ في صُدْغِهِ ، وَتَساءَلَ : « أَيْنَ هُوَ ؟ »

أَجابَهُ : « لا أَدْري ، وَلٰكِنِّي أَصَبْتُهُ . وَهُوَ واقِفٌ في مَكانٍ ما في ٱلرَّدْهَةِ ، إِلاَّ إِذا كانَ قَدْ مَرَّ بِكَ . دُكْتورُ كِمْب ، أَيْنَ أَنْتَ يا سَيِّدي ؟ »

وَصاحَ ثانِيَةً : « دُكْتورُ كِمْب ! »

وَجاهَدَ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلثّاني حَتّى وَقَفَ عَلى قَدَمَيْهِ . وَفَجْأَةً سَمِعَ ٱلشُّرْطِيّانِ وَقْعَ قَدَمَيْنِ حافِيَتَيْنِ ، فَصَرَخَ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلأَوَّلُ وَأَلْقى بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ . وَهَمَّ بِتَعَقُّبِ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ ، وَلٰكِنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذٰلِكَ ، وَدَخَلَ حُجْرَةَ ٱلطَّعامِ وَصاحَ : « دُكْتورُ كِمْب . . . »

وَكانَتْ نافِذَةُ حُجْرَةِ ٱلطَّعامِ مَفْتوحَةً ، وَلَمْ تَكُنْ فيها ٱلخادِمَةُ وَلا كِمْب .

الفَصْلُ ٱلثّالِثُ وَٱلعِشْرونَ

اِقْتِناصُ ٱلصَّيّادِ

اِنْطَلَقَ كِمْب يَجْري لِيَنْجُوَ بِحَياتِهِ ، مِثْلَما رَأى مِنْ قَبْلُ ٱلسَّيِّدَ مارْفِل يَجْري هابِطًا ٱلتَّلَّ . وَلَمْ يَبْدُ لَهُ ٱلجَرْيُ في يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيّامِ أَبْطَأَ مِمّا بَدا لَهُ آنَذاكَ .

وَأَخَذَ ٱلنّاسُ يَنْظُرونَ إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا في وَجْهِهِ أَماراتِ ٱلذُّعْرِ وَٱلفَزَعِ .

كانَ مُنْدَفِعًا صَوْبَ ٱلقَرْيَةِ عِنْدَ سَفْحِ ٱلتَّلِّ حَيْثُ يَقِفُ ٱلنّاسُ أَوْ يَمْشونَ في جَماعاتٍ .

وَتَمَهَّلَ في سَيْرِهِ قَليلاً ، فَسَمِعَ وَقْعَ خُطُواتٍ سَريعَةٍ وَراءَهُ ، فَصاحَ : « ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ ! » وَخَطَرَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُ غَيَّرَ رَأْيَهُ ، وَدَخَلَ شارِعًا جانِبِيًّا ، ثُمَّ فِناءَ أَحَدِ ٱلبُيوتِ ، ثُمَّ بَيْتًا صَغيرًا ، وَعادَ بِذٰلِكَ إِلى ٱلطَّريقِ ٱلعامِّ .

وَٱحْتَشَدَ جَمْعٌ مِنَ ٱلنّاسِ ، وَكانَ ثَمَّةَ وَقْعُ أَقْدامٍ تَجْري . وَعَلى

قِيدِ بِضْعَةِ أَمْتارٍ شوهِدَ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلـجِسْمِ يُطَوِّحُ في ٱلهَواءِ مِـجْرَفَةً ثَقيلَةً ، وَيَضْرِبُ بِها شَيْئًا ما . وَخَرَجَ آخَرُ مِنْ مَتْجَرٍ وَبِيَدِهِ عَصًا غَليظَةٌ . وَصاحَ رَجُلٌ : « اِنْتَشِروا ! اِنْتَشِروا ! » وَتَوَقَّفَ كِمْب وَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ ، وَقالَ : « إِنَّهُ قَريبٌ مِنْ هُنا ! شَكِّلوا صَفًّا بِعَرْضٍ . . . »

وَتَلَقّى ضَرْبَةً عَنيفَةً وَراءَ أُذُنِهِ ، فَحاوَلَ أَنْ يَلْتَفِتَ لِيُواجِهَ عَدُوَّهُ ٱلـخَفِيَّ ، وَسَدَّدَ ضَرْبَةً في ٱلهَواءِ ، وَلٰكِنَّهُ تَلَقّى لَكْمَةً أُخْرى تَحْتَ فَكِّهِ ؛ فَسَقَطَ عَلى ٱلأَرْضِ . وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ ٱنْغَرَزَتْ رُكْبَةٌ في صَدْرِهِ ، وَأَطْبَقَتْ يَدانِ عَلى عُنُقِهِ ، وَلٰكِنَّ إِحْدى ٱلْيَدَيْنِ كانَتْ أَضْعَفَ مِنَ ٱلأُخْرى . وَعِنْدَئِذٍ هَوَتْ مِـجْرَفَةُ ٱلرَّجُلِ ٱلضَّـخْـمِ مِنْ فَوْقِهِ بِقَليلٍ ، وَٱرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ ما . وَشَعَرَ بِقَطَراتٍ مِنَ ٱلدَّمِ ٱلدّافِئِ تَتَساقَطُ عَلى وَجْهِهِ ، وَتَراخَتِ ٱلْيَدانِ ٱلـمُطْبِقَتانِ عَلى عُنُقِهِ ؛ فَٱنْقَلَبَ كِمْب وَجَثَمَ فَوْقَ عَدُوِّهِ وَصاحَ : « أَمْسَكْتُهُ ! أَمْسَكْتُهُ ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! أَمْسِكوهُ ! أَمْسِكوا قَدَمَيْهِ ! »

وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ ٱقْتَحَمَ ٱلـمَعْرَكَةَ حَشْدٌ مِنَ ٱلنّاسِ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ صِياحٌ بَعْدَ صِياحِ كِمْب ، بَلْ كُلُّ ما كانَ يُسْمَعُ هُوَ صَوْتُ ضَرَباتٍ تُسَدَّدُ ، وَوَقْعُ أَقْدامٍ تَتَحَرَّكُ ، وَأَنْفاسٌ تَلْهَثُ .

ثُمَّ هَبَّ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ واقِفًا عَلى قَدَمَيْهِ ، وَكانَ كِمْب مُتَشَبِّثًا بِساقَيْهِ ، وَعِنْدَئِذٍ قَبَضَ شَخْصٌ ما عَلى عُنُقِ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ ، وَجَذَبَهُ إِلى ٱلـخَلْفِ . وَوَقَعَ ٱلرِّجالُ ٱلـمُتَقاتِلونَ عَلى ٱلأَرْضِ وَهُمْ يَتَراكَلونَ ، وَعِنْدَئِذٍ ٱنْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ حادَّةٌ ، ثُمَّ خَيَّمَ ٱلسُّكونُ .

صاحَ كِمْب : « اِبْتَعِدوا ! لَقَدْ أُصيبَ ! إِنَّهُ جَريحٌ ! أَفْسِحوا ٱلْمَكانَ ! » وَأَخَذَ طَبيبٌ يَتَحَسَّسُ ٱلـجِسْمَ ٱلـخَفِيَّ ، ثُمَّ قالَ : « ٱلْفَمُ كُلُّهُ مُبْتَلٌّ . »

وَنَهَضَ واقِفًا عَلى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكَعَ عَلى رُكْبَتَيْهِ بِجانِبِ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذي لا يُرى . وَأَقْبَلَ جَـمْعٌ جَديدٌ مِنَ ٱلنّاسِ لِيَزيدوا ٱلـحَشْدَ ٱلـمُتَدافِعَ ، وَٱنْضَمَّ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرونَ خَرَجوا مِنَ ٱلْبُيوتِ . وَكانَتْ أَبْوابُ ٱلْفُنْدُقِ مَفْتوحَةً عَنْ آخِرِها ، وَكانَ ٱلصَّمْتُ سائِدًا .

وَمَدَّ كِمْب يَدَهُ يَتَحَسَّسُ ٱلفَراغَ حَوْلَهُ ، وَقالَ : « إِنَّهُ لا يَتَنَفَّسُ . إِنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَلْـمِسَ قَلْبَهُ . هٰذا جَنْبُهُ . . آهٍ ! »

وَصَرَخَتِ ٱمْرَأَةٌ عَجوزٌ ، كانَتْ تَنْظُرُ مِنْ تَحْتِ ذِراعِ ٱلرَّجُـلِ ٱلضَّـخْـمِ ، صاحِبِ ٱلـمِـجْرَفَةِ ، قائِلَةً بِصَوْتٍ حادٍّ : « اُنْظُروا ! » وَتَطَلَّعوا إِلى حَيْثُ أَشارَتْ ، وَرَأَوْا جَميعًا جِسْمًا ضَبابِيًّا أَشْبَهَ

بِالطَّيْفِ . وَ آسْتَطاعوا في آلبِدايَةِ أَنْ يَخْتَرِقوا هٰذا آلـجِسْمَ بِأَبْصارِهِمْ ، وَلٰكِنَّهُ أَخَذَ يَتَحَوَّلُ بِآلتَّدْريجِ إِلى جِسْمٍ أَكْثَرَ صَلابَةً وَ سُمْكًا .

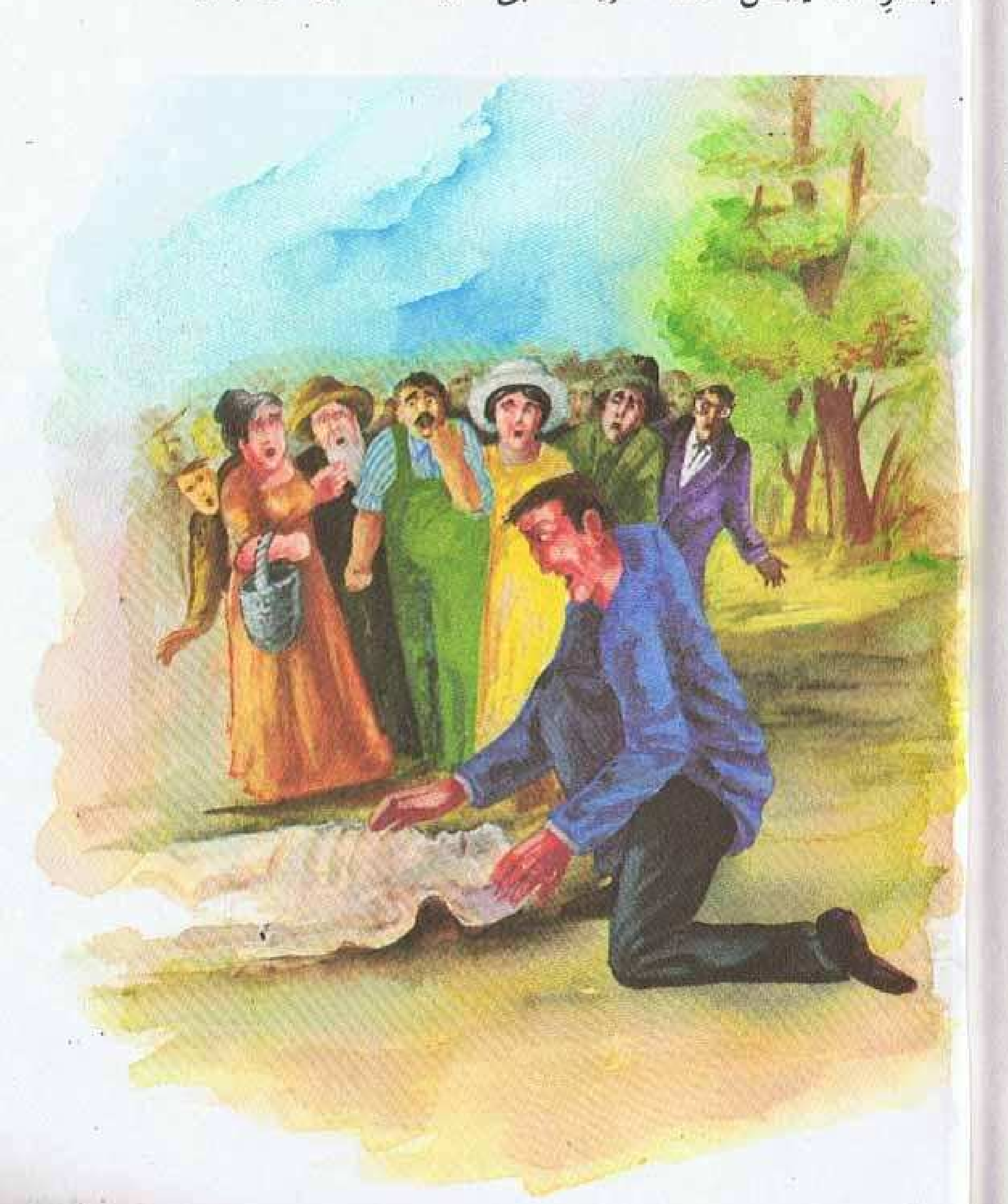
وَصاحَ آلشُّرْطِيُّ : « ها هُما قَدَماهُ تَبينانِ ! »

وَهٰكَذا آسْتَمَرَّ هٰذا آلتَّغَيُّرُ آلعَجيبُ بِبُطْءٍ ، مُبْتَدِئًا بِظُهورِ آليَدَيْنِ ثُمَّ آلقَدَمَيْنِ ، وَظَهَرَتْ ساقاهُ حَتّى مُنْتَصَفِ جِسْمِهِ . وَ كانَ يُشْبِهُ آلانْتِشارَ آلبَطيءَ لِلسُّمِّ . وَرَأَوْا صورَةً باهِتَةً لِأَحَدِ أَطْرافِهِ ، ثُمَّ عِظامَهُ آلزُّجاجِيَّةَ آللَّوْنِ ، وَ بَعْدَها لَحْمَهُ وَ جِلْدَهُ ، وَ قَدْ ظَهَرَ جَسَدُهُ في شَكْلٍ ضَبابِيٍّ أَوَّلَ آلأَمْرِ ، وَلٰكِنَّهُ أَخَذَ يَزْدادُ بِبُطْءٍ سُمْكًا وَصَلابَةً . وَسُرْعانَ ما آسْتَطاعوا بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَرَوْا صَدْرَهُ وَكَتِفَيْهِ وَشَكْلَ وَجْهِهِ غَيْرَ آلواضِحِ .

وَعِنْدَما أَفْسَحَ آلـجَمْعُ آلـمُحْتَشِدُ آلـمَكانَ لِكِمْب لِيَقِفَ ، شاهَدوا عَلى آلأَرْضِ أَمامَهُمْ جُثَّةً عارِيَةً مُهَشَّمَةً لِشابٍّ في نَحْوِ آلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ . وَكانَ شَعْرُهُ أَبْيَضَ ، وَلَـمْ يَكُنْ أَشْيَبَ بِسَبَبِ كِبَرِ سِنِّهِ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ أَبْيَضَ كَآلثَّلْجِ . وَكانَتْ لَهُ عَيْنانِ تَبْرُقانِ مِثْلَ جَوْهَرَتَيْنِ ، وَتَكْسو وَجْهَهُ مَلامِحُ آلغَضَبِ وَآلـخَوْفِ .

وَصاحَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ آلواقِفينَ : « غَطّوا وَجْهَهُ ! بِآللهِ عَلَيْكُمْ غَطّوا هٰذا آلوَجْهَ ! » وَأَتى أَحَدُهُمْ بِمُلاءَةٍ ، وَغَطَّوْهُ بِها ، ثُمَّ نَقَلوهُ إِلى داخِلِ

آلفُنْدُقِ . وَهُناكَ ، فَوْقَ فِراشٍ في حُجْرَةٍ قَليلَةِ آلإِضاءَةِ ، وَبَيْنَ حَشْدٍ مِنَ آلنّاسِ آلـمُهْتاجينَ ، أَنْهى غريفين ، أَوَّلُ مَنِ آسْتَطاعَ مِنْ بَني آلبَشَرِ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ خَفِيًّا ـ أَنْهى حَياتَهُ آلعَجيبَةَ وَآلرَّهيبَةَ .



١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة

الطبعة الأولى ١٩٨٩

رقم الإيداع: ١٩٨٦/٢٧٦٢
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧-١٤٤٦-٢٤-٧

رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198109

طبع بمطابع أخبار اليوم

الرّوايات المشهورة



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصّلح - بيروت

مكتبة لبنان

السنابل

الرجل الخفي